عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

دراسة مقارنة بين سورتي الأنعام والأعراف بين التفسير الكبير للرّازي، ومحاسن التأويل للقاسميّ

رانيا عز محمد أبو الروس

القدس – فلسطين

1443هـ /2022م

دراسة مقارنة بين سورتي الأنعام والأعراف بين التفسير الكبير للرّازي، ومحاسن التأويل للقاسميّ

إعداد:

رانيا عز محمد أبوالروس

بكالوريوس دعوة وأصول دين– جامعة القدس / فلسطين

المشرف: د. محمد يوسف الدِّيك.

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين /كلية الدَّعوة وأصول الدين/عمادة الدِّراسات العليا/ جامعة القدس.

1443هـ/2022م

جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج الدَّعوة وأصول الدين

إجازة الرِّسالة

دراسة مقارنة بين سورتي الأنعام والأعراف بين التفسير الكبير للرازي،

ومحاسن التّأويل للقاسميّ

اسم الطالبة: رانياعزمحمد أبو الروس .

الرقم الجامعي: 21512807.

المشرف: الدكتور محمد يوسف الدِّيك.

نوقشت هذه الرسالة وأُجيزت بتاريخ: 21/ 5 /2022 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعاتهم :

1- رئيس لجنة المناقشة: د.محمد الديك التوقيع :.....

2- ممتحنًا خارجياً: أ.د مُحسن سميح الخالدي : التوقيع : .....

3- ممتحنًا خارجيًا: د.موسى محمود معطان . التوقيع :.....

القدس– فلسطين

1443هـ /2022م

الإهداء

يُسْعدني أن أُهدي هذه الدِّراسة :

إلى روح والدي العزيز، وإلى والدتي الغالية اللذين لهما الفضل الكبير بعد الله تعالى في تعليمي وتحصيني بالعلم الديني والأخلاق السليمة.

إلى زوجي: الذي له الدور الكبير في دعمي وتشجيعي .

إلى أبنائي وبناتي: أسأل الله العليَّ القدير أنْ يُسْعِدَهُم ويحفظهم ويرفع قدرهم .

ألى إخوتي وأخواتي: أسأل الله العليَّ العظيم أن يحفظهم ويحميهم من كلِّ سوء.

إليهم جميعًا أُهْدي هذه الرِّسالة

إقرار:

أقر أنا مُعِدَّة الرِّسالة بأنَّها أُعِدَّت لجامعة القُدْس لِنيل درجة الماجستير، وأنَّها نتيجة بحثي الخاص واطّلاعي الواسع، قمت بجمعه ودراسته، وقمت بالنَّقل والاقتباس من المصادر والمراجع التي لها صلة ببحثي، وأنَّ هذه لرسالة لم تقدَّم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:.....

الاسم: رانيا عز محمد أبو الروس.

التَّاريخ: 21 /2022/5

شكر وتقدير

أحمدُ الله العليَّ العظيم حَمْدًا طيّبًا كثيرًا مباركًا كما أمر، الذي بفضله وتوفيقه تمت هذه الدِّراسة وبفضله وإحسانه تتم الصّالحات.

أتقدَّمُ بالشُّكر الجزيل إلى أستاذي ومعلِّمي **الدكتورمحمد يوسف الديك** لمتابعته رسالتي منذ بداية الدِّراسة وحتى انتهائي منها، ولما بذله من همة واسعة لتدقيق وتصحيح ما كتبته فيها، إذ كان له أكبر الفضل بعد الله تعالى في توجيهي وإرشادي وإخراج دراستي بهذه الصورة. وكان له دور بارز في مساعدتي من أجل الحصول على المعلومات والمصادر والمراجع، ولم يبخل علي بشيء منها، حيث لم يتوانَ عن إرشادي ونصحي فيما يتعلق بدراستي، حفظه الله، وأدامه الله ذخرًا وعَلمًا للعلم وأهله.

وأُقَدِّمُ شكري الخاص لمديري الفاضل الدكتور عيد دحادحة، لتسهيل أموري الإدارية في هذه الدِّراسة.

كما أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور محسن الخالدي والدكتور موسى معطان على قبولهم مناقشة الرسالة وإثرائها بالملاحظات القيمة.

وأَقَدِّم شكري لكل شخص مدَّ لي يد العون والمساعدة والإرشاد، وأقول لهم جميعًا بارك الله فيكم وجزاكم الله عنّا خير الجزاء وجعل الله نصحكم وتوجيهكم في ميزان حسناتكم.

الملخص:

تضمنت هذه الدراسة مقارنة بين تفسيري مفاتيح الغيب لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي ومحاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي، فهناك العديد من الدراسات التي عنيت بتفسير كل من الرازي والقاسمي، من نواح عدة ومجالات مختلفة، فمنهم من درس منهجهما في التفسير، ومنهم من أخذ جزئية من التفسير وبحث فيها.

إذ قامت الباحثة باستقراء التفسيرين من خلال حدود الدراسة المتمثلة بسورتي الأنعام والأعراف، وبيان موقفهما من كل مسألة، ومن ثم كتابة المنهج المقارن، وذلك بعرض الأقوال ودراستها دراسة تحليلية، ومن ثم ترجيح ما تراه الباحثة راجحاً بالدليل، مع بيان أوجه الاتفاق والافتراق بين التفسيرين.

وتوصلت الباحثة إلى أن العلوم الفكرية لا تولد بلحظة، بل هي وليدة أجيال تتعاقب عليها، ويسهم كل منهم بفكرة وخطوة، إلى أن تستقر جذور هذه العلوم، وتتضح حدودها، ويرتفع بناؤها، كما أضاف علماء المسلمين إلى الألوان الأخرى :(التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير الموضوعي)، ولا يعيبهم أن تحدثوا عنه بإيجاز، ولا ينقص من أقدارهم أن عرّفوه بتعريفات غير منضبطة، وسّعت نطاقه، ولم تضبط حدوده، فهي اجتهادات في مجال غير مطروق، ولكل مجتهد نصيب.

توصّلت هذه الدراسة إلى بعد الرازي عن التقليد والتعصب المقيت، بل كان في الأغلب مجتهدا يعتمد على الدليل والنظر، كذلك وُفق الرازي في جل اختياراته للصواب، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها، موافقاً لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين، معتمدا قواعد علمية في الترجيح.

أما منهج القاسمي فقد اتسم بكثرة النقولات في تفسيره، فالكاتب وإن كان يحتاج أحيانًا إلى تدعيم رأيه وما يذهب إليه ببعض النقولات عن العلماء الأثبات، إلّا أنَّ القاسمي رحمه الله تعالى، لم ينقل عن العلماء ما يدعم به رأيه، بل جعل النّقل هو صُلْب الكتاب، فمئات الصفحات في تفسيره ليس له فيها إلّا النَّقل.

comparison between the interpretations of the unknown by Sheikh Al-Islam Fakhr Al-Din Al-Razi and the merits of interpretation by Sheikh Jamal Al-Din Al-Qasimi

Prapred by: Rania Izz Mohammad Abu Al-Roos

Supervisor: Dr. Mohammad Al-Deek

Abstract

This thesis included a comparison between the interpretations of the unknown by Sheikh Al-Islam Fakhr Al-Din Al-Razi and the merits of interpretation by Sheikh Jamal Al-Din Al-Qasimi. There are many studies that have been concerned with the interpretation of both Al-Razi and Al-Qasimi from several aspects and different fields. Some of them studied their approach in interpretation, and some of them took part of the interpretation and researched it.

The researcher extrapolated the two interpretations and stated their position on each issue, and then wrote the comparative approach. This is by presenting the sayings and studying them as an analytical study, and then considering what the researcher deems most likely with evidence, by showing the aspects of similarities and differences between the two interpretations.

بسم الله الرّحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، ومشكاةً للسالكين، سيد ولد آدم أجمعين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فالقرآن هو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة على الناس جميعًا، ختم الله به الكتب السماوية، وأنزله هداية ورحمة للعالمين وضمنه منهجاً كاملاً وشريعةً تامةً لحياة المسلمين قال تعالى: **﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرءَانَ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلمُؤمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُم أَجرا كَبِيرا ﴾** [الإسراء:9].

وعني المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى وقتنا الحاضر عناية فائقة، وإنّ سبب اهتمام المسلمين بالقرآن بالدرجة الأولى هو القرآن، كونه دستور الإسلام0 الخالد والمُخبر عن الماضي والحاضر والمستقبل.

فتضافرت جهود العلماء في خدمة كتاب الله – عز وجل – في استنباط أحكامه ومعرفة المنهج الإلهي القويم .

وقد مرّ علم التفسير بعدة مراحل ومن هذه المراحل مرحلة التفسير في عهد رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ومرحلة التفسير في عهد الصّحابة والتّابعين (رضي الله عنهم وأرضاهم) ومرحلة التّفسير بعد عهد التابعين ، فقام العلماء بتفسيره وتدبره والبحث في أحواله وبيان ألفاظه، ضمن شروط وضوابط وأسس اشترطها علماء التفسير في خدمة القرآن، انتهجها العلماء من هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووفقا للشريعة الإسلامية.

ومن هؤلاء المفسرين فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي صاحب كتاب(مفاتيح الغيب)، الذي يعد من أهم تفاسير المدرسة المنتمية إلى التفسير بالرأي المحمود، حيث عدَه علماء التفسير موسوعة علمية متخصصة في مجال الدين الإسلامي عامّة، وعلم التفسير على وجه الخصوص، والمفسر المعاصر جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي أحد رواد النهضة العلمية الدينية الحديثة ببلاد الشام صاحب كتاب(محاسن التأويل) حيث اتسم أسلوبه بأنّه سهل وواضح، وقريب الفهم، وقد انفرد بكثير من المزايا وتبسيط البحث الذي تعرض له مع جنوح إلى الاجتهاد والاستقلال

في الرأي، فأحببت أن أقارن بين التفسيرين وذلك لبيان أوجه التماثل والتمايز، ومعرفة نقاط الخلاف بينهما، وما إلى ذلك.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، أمّا المقدمة فتناولت فيها أسباب اختيار البحث وأهميته وأهدافه ومشكلته ومنهجه وفصوله والدراسات السابقة فقد أسميت الفصل الأوّل بالفصل التمهيديّ حيث اشتملت خطّة البحث على الآتي:

التعريف بالتفسير لغة واصطلاحاً، التعريف بالتفسيرالمقارن، صلة التفسير المقارن بألوان التفسير الأخرى ، منهج البحث في التفسير المقارن ومعايير القبول والرد للأقوال التفسيريّة، ألوان التفسير المقارن، التّعريف بسورتي الأنعام والأعراف، التناسب بين السورتين، التعريف بالرّازي والقاسمي وتفسيرهما، المقارنة بين تفسير مفاتح الغيب ومحاسن التأويل وموقفهما من علوم القرآن، ومن التفسير بالمأثور، ومن اللّغة والإعراب والبلاغة والنّحو، الشّواهد الشعريّة، آيات الأحكام، ومن ثمّ ذكرت الخاتمة والتوصيات وفهرس الآيات، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وقد افتتحت هذه الرسالة بمقدمة، وفيها:

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي ترتبط بهذا الموضوع الدراسات الآتية:

1-التفسير العلمي عند الإمام الرازي، دراسة تحليلية مقارنة في (مفاتيح الغيب) في النصف الأول من القرآن الكريم، مصطفى إبراهيم حسنين رسلان، اهتم الباحث بمناقشة ما ذكره الإمام الرازي من مسائل علمية في تفسيره، وإبراز ما كان عليه من تقدم علمي ومعرفي، ومسائل الصواب والخطأ في(مفاتيح الغيب)، الآيات التي تناولها الرازي بالتفسير العلمي ومنزلته العلمية ، رسالة ماجستير علميّة بجامعة الأزهر 2015.

2- موقف الرازي من مسائل الأسماء والأحكام في التفسير الكبير، دراسة نقدية في ضوء أهل السنة والجماعة، إيلاف بنت يحيى إمام، رسالة ماجستير في العقيدة في جامعة أمّ القرى 1432هـ ،بينت الباحثة موقف الرازي من معنى الأسماء والأحكام- عرض ونقد-، منهج الرازي في تقرير مسائل الأسماء والأحكام، موقف الرازي من الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما، كما بينت موقف الرازي من الأحكام متعلقة بالإيمان والإسلام والشرك والكفر والشرك والفسق والردة.

3-(الرازي مفسراً)، محسن عبد الحميد رسالة دكتوراة (1392هـ-1972م)، خلص فيها أن الرازي قد أتمّ فيها تفسير القرآن واعتبار تفسيره من سورة الفاتحة حتى سورة الناس له وليس لغيره وقد ناقش في رسالته، قضية إكمال الرازي تفسيره، ومقولة: فيه كل شيء، ومقولة: فيه كل شيء إلا التفسير، وأنه كان يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والجماعة على غاية من الوهن والضعف، وقد فند البحث ذلك.

4-القاسمي ومنهجه في تفسيره (محاسن التأويل)، إبراهيم علي صالح الحسن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين، تحتوي الرسالة على ثلاثة أبواب وعدة فصول، ويتناول فيها الباحث حياة القاسمي وآثاره ويبدأ بعصره الحالة السياسية والدينية والعلمية ثم القاسمي، ونشأته ومولده وعقيدته وتلاميذه، ومن ثم مكانته العلمية ومن ثم الحديث عن التفسير ومصادر القاسمي.

5-التفسير المقارن دراسة تأصيلية، مصطفى إبراهيم المشني، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، حيث تناول فيها الباحث التعريف بالتفسير لغة واصطلاحا والتفسير المقارن ونشأته وألوانه ومنهجية البحث في التفسير المقارن وأمثلة تطبيقية.

6-التفسير المقارن -دراسة تأصيلية -محمود عقيل معروف العاني، كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه، بين فيها الباحث التفسير المقارن وأهميته ونشأته ومدلوله في العلوم الأخرى، وعلاقته بالقرآن والسنة في عهد الصحابة والتابعين ومنهجيته وخدمة علماء التفسير له، وألوانه، كما وضح الباحث مناحيه وخطواته العلمية ونماذج تطبيق حوله.

ومن خلال الدراسات السابقة نلاحظ أنّ هذه الدراسات عنيت بتفسير الرازي والقاسمي من نواح عدة وفي مجالات مختلفة، فمنهم من درس منهجهما في التفسير، ومنهم من أخذ جزئية من التفسير وبحث فيها، وتختلف هذه الدّراسة عمّا سبق أنّها عنيت بالمقارنة بين تفسيري الرّازي والقاسمي وأنّها تختص فقط بسورتي الأنعام والأعراف .

أسباب اختيار البحث:

1- خدمة كتاب الله – عز وجل- حيث إنّه شرف لكل مسلم أن ينتسب لكتاب ربه.

2- رفد المكتبة الإسلامية بكتاب جديد في مجال التفسير المقارن.

3-التطبيق العملي للتفسير المقارن.

أهمية الدراسة:

1- تبرز الفروق المنهجية في التفسير بين عالمين بارزين ولكل منهما لون خاص في التفسير.

2- تتعلق بسورتين فيهما الكثير من معاني العقيدة والأحكام والقصص.

3- تبين منهج مفسرين من أساتذة التفسير قديما (الرازي) وحديثا (القاسمي)، كون هذين المفسرين يعالجان قضايا سياسية واجتماعية وأخلاقية.

4-يعتبر التفسير المقارن أساس تأصيل الدراسات القرآنية إذ بدوره الفعّال يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم القرآنية، ويعرضها على أساس توجيهاتها المتمثلة بجوانب عدة.

مشكلة الدراسة :

إذا كان منهج الرّازي والقاسميّ ، مُحدّد المعالم لكل منهما فهل المقارنة بينهما من خلال سورتي الأنعام والأعراف يُساهم في ضبط أوْجه الاتفاق والاختلاف بينهما وينبثق عن هذا السؤال أسئلة الدّراسة الآتية :

1- ما تعريف التفسير المقارن؟

2- ما أهم محاور سورتي (الأنعام والأعراف)؟

3- هل هناك تناسب بين سورتي (الأنعام والأعراف)؟

4- ما منهج الرازي في التفسير ؟

5- ما منهج القاسمي في التفسير ؟

6- ما أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفسرين من خلال السورتين الكريمتين ؟

أهداف الدراسة:

1- التعريف بالتفسير المقارن.

2- أهم محاور سورتي (الأنعام والأعراف).

3-ذكر التناسب بين سورتي (الأنعام و الأعراف).

4- بيان منهج الرازي في التفسير.

5- بيان منهج القاسمي في التفسير.

6- بيان أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفسرين من خلال السورتين الكريمتين.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة مناهج البحث المتمثلة بما يأتي:

1- المنهج الاستقرائي الوصفي: وذلك من خلال استقراء التفسيرين، وبيان موقف المفسرين من كل نقطة.

2-المنهج المقارن: وذلك بعرض الأقوال ودراستها دراسة تحليلية، وترجيح ما تراه الباحثة راجحاً بالدليل، مع بيان أوجه الاتفاق والافتراق بين التفسيرين.

إجراءات البحث:

1-جمع الآيات.

2-تفسير الآيات.

3-عرض الأقوال ودراستها.

4-الترجيح مع بيان أوجه الاتفاق والافتراق بين التفسيرين.

5- توثيق المادة العلمية في البحث كما يأتي:

- توثيق الآيات حسب ورودها في المصحف وذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث الواردة في البحث حيث اعتمدت الباحثة الأحاديث الواردة في الصحاح.
- نسبة المنقول من النّصوص إلى مواطنه في المصادر والمراجع والكتب التي تم الاستفادة منها مع الإشارة إلى رقم الجزء والصفحة إن وجد.

- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث.
- عمل فهارس وملاحق.

الفصل الأول: الفصل التمهيدي

المبحث الأول: التعريف بالتفسير.

المبحث الثاني: صلة التفسير المقارن بألوان التفسير الأخرى – وبيان أهميته – منهج البحث فيه ومعاييره.

المبحث الثالث: التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف.

الفصل الأول: "الفصل التمهيدي" ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير لغة:

اختلف علماء العربية في أصل لفظة (التفسير) علمًا أنّ مادتها متكوّنة من الأحرف الثلاثة الفاء والسين والراء والتي تدل على بيان شيء وإيضاحه ومن ذلك الفَسْر، فَسَرْتُ الشّيء وفسّرْته[1].

التّفسير لغةً: من (فَسِرَ) الفاء والسين والرّاء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسْر. يقال: فسرَتُ الشّيء وفسّرْته والفَسْرُ والتّفسرة : نظرُ الطّبيب إلى الماء وحُكْمُه فيه .([2]) .

قال الراغب: الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول [3].

الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيء يفسِره(بالكسر) ويُفْسِره (بالضم) فَسْراً وفسّره أبانه والتفسير مثله، والفَسْرُ: كشف المُغطّى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشْكِل[4].

وقال ابن الأنباري: قول العرب فَسَرْتُ الدابة وفَسّرْتها إذا رَكَضْتها محصورةً لينطلق حصرها وهو يُؤَوّل إلى الكشف أيضا فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن الفهم به، وقال آخرون: هو مقلوب من سَفَرَ ومعناه أيضاً الكشف يقال سَفَرَتِ المرأة سُفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها، وأسفر الصبح أضاء.

---

[1]–ينظر: القزويني، أحمد بن فارس، (ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة،(405/4)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر– 1399هـ –1979 م.

[2]) القزويني ،أحمد بن فارس ، ص (504/4) مرجع سابق .

[3]–الأصفهاني: أبو القاسم الحسين، (ت:502هـ)المفردات في غريب القرآن (636/1)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية –دمشق بيروت، ط:الأولى : 1412هـ.

[4]–ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، لسان العرب، (55/5)، دار صادر – بيروت، ط: 3، 1414هـ.

وإنّما بنوه على التفعيل فقالوا (التفسير) للتكثير كقوله تعالى (**وغلّقت الأبواب**)[يوسف:23]. (**يذبّحون أبناءكم**)[البقرة :49]. فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية[1].

وقيل هو مأخوذ من مقلوبه، تقول العرب: سَفرت المرأة إذا كشفت قناعها عن وجهها، وسفرْتُ إذا كنسته، ويقال للسّفَرِ سَفَر لأنّه يسْفِرُ عن أخلاق الرجال[2].

يتبين لنا من خلال ما تم عرضه أنّ كلمة التفسير لغة أيّاً كانت مادتها تعني التوضيح والإظهار والكشف مطلقا، وهذا ما نص عليه الذهبي: "من هنا يتبين لنا أنّ التفسير يستعمل لغة في الكشف والبيان الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول؛ فالمعنى اللغوي لتفسير القرآن هو توضيح معانيه وإظهارها والكشف عن مرادها "[3].

التفسير اصطلاحاً:

قيل: هو علمٌ يبحث فيه القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية [4].

وقال الثعلبي: كشف المنغلق من المراد بلفظه وإطلاق المُحْتبس عند فهمه، قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصتها، والأسباب التي نزلت فيها [5].

---

[1]–الزركشي، أبو عبد الله، (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن (147/2)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط:الأولى، 1366هـ –1957م.

[2]–الفيروز أبادي، مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (79/1)، تح : محمد علي النجار، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، ج، 1، 2، 1416 3هـ– 1996م، ج، 5، 4، 1412هـ – 1992م، ج، 6، 1393هـ –1973 م.

[3]–الذهبي، د.محمد السيد، (ت:1398هـ)، التفسير والمفسرون، (12/1)، مكتبة وهبة – القاهرة.

[4]–الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت:1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (3/2)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 3.

[5]–الثعلبي، أحمد بن محمد، (ت:427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن،(87/1)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.

التفسير: في الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة [1].

وأمّا الرسم في الاصطلاح: التفسير علمٌ يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[2].

وقال ابن جُزيّ: «معنى التفسير: شرح القرآن، بيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه»[3].

وتبيّن لنا أنّ التفسير اصطلاحًا هو الكشف والتوضيح والإظهار بكل ما يتعلق بالآية القرآنية من معنى، ومدلول، وأحكام، وسبب النزول، وتتمات ذلك.

المطلب الثاني: التعريف بالتفسير المقارن لغة واصطلاحاً:

المسألة الأولى: التفسير المقارن (لغةً) واصطلاحاً:

اشتمل مصطلح المقارن على معانٍ عدَّة يَحسُنُ الوقوفُ على معانيها قبل تركيبها لتكون مدخلاً موضحاً للمعنى الإضافي الركبُ لهذا المصطلح الوليد.

---

[1]–الجرجاني، علي بن محمد، (ت:816هـ)،التعريفات (63/1)، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: الأولى 1403هـ–1983م.

[2]– الأندلسي، أبي حيان محمد، (ت:745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (26/1)، تح صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط:1420.

[3]–ينظر: ابن الجزّي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، (ت:741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل ، تح: د. عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط :الأولى–1614هـ.

[4]– ابن الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقران الكريم، (21/1)، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، 1432هـ

فأصلُ كلمة [المقارن] بعد تجريدها من الزوائد[قَرَنَ]، قال ابن فارس: القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمعِ شيء على شيء والآخر شيء يَنْتَأُ بقوة وشدة [1].

[المقارنة]: قارنه قِراناً ومقارنة أي: صار له قَريناً[2].

[قَرَنَ]: بين القول والعمل/ قَرَنَ القول بالعمل : جمع بينهما " قَرَنَ الفلّاحُ الثَّورين " جمعهما في حبل – قرن بين عملين: أدّاهما معاً – قَرَنَ الإشارة بالكلام ".

قَرَنَ الشيءُ إلى الشيء: وصله وشدّه إليه "قَرَنَ عربة القطار إلى القاطرة"[3].

[القرين]: المقارِن والمصاحِب والزوج والبعير المقرون بآخر والأسير (ج) قرناء[4].

وقَرَنَ بين الحج والعمرة قِرَاناً، وقَرَنت البعيرين أَقْرُنَهُما قَرْناً إذا جمعتهما في حبل واحد، وذلك الحبل يسمى القران، قوله تعالى ﴿**مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾[إبراهيم: 49]، واقترن الشيء بغيره. والقِران: أن تقرِن بين التمرتين تأكلهما[5].

والقَرينُ: المُصاحب، والقرينان أبو بكر وطلحة – رضي الله عنهما– لأنّ كعب بن مالك ، آخى طلحة، أخذهما فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين[6].

---

(1)– ينظر: ابن فارس ، أحمد بن فارس ،(ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة، (76/5) .

(2)– الحميري، نشوان بن سعيد،(ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (5475/8)، تح: د.حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني –يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر(بيروت–لبنان)، دار الفكر (دمشق–سوريا)، ط: الأولى1420هـ– 1999م.

(3)– عبد الحميد، أحمد مختار(ت:1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة (1804/3)، عالم الكتب، ط:الأولى، 1429هـ – 2008م.

(4)– مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (631/2)، دار الدعوة.

(5)–الجوهري، أبي نصر إسماعيل، (ت:393هـ)، منتخب من صحاح الجوهري (4139/1).

(6)– ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، (ت:774هـ)، جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن(405/4).

(7)– ينظر: ابن منظور،محمد بن مكرم ، لسان العرب، (337/13) .

القَرَن بالتحريك: التقاء الحاجبين. وقيل: أزَجَّ أقرن: أي مقرون الحاجبين، والقرون: الذي يجمع بين التمرتين في الأكل، والقرون من الإبل: هي التي تضع خفَّ رجلها موضع خفَّ يدها، وكذلك الخيل وقيل القرن والقرين: البعير المقرون بآخر[1].

[والقِرْن بالكسر]: الكفء والنظير في الشجاعة والحرب، ويجمع على أقرانه، والقرين يكون في الخير والشر. ولذلك فالشيطان قرين الإنسان فهو مقرونٌ به لا يفارقه. وفي حديث ثابت بن قيس: [بئسَ ما عوَّدتم أقرانكم] أي نظرائكم وأكفائكم في القتال.

[والقرن]: مثلك في السن، تقول: هو على قرني، أي على سني وبالفتح والكسر، إذا كان مثله في الشجاعة والشدة. والقرن: الأمة تأتي بعد الأمة، قيل: مدته عشر سنين، وقيل: عشرون سنة، وقيل :ثلاثون سنة[2].

ويتبيّن لنا أنّ المقارنة تجمع بين شيئين والوصل بينهما حتى نصل في آخر طوافنا إلى نقاط التباين والاختلاف، وذلك وفق وزنهما بميزان العلم والمنطق ومنهج علمي يميز لنا الغث والسمين والصحيح والسقيم.

المسألة الثانية: التفسير المقارن في الاصطلاح:

بالرغم من عدم ذكر المعجمات القديمة لهذا المعنى، فقد أطلق هذا اللفظ على علوم كثيرة مثل "الأدب المقارن" و"الفقه المقارن" بل لا تكاد تخلو البحوث والرسائل العلمية من المقارنات العلمية.

وقد عرّفه الكومي في كتاب "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" فقال: "التفسير المقارن وهو بيان الآيات القرآنية "على ما كتبه جمع من المفسرين بموازنة آرائهم، والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عمّا

---

(1)- ابن منظور، محمد بن مكرم ،لسان العرب ، (338/13) .

([2])ينظر؛ الأزهري الهروي، أبو منصور، محمد بن أحمد،(ت:370 ه)، تهذيب اللغة، (85/9-98)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط :الأولى 2001م، الجوهري، أبو نصر إسماعيل، (ت:393ه)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (179/6)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:4، 1407ه- 1987م، ابن سيدة، أبو الحسن علي، (ت:458ه)، المحكم والمحيط الأعظم، (364/6-365)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، 1421ه- 2000م. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (13\340-33)، دار صادر- بيروت، ط: الأولى

عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث، وما يكون من ذلك مؤتلفاً أو مختلفاً من الكتب السماوية الأخرى" [1].

وعرّفه آخر: بأنّه تفسير يتناول فيه المفسر الآيات بأسلوب المقارنة، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وفيه إلمام بأقوال المفسرين، وإدراك من قِبل المفسر الذي لم يخرج عن روح النص والغرض الأساسي من الآيات الكريمة، عن المفسر الذي تعسّف في تأويل هذه الآيات وحملها ما لم تحتمل، أو لم يدرك المرمى اللغوي للكلمة القرآنية فانحرف بها عن دلالتها وأوّلها غير تأويلها الصحيح[2].

وقد ذكر الدريني أنّ "مقارنة الرأي بالرأي: مقابلته أو موازنته به، ليعرف مدى اتفاقهما أو اختلافهما، وأيهما أقوى وأسدّ بالدليل" وهو لا يخرج عن أصل المعنى اللغوي[3].

وكما عرّفه المشني بأنّه الموازنة بين آراء المفسرين في بيان الآيات القرآنية، والمقارنة بين مناهجهم ومناقشة ذلك وفق منهجيّة علميّة موضوعية، وتفصيل ذلك:

أمّا الموازنة: فهي المقابلة بين آراء المفسرين وأقوالهم بغية الوقوف على أوجه التماثل والتباين والاختلاف والائتلاف.

وآراء المفسرين: تعني استحضار آرائهم وأقوالهم وتفاسيرهم متنوعة، وما ورد في الآية الكريمة أو الآيات ذات الموضوع الواحد، والقصد من معاني الآيات ودلالتها وموضوعاتها؛ معاني الألفاظ والبيان والإعراب والقراءات والأحكام والقصص وغير ذلك مما دلت عليه الآيات القرآنية.

أمّا الموازنة بين أساليب المفسرين وطرقهم في عرض المادة العلمية، فجاء اعتبارًا بمدارك المخاطبين وتفاوت مستويات أفهامهم، ويقتضي هذا الوقوف على أساليب عدة منها: الإيجاز، والإطناب، والاختصار، والجزالة، والرصانة، والتكرار، والتغاير في الألفاظ في المواضع المتشابهة[4].

المطلب الثالث: نشأة التفسير المقارن:

نشأة التفسير المقارن وتطوره:

---

(1)–الكومي ، أحمد السيد الكومي ، ومحمد أحمد يوسف القاسم ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص 17) ، ط: 1.

(2)–مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (53/1)، دار القلم، ط:4، 1426هـ– 2006م.

(3)– الدريني، الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب، ص5، مطبعة طربين، 1980).

(4)–ينظر،المشني،مصطفى إبراهيم ، (التفسير المقارن دراسة تأصيلية) (148، 149)، ربيع الأول 1427هـ – 2006م.

اجتهد المسلمون قديماً وحديثاً في النظر والتدقيق في دلالات الآيات القرآنية؛ بغية تحديد ما يستقيم منها مع النظم، ولا شك أن الاختلاف في فهم الآيات القرآنية في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكن ليعتد به، ذلك لوجوده صلى الله عليه وسلم بينهم وقوله حكماً فيصلاً ينتهي به الاختلاف إن وقع، كما ورد في حديث البراء، عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا حجّاج بن منهال، حدثنا هُشيم، قال: أخبرني حصين بن عبد الرحمن عن الشعب، عن عدي بن حاتم، قال: لما نزلت﴿**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ**﴾[البقرة:187] عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله صلى الله ليه وسم فذكرت له ذلك فقال:« إنّما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[1]، فلمّا انتفى الاختلاف[2] الذي هو ركن التفسير المقارن، فلم يكن لهذا التفسير وجود.

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي بدأت خيوط الاختلاف تظهر في فهم الصحابة للقرآن الكريم وذلك لأنَ النبي صلى الله علي وسلم لم يفسر القرآن كاملاً على الصحيح[3].

فالحاجة مستمرة لفهم كتاب الله، فلجأ الصحابة إلى إعمال عقولهم في النصوص القرآنية، وكانت هذه المرحلة بداية نشوء التفسير بالرأي فالاختلاف وجد في عصر الصحابة ثم اتسع في العصور التي تليها وكان يرجع الاختلاف في أقوالهم إما لعمق الفهم مثل تأويل ابن عباس – رضي الله عنه – لسورة النصر، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس أنّه قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنّه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أعلمه له، قال: (إذا جاء نصر الله والفتح)، وذلك عامة أجلك، (فسبح بحمد ربك

---

[1]–البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،(28/3)، تح:محمد زهير بن الناصر، دار توق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:الأولى، 1422هـ.

[2]–كان يوجد خلاف بين الصحابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الخلاف كان ينتهي ويحسم بما يصدر عنه.

[4]– ليس هنا محل تفصيل هذا الخلاف، ينظر للتوسع، الذهبي، دكتورمحمد السيد حسين، (ت:1398هـ)، التفسير والمفسرون، (53/1–60)، مكتبة وهبة، القاهرة.

واستغفره) فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول" [1] فلا يعد اختلافًا حقيقيًا فذهب جمع الصحابة إلى ظاهر السورة بينما ذهب ابن عباس إلى ما وراء الألفاظ.

والنوع الثاني من الاختلاف اختلاف تضاد وهو اختلاف تتعارض فيه الأقوال، بحيث يمتنع اجتماعها كاختلافهم في تحديد (الصلاة الوسطى) من قوله تعالى﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ**﴾[البقرة : 238] [2].

فكانت البذرة الأولى التي نشأ منها (التفسير المقارن) وذلك لأنّ الاختلاف (ركن التفسير المقارن) وذلك لما فيها من جمع الأقوال ودراستها ثم الموازنة بينها وعرض أدلتها ومناقشتها.

واتسع الاختلاف في عصر التابعين وذلك تبعا لاتساع دائرة الاجتهاد، ثم بدأ التفسير يدخل مرحلة جديدة من مراحل تطوره، هي مرحلة التدوين، وقد كان بابا من أبواب الحديث ثم انفرد واستقل بتأليف خاصة ومنها ما غلب عليه طابع العناية ببيان معاني الآيات بشيء من الإيجاز كتفسير مجاهد (ت: 104هـ)[3].

ثم خطا التفسير خطوة أخرى، حين ظهر تفسير (يحيى بن سلام) الذي اهتمّ فيه ابن سلام – رحمه الله – بذكر أكثر من قول في تفسير الآيات غير أنا لا نجد فيه توجيها للأقوال المختلفة، ولا ترجيحًا بينها إلا أن هذا التفسير يذكر الأقوال غير مسنودة إلى أصحابها، وأنّه لا يعقبها بالنقد الذي هو جانب من جوانب (التفسير المقارن) فلا نعده بداية للمنهج النقدي.

ومن الجدير ذكره أنْ اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومناهجهم في التفسير، اختلفت تبعاً لاختلاف مشاربهم، فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقدية، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية، ومنهم من توسع في القصص، ومنهم من غلبت عليه نزعة التصوف ومنهم من توسع في المواعظ وآيات الله في الأنفس والآفاق وغير ذلك.

---

[1]–صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره)، حديث رقم (4588)، (13/ 354).

[2]– ليس هنا محل تفصيل الاختلاف، للاستزادة ينظر، الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، [البقرة 238]، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ – 2000م.

[3]–التفسير الذي بين أيدينا المعروف بـ (تفسير مجاهد)، ليس من تأليفه ولا إملائه، فقد قام بجمعه بعض تلاميذ مجاهد المتأخرين، وهو من رواية أبي القاسم عبد الرحمن أحمد بن محمد بن عبيد الهمذاني وينتهي سنده إلى مجاهد، عن طريق إبراهيم عن آدم عن ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد، وهذا معظم طرق إسناده، وهناك طرق أخرى. ينظر: جميلة الفزاني، مجاهد رضي الله عنه ومنهجه في التفسير– رسالة ماجستير، ص(193، 194)، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور: د. أحمد غلوش، 1403هـ)ينظر، (روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، أ. د. فضل عباس، ص53، دار النفائس، 1436هـ– 2105م.

واستمرت الحركة الفكرية عند المسلمين من عصر النبوّة حتى عصرنا الحديث الذي امتاز بالتقارب بين الأجناس، ووسائل الاتصال فيه بين الأمم والشعوب وما زال المفسرون يتبعون مناهج التفسير كما في السابق من تفسير حقائق كشف عنها التقدم في عصرنا الحالي وكلها محاولات فيها اجتهاد يسير في إطار الآية القرآنية[1].

إن أقدم التفاسير التي عرفت بالسير على طريقة (التفسير المقارن) سماها الشيخ الفاضل ابن عاشور بطريقة (التفسير النقدي)، هو تفسير الإمام الطبري – رحمه الله – (ت: 310هـ) فقد كان الطبري أول من سار على هذه الطريقة في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) إذ إنّه عند تفسيره لآية وقع في معناها خلاف بين أهل التأويل يصرح بوقوع الخلاف، ويعرض الآراء جميعها، ويذكر الأسانيد المنتهية إليهم، ويناقش الأقوال ويقابل بينها ويوجهها مرجحًا في نهاية المطاف ما يراه، بقوله (والصواب في ذلك عندي)، مقدمًا أدلة ترجيحية، كالاستدلال بما فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– أو بالسياق، أو بالاحتكام إلى كلام العرب والشعر القديم، وغيرها من الأدلة، ففي قوله تعالى: **(وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن)** [البقرة: 323]، ابتدأ بتصوير الحكم الذي نزلت به الآية، ثم قال: أختلف أهل التأويل في الرجل الذي كان فعل ذلك فنزلت فيه الآية، فقال بعضهم: معقل بن يسار المزني. ثم قال: " ذكر من قال ذلك، وأورد على التتابع أحد عشر حديثًا، ثم قال: " وقال آخرون كان ذلك الرجل جابر بن عبد الله الأنصاري ذكر من قال ذلك " وأورد حديثًا واحدًا ثم: " وقال آخرون نزلت دلالة على نهي الرجل عن مضارّة ولّيته. ذكر من قال ذلك"، وأورد ستة أحاديث، ثم عقب جميع ذلك بقوله: " قال أبو جعفر والصواب من القول في هذه الآية أن قال: إن الله تعالى ذكره أنزلها دلالة على تحريمه على أولياء النساء مضارّة من كانوا له أولياء من النساء وقد يجوز أن تكون نزلت في أمر معقل بن يسار أو في أمر جابر بن عبد الله وأي ذلك كان فلآية عن ما ذكرت[2].

وسار على نهجه في عرض الأقوال ومناقشتها، ومن ثم التوجيه والترجيح مع التفاوت فيما بينهم من حيث التوسع والإيجاز جمع من المفسرين، ومن هؤلاء: الماوردي في (النّكت والعيون)، وابن عطية في (المحرر الوجيز) وابن الجوزي في (زاد المسير)، والرازي في (التفسير الكبير)، والألوسي في (روح المعاني).

---

[2]–ينظر،محمود ، منيع عبد الحليم ، (ت:1430هـ)، مناهج المفسرين، (8/1)، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني– بيروت، (1421هـ– 2000م).

[1]–ينظر، ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله(ص44، 45)، 1317هـ– 1997م. روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص56.

وكان أول ظهور لمصطلح (التفسير المقارن) بعد منتصف القرن الماضي؛ في مادة مقررة كانت تدرس لطلاب الدراسات العليا في الأزهر الشريف.

كما اعتنى ابن عاشور بقواعد التفسير والترجيح وذلك ما ذكره في المقدمة التاسعة فيما يتعلق بالمفردة القرآنية "من أنّ اللفظ إذا احتمل معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها".

وكذلك الشنقيطي اعتنى بالقواعد الترجيحية في تفسيره ونص عليها، ومن أكثر تلك القواعد قاعدة (القول الذي تؤيده الآيات القرآنية أولى من غيره) ولذا سمى تفسيره بـ(أضواء البيان في تفسير القرآن)[1].

[1]–النّعيم ،عبير بنت عبد الله ، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير– دراسة تأصيلية،– (118)، تقديم، أ. د. فهد عبد الرحمن الرومي، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1436هـ – 2015م.

وآخر هذه الجهود كان بحثاً للدكتور مصطفى المشني، بعنوان (التفسير المقارن– دراسات تأصيلية)[1].

وقد تناول فيه تعريف (التفسير المقارن) ونشأته وألوانه، ومنهجية البحث فيه، ثم تحدث عن أدلة الترجيح، بين أهميته، ممثلاً عليه بأمثلة تطبيقية.

ومن تلك الجهود التي تضافرت حول (التفسير المقارن) كتاب التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق لروضة فرعون الذي قدم كرسالة ماجستير حيث تناولت فيه الباحثة تعريف التفسير المقارن وألوانه ونشأته وصلته بألوان التفسير الأخرى، منهجيته، معاييره وأهميته.

ومن الملاحظ أنّ مادة (قرن) وردت في القرآن الكريم على معانٍ عدّة منها:

أولا :أنّها بمعنى الصاحب المقارن قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾[النساء:38].

ثانياً: أنها بمعنى الاقتران﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾[إبراهيم:49].

ثالثاً: أنّها بمعنى الطاقة والتحمل ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾ [الزخرف:13] [2].

من منهج القرآن الكريم: الموازنة والمقارنة بين الأضداد ليتبيّن الفرق، فكثيراً ما يقابل بين المؤمنين والكافرين، فهناك مقارنات عقدها القرآن الكريم بين المؤمنين والكافرين أو بين المؤمنين والفجار أو بين المهتدين والمنافقين

كما في قوله تعالى ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ16 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[محمد:16، 17][3].

ووردت مقارنة في الجانب العقدي ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة:19].

---

[1]– ينظر، روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ، ص57.

[2]–الإيجي، محمد بن عبد الرحمن،(ت:905هـ)، تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، (26/7، 740/13، 556/20)، دار الكتب العلمية– بيروت، ط:الأولى، 1424هـ–2004م.

[3]–الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (112/26)، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط:2، 1418هـ.

وأيضًا مقارنة بين المعتقدات كما في قوله تعالى:﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:72]**،

ومن جملة الأخلاق التي حثّ عليها القرآن، الاقتصاد في الإنفاق كما في قوله تعالى﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾[الفرقان:67]، ومقارنة في القصص القرآني وأخرى في ضرب الأمثال مثل قوله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256][1].

ويتبيّن لنا أنّ الاختلاف في تأويل المعنى المراد من الآيات ومثاله نشأ في حال حياته صلى الله عليه وسلم فيحسم عنده صلى الله عليه وسلم فلا يطلق على هذا الاختلاف اسم(التفسير المقارن) لأنّه لا يؤبه بقول سواه، ومن ثم اتسع الاختلاف في عصر الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم إلى أنّ أصبح التفسير علماً مستقلا تضافرت الجهود حوله، وكان الإمام الطبري –رحمه الله– أول من سار على هذه الطريقة وسار من بعده، جمع من علماء التفسير، ومن ثم توالت جهود آخرين من المعاصرين في البحث حول تعريفه وأهميته ونشأته وتطوره وعمل أبحاث ورسائل وكتب حوله.

(1)–الجربوع، عبد الله بن عبد، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، (161/1)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط :الأولى، 1424هـ / 2003م.

المبحث الثاني: صلة التفسير المقارن بألوان التفسير الأخرى –أهميته– منهج البحث فيه ومعاييره، وألوانه، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صلة (التفسير المقارن) بألوان التفسير الأخرى وبيان أهميته:

قسم العلماء (التفسير) تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفة، وهي تقسيمات اجتهادية، ترجع إلى الزاوية التي ينظر منها إلى (التفسير)، وينقسم التفسير باعتبار أساليبه إلى أربعة أقسام:

1–التفسير التحليلي.

2–التفسير الإجمالي.

3–التفسير المقارن.

4–التفسير الموضوعي[1].

وفيما يلي بيان للصلة التي تربط (التفسير المقارن) بالألوان الثلاثة الأخرى:

أولاً : صلة (التفسير المقارن) بـ (لتفسير التحليلي):

وهذه الصلة تفسر عن نفسها إذا علمنا أنّ المفسر الذي يعنى باللون التحليلي يعمد إلى الكشف عن معاني الآيات القرآنية، بالسير مع المصحف آية آية، يحلل أجزاءها، يقف عند كل كلمة، ويشرح الغريب، ويبين الدلالات والأحكام مستعينًا بأسباب النزول، وما أثر عن النبي(صلى الله عليه وسلم) [2]وغيرها من أدوات الفهم، والمفسر في هذا اللون قد يواجه اختلافاً بين المفسرين في تحديد دلالة كلمة من كلمات الآية، أو حكم من أحكامها، وهنا يبدأ عمل المفسر المقارن، بدراسة هذه الأوجه التي وقع فيها خلاف بين المفسرين مما له علاقة مباشرة بالكشف عن معنى الآية، ليخلص إلى الوجه الراجح بينها فقد يبدأ باللون التحليلي وينتهي باللون المقارن(❁).

---

[1]– الطّيار، فصول في أصول التفسير، ص32، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: الثانية، 1423هـ. روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص58، مرجع سابق.

❁ يعمد المفسر بهذا الأسلوب التحليل في الآية، فيبين سبب نزولها، وبيان غريبها، وإعراب شكلها، وبيان مجملها. إلخ، ومن أمثلته: تفسير ابن عطية والألوسي والشوكاني وغيرهم، د.مساعد بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، ص33، مرجع سابق.

إمّا إذا اتخذ المفسر منهج المقارنة منذ البداية فهو بحاجة إلى التفسير التحليلي، إذ إنّه سيتجه إليه؛ ليجمع أراء أصحابه في الآية أو الآيات، ثم يقارن بين المختلف منها، وعلى هذا (فإن التفسير التحليلي) يعد عنصراً من عناصر (الباحث المقارن)[1].

ثانيًا: صلة (التفسير المقارن) بـ (التفسير الإجمالي) [2]

يقوم المفسر بجمع دلالات الأجزاء كلها، ولا يقف عند كل جزء من الآية، ثمّ يصوغها بأسلوبه الخاص، ليعطي معنى عامًا للآية.

وهذا التفسير يحمل رأي صاحبه، على سبيل الإجمال؛ ذلك أنّ الرأي المجمل تكوّن من دلالات أجزاء الآية التي ارتضاها المفسر، فبنى منها معنى مجملاً، ونجد بعض المفسرين خالفه في رأيه الذي اختاره وذهب إليه، وبهذا يدخل رأيه ضمن الآراء التفسيرية المختلفة، التي يجمعها الباحث المُقارن ويوازن بينها[3].

ثالثاً: صلة (التفسير المقارن) بـ (التفسير الموضوعي)[4].

يقوم المفسر بدراسة موضوع ما في التفسير الموضوعي، فيبث المفسّر رأيه في ثنايا دراسته، فيرسم موقف القرآن من خلال فهمه للآيات التي شكلت الموضوع، وإذا اختلف معه مفسر في هذا الفهم، فستختلف تبعاً لذلك الصورة الكلية للموضوع عنده، وهذه مادة دسمة للباحث المقارن، ليوازن بين الآراء تجاه الموضوع القرآني الواحد، وكذلك للمفسر في التفسير الموضوعي، إذ يحتاج في بعض الأحيان للتفسير المقارن [5].

---

[1]–ينظر، فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص11، 12، مرجع سابق.

[2] بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها. ومن أمثلته: تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وتفسير المكي الناصري، وتجده [19] كذلك في تفسير المراغي وأبي بكر الجزائري تحت عنوان «المعنى الإجمالي». د. مساعد بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، ص32.

[3]–ينظر: روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص60، مرجع سابق.

[4]–يعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة، أو جملة، أو موضوع في القرآن، وهو أقسام، أن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله ؛كموضوع(صفات عباد الرحمن في القرآن)، أن يكون عرض الموضوع من خلال سورة ؛ كموضوع (الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات)، أن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية، ويبين معانيها في القرآن؛ كلفظة (الأمة في القرآن، وجملة ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ [المائدة:52]، د. مساعد بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، ص34.

[5]–ينظر: روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص61، مرجع سابق.

فالمفسر وفق المنهج الموضوعي قد يحتاج إلى المقارنة والترجيح، وكذلك المفسر المقارن قد تعرض له أقوال تفسيرية مختلفة في موضوع قرآني واحد، فيوازن بينها ويوجهها.

ويتبين أنّ الصلة بين تلك الألوان التفسيرية وثيقة الارتباط، فهذه الألوان تختلف لكنها لا تفترق، وتتعدد ولكنها لا تتعارض، فهي كالجسد الواحد تتكامل وتتعاضد لتصل إلى المعنى المراد الوصول اليه من كلام الله – تعالى – ولتكشف عن ذلك المعنى فالهدف واحد وإن تعددت الألوان.

المطلب الثاني: أهمية التفسير المقارن:

تظهر أهمية (التفسير المقارن) في عدة نواحٍ:

1–تقدير الحاجة إلى الحكم على الأقوال التفسيرية، لمّا كثرت وجوه التأويل وتعددت الروايات، وجد طالب التفسير نفسه أمام سبل متفرقة لا يدري أيها يسلك، ولا تكون محصلته بعد إطلاع على هذه الأقوال الكثيرة إلّا كما كانت قبل وهنا تبرز الحاجة للتفسير المقارن.

2–تصحيح مسار التفسير، وضبطه بقواعد علمية مدروسة، وتخليصه من الأقوال الضعيفة المبنية على أسس غير سليمة.

3– أنّ الباحث المقارِن متى تعامل مع أقوال المفسرين وسجل أدلتهم، واكتشف طرقهم في الاستدلال والترجيح، فإنه بذلك يدل على مدى اهتمامهم بالقرآن وسعة علمهم ومكانة المفسرين وعلى أنهم ما كانوا يفسرون القران بالهوى بل بالدليل والحجة.

4– تورث الباحث ملكة التمحيص، والنظر في هذه الاقوال بعين البصير الناقد، وَفْقَ قواعد علمية صحيحة مما تحقق لديه النزاهة والموضوعية.

5– التفسير المقارن هو الذي يثري الدراسات القرآنية وليس العكس .

المطلب الثالث: منهج البحث في التفسير المقارن ومعايير القبول والرد للأقوال التفسيرية:

ويتمثل هذا المنهج في جانبين أساسيين:

1. الجانب الأول: خطوات البحث في التفسير المقارن.

2.الجانب الثاني: أمور ينبغي على الباحث المقارن أن يراعيها.

الجانب الأول: خطوات البحث في التفسير المقارن:

وهذه الخطوات بالترتيب هي:

♦ تحديد الآية المراد دراسة أقوال المفسرين فيها، مع الإشارة إلى موضع الخلاف.

♦ الاطلاع على آراء المفسرين في الآية موضوعَ البحث: وإن أمهات التفسير في العادة تفي بالغرض.

♦ جمع الأقوال المختلفة في الآية اختلافاً حقيقياً معتبراً، واستبعاد الأقوال المختلفة اختلاف تنوّع، والأقوال الواهية التي لا يعتدّ بها، ولا تستحق النظر.

♦ تحليل هذه الأقوال وفهمها؛ للوقوف على حقيقة آراء أصحابها.

♦ تصنيفا في أقوال رئيسية، ثم عرضُها، مع إسناد كل قول إلى صاحبه.

♦ سوق أدلَة كل قول ما أمكن ذلك؛ فقد يتعذر على الباحث – في بعض الأحيان– أن يجد الدليل الذي اعتمد عليه بعض المفسرين.

♦ بيان وجوه استدلال المفسرين بتلك الأدلّة، وفيها كيفية فهم المفسر للدليل الذي استدل به، فتصوّر فيه شاهداً يصلح لتأييد قوله، ومعرفة الأدلة ووجوه الاستدلال بها أمر عظيم في مناقشة أقوال المفسرين والحكم عليها، ومن ثم الترجيح، إذ بقوة الأدلة تعرف قوة الأقوال التي بنيت عليها، ويتمكن الباحث من الحكم على تلك الأقوال.

♦ تحرير محل النزاع، ولا يكون إلا بعد جمع الأقوال وعرضها لأن عرض الأقوال من شأنه أنْ يظهر محل النزاع والاختلاف ومن ثم يجني الباحث الثمرة المرجوة وكيف يؤثر هذا الاختلاف على معنى الآية.

♦ تحديد أسباب الاختلاف بين المفسرين، ويكون بالنظر في منشأ الأقوال، وبمعرفة أسباب الاختلاف تسهل مناقشة الأقوال، والحكم عليها، وصولاً إلى القول الذي يستند إلى الدليل القوي.

♦ مناقشة الأدلة وتحليلها، والمقارنة بينها، ووضع كلٍ منها في ميزان التفسير الصحيح بعرضها على معايير القبول والرد، لبيان مواضع الصواب أو الخطأ فيها.

♦ الوصول إلى القول الراجح في الآية الكريمة، مدعّماً بالدليل العلمي، وقد يكون القول الراجح: قولا مختارا من بين الأقوال المختلفة الواردة في تفسير الآية، وقد يكون جمعا بين قولين أو أكثر، وقد يكون قولا جديدا بدا للباحث.

الجانب الثاني: أمور ينبغي على الباحث المقارن أن يراعيها:

♦ أن يستعين الباحث بالله، ويسأله التوفيق والسداد بالرأي؛ لأنّ ما سينتهي إليه من بحثه هو قولٌ في كتاب الله، ولا خير في اجتهاد جانبه توفيق الله.

♦ الموضوعية: وذلك بأن يُقْبِل الباحث على دراسة أقوال المفسرين والمقارنة بينها، وهو متجرد من كل حكم مسبق، ورأي قديم، فلا يسير مع هواه ولا يرجح باستحسانه، ولا يرفض قولا أو يقبل آخر قبل سبره والإلمام بجوانبه والنظر فيما قام عليه، بل عليه أن يستند في رأيه إلى الدليل والبرهان.

♦ حريٌ بالباحث أن يجتهد في تحصيل العلوم والأدوات التي تمكنه من تقليب أقوال المفسرين والحكم عليها كقوانين اللغة، وأصول الترجيح والاحتجاج[1].

يمكننا تحرير أن منهجية التفسير المقارن تنبني على أربعة أمور هي:

1-اختلاف أقوال المفسرين في معاني النص القرآني.

2-استيضاح اختلاف مناهج المفسرين.

3-رصد تعدد الاتجاهات التفسيرية بالأسباب والدوافع.

4-المناقشة المنهجيّة المستندة إلى أدوات الترجيح وضوابطه للتوصل إلى الصواب [2].

المطلب الرابع: معايير القبول والرد للأقوال التفسيرية:

معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني تعني تلك القواعد والضوابط التي يجب اتباعها عند التعرض لتفسير النص القرآني، ولا يجوز أن يخل بها المفسر أو يتجاوزها في حال من الأحوال، فهي مجموعة

---

[1]- ينظر، فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ص65، 66، 67.

[2]-ينظر، عقيل ، التفسير المقارن، دراسة تأصيلية تطبيقية، أطروحة تقدم بها محمود عقيل معروف العاني، (88) إشراف أ. المساعد د.عبد القادر عبد الحميد عبد اللطيف القيسي، 1434هـ- 2013م.

قواعد وضوابط متى اجتمعت في تفسير صار معتبرا، بحسب غلبة الظن، ولا يعني أنه مقطوع بصحته دائما، بل في أغلب الأحيان يكون صحيحاً يحتمل الخطأ ويكون خطأ يحتمل الصواب وفق الضوابط[1].

معايير القبول والرد أربعة وهي:

المعيار الأول: الانسجام مع الأدلة القاطعة، وهي:

1- صريح القرآن الكريم، على أي وجه من وجوه القراءات المتواترة.

2-الأحاديث النبوية الصحيحة.

3- قطعيات العقل.

المعيار الثاني: الانسجام مع اللغة: في دلالات ألفاظها، وتراكيبها، وأساليبها..

المعيار الثالث: الانسجام مع السياق القرآني.

المعيار الرابع: سلامة الرواية.

وفيما يلي توضيح بسيط لهذه المعايير، مع أمثلة توضيحية.

المعيار الأول :الانسجام مع الأدلة القاطعة:

وهي الثوابت التي ليست محلاً للخلاف، وهذه القطعيات تعد مرجعاً لحسم النزاع والحكم على الأقوال، قبولاً أو رداً؛ إذ لا بد من الانطلاق من ثوابت يرجع إليها عند الخلاف.

[1]- الحسين ، د.عبد القادر محمد ، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، 34، 35، دار الغوثاني، دمشق، ط:الأولى، 2008.

وهذه الثوابت هي:

1-صريح القران الكريم، على أي وجه من وجوه القراءات المتواترة.

والواجب على المفسر أن ينظر نظرة شمولية للآيات كلها؛ حتى يحافظ على بنائها المتناسق، ويصل إلى الفهم الصحيح.

وقد تصدر هذه المخالفة عن التعصب للمذهب، فينتصر المفسر لمذهبه، وإنْ كان مخالفاً ما صرَّحت به آيات القران الكريم، مثال ذلك ما فهمه ابن عربي من قوله تعالى:﴿**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [يونس:91-93]

فقد ذهب إلى صحة إيمان فرعون، ونجاته من العذاب، وقد صدر في هذا القول عن مذهب بعض الصوفية، من أن الإيمان ينتفع به، ولو عند معاينة العذاب[1].

وقد صرّح الله – عز وجل – بكفر فرعون في كثير من الآيات القرآنية، واستحقاقه العذاب الشديد، ووصفه بما لا يطلق إلا على الكافرين، ويعلم من هذا بمجموعة أنه مات على الكفر من ذلك قوله تعالى:﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ**﴾ [يونس:75]وقوله:﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (45) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ(74) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ**﴾ [المؤمنون:45-48].

وصرّح الله – عز وجل- في أكثر من آية بأن الإيمان عند الموت ومعاينة العذاب لا يقبل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[النساء:18].

2- الأحاديث النبوية الصحيحة:

والمقصود بها كل ما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكان واضحاً في دلالته، سواء أكان واردا في تفسير آية أم لا، فكان انسجام القول التفسيري لآية ما مع هذه الأحاديث الصحيحة معياراً لقبوله.

---

[1]- ينظر، الألوسي، شهاب الدين، (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (6/ 174)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415هـ، روضة فرعون،التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص70.

ومثال ذلك، أنّ بعض المفسرين وقعوا في تفسيرات تخالف الأحاديث الصحيحة، مما استوجب رد تفسيراتهم، ومن ذلك ما ذهب إليه الشيخ محمد رشيد رضا، حين حمل إمداد الله تعالى للمؤمنين يوم بدر على الإمداد المعنوي، ومنع أن يراد منه الإمداد الحسي بقتال الملائكة مع المؤمنين، وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم** ﴾[الأنفال:10][1].

وقد غفل الشيخ–رحمه الله– عن أحاديث صحيحة، وردت في صحيح البخاري، تثبت صراحة قتال الملائكة، ليس في بدر فحسب، بل في أحد والخندق، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب"[2].

3– قطعيات العقل:

المقصود بها: تلك القضايا المتفق عليها بين العقلاء، وهي مقررات العقل المطلق، فأيما قول تفسيريّ اصطدم مع هذه القطعيّات، فهو مردود لأنّ هذه القطعيات ثوابت لا يتصور تعارضها مع معاني الآيات الكريمة، ولأنّ للعقل مكانة محترمة في الإسلام، كيف لا، وبه تدرك العلوم وبه يفهم كلام الله ﷻوتتحصَل المعرفة بمراده؟ وقد اتفق العلماء أنّ النقيضين لا يجتمعان، فلا يوصف الشيء بأنّه مستحيل الوجود، وبأنّه ممكن الوجود في آن واحد، ولا يوصف الشيء بأنه باقٍ وفانٍ بآنٍ واحد، وقد وقع ابن حزم فيما يفضي إلى مخالفة هذه القطعيات، حين فسر قوله تعالى﴿ **لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ [الزمر:4]، فقد أجاز إمكان وجود المستحيل، وادعى أن الله قادر على أن يتخذ ولداً؛ وذلك فراراً من الوقوع في وصف الله بالعجز...الخ[3].

المعيار الثاني: الانسجام مع اللغة: في دلالات ألفاظها، وتراكيبها، وأساليبها:

إنّ القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي نزل بلغة العرب فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2] فهذه الآية دليل على أنه ليس فيه غير العربي لأن الله – تعالى – جعله معجزة شاهدة لنبيه صلى الله عليه وسلم ودلالة على صدقه وليتحدى العرب العرباء به،

---

[1]_ينظر. رضا، محمد رشيد ، (ت:1354هـ)، تفسير القران الحكيم(تفسير المنار)، (503/9)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

[2]–أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي)، باب(شهود الملائكة بدراً)، رقم الحديث:3694، ج12، ص389.

[3]–ينظر.ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (138/2)، مكتبة الخانجي، القاهرة، روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ص 76، 78.

ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة هذا ما ذهب إليه الشافعي وهو قول جمهور العلماء[1].

فكما أن لسان بعض الأعاجم لا يمكن أن يفهم من جهة لسان العرب، كذلك لا يمكن أن يفهم لسان العرب من جهة فهم لسان العجم، لاختلاف الأوضاع والأساليب، والذي نبّه على ذلك الإمام الشافعي، في "رسالته " الموضوعة في أصول الفقه[2].

من ذلك ما نقلة الزمخشري، ووصفه بأنه من بدع التفاسير، أنّ(إمام) جمع (أمّ)، في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء :71] وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأنّ الحكمة بالدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى –عليه السلام–، وإظهار شرف الحسن والحسين، وألا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع ؟ [3].

فهذه الحكمة المتكلفة، لا تكفي لابتداع أمر لم ترد به اللغة؛ فإن (أمّ) و(أمّهات) الأمّ واحد والجمع أُمّهات وربما قالوا أمّ وأمّات، ولا تجمع على (إمام) [4].

ولفظة الإمام: تعني ما يؤتم به ويهتدي به في المقصد، واختلف المفسرون في (الإمام) فمنهم من قال نبيهم، ومنهم من قال كتابهم الذي أنزل عليهم...الخ[5].

المعيار الثالث: الانسجام مع السياق القرآني:

إنّ إغفال السياق، مدعاة للشطط في التفسير، والبعد عن الصواب، ولذلك فقد جعل علماء التفسير مراعاة (السياق) قاعدة من قواعد التفسير والترجيح، فهي حكم على الأقوال، ومعيار لقبولها أو ردها، فالقول

---

[1] ينظر، الزركشي، بدر الدين محمد، (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن، (289/1)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي وشركائه ط: الأولى، 1376هـ- 1957م.

[2] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (ت:790هـ)، الموافقات، (104/2)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، ط: الأولى 1417هـ - 1997م.

[3] الكشاف، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، (ت: 538هـ)، الكشاف(682/2) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط: الثالثة 1407هـ .

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة، (21/1)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م. روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص81، 82.

[5] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز، (473/3) ، دار الكتب العلمية بيروت .

الذي يفسد نظم الآيات ويتعارض مع سياقها قول غير مقبول، والقول الذي ينسجم مع السياق قول مقبول إن استقام مع المعايير الأخرى، وفي هذا مقولة العز بن عبد السلام – رحمه الله– المشهورة :"السياق مرشد إلى تبين وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات"[1].

فالسياق يضبط الفهم، ويعيّن مراد المتكلم، وهو بهذا قرينة قوية ذات سلطة حاكمة على الوجوه المتعددة التي ترد على اللفظ.

وأذكر هنا مثالاً على اختلاف المفسرين جُعل فيه السياق أداة ترجيحيّة، ومعياراً للحكم على أقوالهم: قال الله تعالى: **(ما ننسخ من آية)**البقرة (106). اختلف المفسرون في المقصود من هذه الآية الكريمة، أتتحدث عن نسخ الآيات من القرآن الكريم، أم عن نسخ الشرائع بعضها ببعض؟

وإزالتها بإبدال أخرى مكانها ونسخها، أي بتبديله بحكم آخر، والمعنى إذا أبدلنا حكماً بحكم آخر، فإننا نجعل البدل خيراً من المبدل منه، أو مثله على الأقل، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء، وهذا الأمر الإلهي لجبريل عليه السلام بتأخيرها وإذهابها فتكون منسوخة بالإعلام [2].

بينما ذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى المقصود من (النسخ) الوارد في الآية الكريمة نسخ الشرائع بعضها ببعض، وقال: "إنّ المراد من الآيات المنسوخة هي الشرائع التي في الكتب القديمة من التوراة والإنجيل، كالسبت والصلاة إلى المشرق والمغرب مما وضعه الله تعالى عنا وتعبدنا بغيره، فإنّ اليهود والنصارى كانوا يقولون: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأبطل الله عليهم ذلك بهذه الآية"[3].

وذهب الشيخ محمد عبده لتأييد ما قاله أبي مسلم وقد جعل الآية الكريمة في دلائل النبوة، وقوله تعالى (ننسها)أي: ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها، فكما لله عزوجل– القدرة الكاملة على التصرف في الملك فالله قادر أن يأتي بخير منها في قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك.

والمعنى الصحيح الذي يتلاءم مع السياق إلى آخره أنّ الآية هي ما يؤيد الله –عزوجل– الأنبياء به من الدلائل على نبوتهم أي: **(ما ننسخ من آية)** نقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء، أي: نزيلها ونترك تأييد نبي آخر، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها، فقد شرع الحكم في وقت لشدة الحاجة إليه،

---

(1)–السّلمي ،عزالدين بن عبد السلام، (ت: 577هـ)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، ص159، تح: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، 1406هـ– 66هـ. ينظر، روضة فرعون، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، ص87.

(2)–ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود، (ت: 538هـ)، الكشاف، (118/1)، دار الكتاب العربي– بيروت، ط: الثالثة 1407هـ.ينظر: روضة فرعون، ص88.

(3)–الرازي، أبو عبد الله محمد ،(ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب =التفسير الكبير، (639/3)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: الثالثة – 1420هـ.ينظر: فرعون، ص88، 89..

ثم زالت الحاجة في وقت آخر إليه، فمن الحكمة أن ينسخ الحكم ويبدل بما يوافق الوقت الآخر، فيكون خيراً من الآخر من حيث قيام المصلحة ([1]) .

المعيار الرابع: سلامة الرواية:

والرواية المردودة قد تكون:

أ. رواية إسرائيلية.

ب. حديثاً بلا سند، أو بسند موضوع، أو ضعيف.

ج. قراءة شاذة: سواء أكانت بسند غير صحيح، أم بسند صحيح لم يبلغ حد التواتر.

المطلب الخامس: ألوان التفسير المقارن:

يتضمن هذا التفسير لونين من المقارنة التحليلية والمقارنة في المناهج والاتجاهات:

أولاً المقارنة التحليلية: هي الموازنة بين مفسرين أو أكثر في نص قرآني أو نصوص تجمعها مكان واحد أو موضوع واحد، وتقتضي الكشف عن المعاني وما يستعان به لبيان ما تحمله هذه النصوص وما تَبينُ عنه مثل: اللغة، المأثور، البيان، القراءات. مثال: المقارنة بين الزمخشري (ت:538هـ) وابن عطية(ت:546هـ) قال الحافظ أبو القاسم بن بَشكَّوال :كتاب ابن عطية أنقل وأجمعُ وأخلصُ، وكتاب الزمخشري ألخصٌ وأغوصٌ[(2)].

ثانياً: المقارنة الموضوعية: وتكون الموازنة بين مفسرين أو أكثر في نصٍ قرآني ذي موضوع واحد أو في نصوص قرآنية مشتركة في موضوع واحد كالفقه أو اللغة أو البيان أو القصص...ثم المقارنة بين أقوالهم في الموضوع الواحد للوقوف على أوجه التباين والتماثل ثم المناقشة ومن ثم الأخذ بالراجح استناداً إلى الدليل مثال: (قضية رؤية الله)بين الزمخشري والرازي .

ثالثاً :المقارنة في المناهج والاتجاهات:

([1]) القلموني ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، ص(339/337) ، سنة النشر 1990م.

[(2)]– ينظر، البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت:754هـ)، البحر المحيط في التفسير، (21/1)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، ط:1420 هـ.

تقتضي الموازنة في الأصول والمرتكزات التي قامت عليها مناهج المفسرين على وجه العموم والإجمال، فمثلاً: عند النظر في منهج ابن العربي الإشبيلي (ت:543هـ)في كتابه أحكام القرآن نقف على عنايته الفائقة بالمأثور من الحديث والتنبيه على الحديث الضعيف.

رابعًا :المقارنة في الاتجاهات :

أي – هذه المبادئ والأفكار– غالبا ما يطلق عليها النزعة العقدية، كالاتجاه السلفي، الاعتزالي، الصوفي، الفلسفي، وقد يتسع هذا المفهوم ليشمل ما يبرع فيه المفسر من علم ومعرفة.

مثال: قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾[البقرة : 26].في تفسير ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** ﴾ فإنّ الزمخشري " أسند الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنّه لما ضرب المثل فضَّل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم".

بينما أبو حيان" أسند الضلال إلى الله إسناداً حقيقياً كما أن إسناد الهداية كذلك فهو خالق الضلالة والهداية ".في ضوء الموازنة بين القولين نجد أنَّ الزمخشري فسّر الآية محكوماً بنزعته الاعتزالية أمّا أبو حيان فقد فسر الآية محكوماً بنزعته السلفية[1].

مثال حول التفسير المقارن :

المقارنة في المأثور بين الطبري والبغوي وابن عطيّة، تفسير "الفردوس" من قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾ [الكهف:107].

1– الطبري: لقد أطال الطبري في تفسيره للفظ الفردوس فقال:" واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس فقال بعضهم عُنِيَ به أهل الجنة وأوسطها"، وساق بعد ذلك ما يقرب من عشرين رواية بأسانيدها التي تنتهي إليه، ثم رجّح ما تظاهرت بها الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: حدثني أبو يحيى بن سليمان عن هلال بن أسامة عن عطاء عن يسار عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: إذا سألتم

---

[1]– ينظر، ابو حيان، محمد بن يوسف،(ت:754هـ)، البحر المحيط في التفسير، (202/1)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط:1420 هـ.

الله فاسألوه الفردوس الأعلى لأنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن تبارك وتعالى ومنه تفجر انهار الجنة"[1].

2- البغوي: قال "روينا عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة" قال كعب: ليس بالجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون في المعروف والناهون عن المنكر، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية، وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش، قال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال الضحاك :هي الجنة الملتفة الأشجار، وقيل هي الروضة المستحسنة، وقيل التي تنبت دروباً من النبات وجمعه فراديس "[2].

3- ابن عطية قال: "واختلف المفسرون في الفردوس: فقال قتادة : فإنه أعلى الجنة وربوتها وقال أبو أمامه :إنه سرة الجنة وأوسطها وروى أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه وأرضاه– انه يتفجر من أنهار الجنة، وقال عبد الله بن الحارث بن كعب: انه جنات الكروم والأعناب خاصة من الثمار وقال كعب الأحبار: واستشهد قوم لذلك بقول أمية بن الصلت كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل.

وقال الزجاج: قيل إن الفردوس سريانية، وقيل رومية، ولم يسمع في كلام العرب إلا في بيت حسان بن ثابت: وإن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس" وقالت فرقة :الفردوس :البستان بالرومية وهذا اقتضاب القول في الفردوس وعيون ما قيل فيه[3].

يدرك الناظر، أنّ الإمام الطبري كانت له قدم السبق في التفسير المأثور، وساق الروايات بأسانيدها تامة حتى تنتهي إليه، متضمنة من الأحاديث النبوية الصحيحة من البخاري ومسلم والترمذي رضوان الله

---

[1]–بن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (12/6)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه :محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محمد الدين الخطيب، عدد الأجزاء:13، الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة، بزيادة ألفاظ :كتاب درجات المجاهدين وأخرجه الترمذي عن معاذ بن جبل، باب صفة درجات الجنة(82/4، 81).

[2]– البغوي، عبد بن أحمد، مختصر تفسير البغوي (561/4)، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط:الأولى، 1416هـ.

[3]–ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (546/3)، تح: عبد السلام الشافعي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى 1422هـ.

عليهم، ثم رجّح استناداً إلى الدليل المعتبر وهو السنة النبوية، أمّا البغوي فقد روى الحديث من غير سند، ونقل سبعة أقوال عن الصحابة رضوان الله عليهم من غير ترجيح.

ومن جهود العلماء في التفسير المقارن في عهد الازدهار:

أولاً: ابن عطية الأندلسي (ت:542هـ) ومُؤَلَفَهُ: المحرر الوجيز:

كان ابن عطية يكثر في تفسيره من ذكر وجوه الاحتمالات التي يمكن حمل الآية عليها ناقلا ذلك عن المفسرين وغيرهم، وكان كثير الاستشهاد بالشعر العربي، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية كما أنه يتعرض كثيرا للقراءات وتوجيهها ويُنزل عليها المعاني المختلفة قال أبو حيان في مقدمة تفسيره في صدد المقارنة بين ابن عطية والزمخشري:« وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص، وأغوص»[1].

ثانياً: أبو الثناء محمود الألوسي(1270هـ)، ومؤلفه:(روح المعاني).

جمع فيه ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه، مع النقض الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة حيث إنّه يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها وهو كثير الاستشهاد لأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية([2]).

(1)– ينظر. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(19/1)، تح:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، 1422هـ.

([2]) الذّهبي ، محمد حسين ،التفسير والمفسرون ،ص (78/4) ، مكتبة وهبة .

الفصل الثاني : التعريـــف بسورتي الأنــعام والأعراف

المبحث الأول: تعريف سورة الأنعام .

المبحث الثاني : تعريف سورة الأعراف .

المبحث الثالث : التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف .

الفصل الثاني : التعريف بسورتي الأنعام والأعراف :

المبحث الأول: تعريف سورة الأنعام فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

وردت عدة أقوال للمفسرين حول أسماء سورة الأنعام ومن هذه الأقوال:

سورة الأنعام مكية وعدد آياتها مائة وخمس وستون آية عند الكوفيين، وست عند البصريين والشاميّن، وسبع عند الحجازيين وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفاً ومائتان وأربعون[1].

وسورة الأنعام هي السورة السادسة من حيث ترتيب المصحف، وجاءت بعد أربع سور مدنية فكانت جل هذه السور آيات أحكام وتشريعات فكان لا بد تغذية عقدية و تقوية للنفس بعد هذه السور الطوال فكانت هذه التغذية العقدية في سورتي الأنعام والأعراف.

ورد في كتب التفسير اسمان لهذه السورة وهما كالآتي:

1-الأنعام: هذا الاسم عرفت به السورة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بنت السكن، تسميتها في كلامهم سورة الأنعام، وكذلك ثبتت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة [2].

وسبب تسميتها بـ(الأنعام)لما فيها من ذكر الأنعام مكررا﴿**وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ**﴾ ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا** ۚ﴾ ﴿**وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا**﴾ [3].

---

[1]-الفيروز أبادي، مجد الدين، (ت:817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (187/1) تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء 6، ج1، 2، 1416هـ-1996م. ج 4، 5، 1412هـ- 1992م. ج6، 1393هـ- 1973م.

[2]- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير، (121/7)، الدار التونسية للنشر -تونس، 1984هـ.

[3]-الفيروز أبادي، مجد الدين ،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (187/1).

وقيل إنّ سبب التسمية، لأنّ أكثر أحكامها، وجهالات المشركين فيها، وفي التقرب بها إلى أصنامهم مذكورة فيها[1]، ومنهم من قال إنّ سبب السمية، لتفصيل حكم الأنعام من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز[2].

2-الحُجّة: سورة الحُجّة: لأنّها مقصورة على ذكر حجة النبوّة. وأيضاً تكررت فيه الحجة﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ** ۚ﴾ ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ** ۖ﴾ [3].

ويتبيّنُ لنا أنّ لسورة الأنعام اسمان أحدهما توقيفيّ (الأنعام) والثاني اجتهاديّ(الحُجّة) على أنّ ينص العلماء على أنّ الأول توقيفي وأنّ الثاني اجتهادي كما ورد في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: وقت نزول السورة :

سورة الأنعام مكية في قول الأكثرين قال ابن عباس وقتادة :هي مكية كلها إلاّ آيتين منها نزلتا بالمدينة ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ۗ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ** ۖ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا** ۖ **وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ** ۖ **قُلِ اللَّهُ** ۖ **ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[الأنعام:91]، نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين، والأخرى قوله تعالى :﴿۞ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** ۚ **كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ** ۖ **وَلَا تُسْرِفُوا** ۚ **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأنعام:141]: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وقال جريج نزلت في معاذ بن جبل وقاله الماوردي ([4]).

وقال الثعلبي سورة (الأنعام) مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة المنورة قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ۚ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾إلى آخر ثلاث آيات و﴿۞ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ۖ **أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ۖ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ۖ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ** ۖ **نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ۖ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ**

---

[1]-القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:1332هـ) محاسن التأويل (308/4)، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1418هـ.

[2]شرف الدين ، جعفر ، الموسوعة القرآنية، خصائص السور(17/3)، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط: الأولى، 1420هـ.

[3]-الفيروز أبادي، مجد الدين، (187/1) تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

[4]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب ، (ت: 450هـ) النكت والعيون (179/2) .

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام :151] إلى آخر ثلاث آيات([1]).

قال ابن عطية: وهي الآيات المحكمات وذكر ابن العربي :قوله تعالى﴿**قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنعام:145] نزلت بمكة يوم عرفة، وفي الخبر أنها نزلت جملة واحدة غير الست آيات وهي﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام:59][2].

مكية [إلاّ الآيات 20 و23 و91 و93 و 114و 151و152 و153 فمدنية] وعن ابن عباس: غير ست آيات، وآياتها 165 [نزلت بعد الحجر] بسم الله الرحمن الرحيم [3].

وفي المراغي، آيها خمس وستون ومائة، نزلت بعد الحجر وهي مكية إلا الآيات 20 و23 و91 و114 و141 و151 و152 و153، وقد روى كثير من المحدثين عن غير واحد من الصحابة والتابعين أن هذه السورة نزلت جملة واحدة [4].

ورد عن مجاهد أنّه سأل ابن عباس عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: أن سورة الأنعام نزلت بمكة المكرمة جملة واحدة، إلا ثلاث منها نزلت في المدينة﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ**﴾[الأنعام :151] على تمام الآيات الثلاث[5].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضلها: "إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقْرأ ما فوق الثلاثين ومائةٍ في سورة الأنعام، ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً**

([1]) الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد ، (ت : 427هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القران ، ص(131/4) .

([2]) القرطبي، أبو عبد الله محمد، (ت:671ه)، الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي (382/6)، تح :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ- 1946م.

([3]) الزمخشري، أبو القاسم محمود، (ت:538)،تفسير الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) (3/2) دار الكتاب العربي – بيروت، ط : الثالثة – 1407ه.

([4]) المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371)، تفسير المراغي، (69/7)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الابي الحلبي وأولاده بمصر، ط:1، 1365ه – 1946م.

([5]) ينظر، النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:338ه) الناسخ والمنسوخ (415/1)، تح:د.محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط :الأولى، 1408، عدد الأجزاء :2

عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: 140] إلى قوله تعالى﴿ **قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [الأنعام: 140] " [1].

يتبين لنا أنّ سورة الأنعام مكية من خلال الأدلة المذكورة أعلاه ومن خلال السياق والأسلوب وموضوعات السورة.

المطلب الثالث: أغراض السورة:

أولاً: ابتدأت بإشعار الناس بأنّ حق الحمد ليس إلاّ لله لأنّه المتفرّد بالعبودية، وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنّه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفا ولا علماً.

ثانياً: التنزيه لله – تعالى– عن الولد والصاحبة. قال أبو إسحاق الإسفراييني في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد، وموعظة المعرضين عن آيات الله والمكذبين بالدين الحق، وأنْ يتعظوا بما حلّ بالأمم السابقة من العذاب وأنذرهم بعنادهم وكفرهم وتكذيبهم يلحقون الضرر بأنفسهم، ويتوعدهم بما سيحل بهم من عذاب عند نزع أرواحهم، ومن ثم عند البعث.

ثالثاً: تسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي صلى الله عليه وسلم من طلب إظهار الخوارق تهكّما، وإبطال اعتقادهم وفيها إثبات صدق القرآن بأنّ أهل الكتاب يعرفون أنّه الحق، وفيها إقامة الحجج على المشركين تكذيبهم بالبعث، وتحقيق أنه واقع، وأنّهم شاهدوه وعندها تتبرأُ منهم آلهتهم ولن تغني عنهم شيئا في الحياة الدنيا، وسيصيبهم الندم في ذلك الوقت فهم لا يلجؤون إلى الله في النوائب فقط.

رابعاً: فيها تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه لا يؤاخذ بإعراض قومه، وأمره بالإعراض عنهم.

خامساً: بيان حكمة إرسال الله الرسل، وما بعثهم الله إلا منذرين ومبشرين.

سادساً: ميزان التفاضل بين الناس عند الله التقوى، وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضّلال، ويندرج أسفل مفهوم التّقوى بأنْ هذّب الشرع الحنيف الشهوات وصرفها في مكانها وفق منهج رباني محكم ومتوازن.

سابعاً : فيها تسريةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بضرب المثل للنبي مع قومه بمثل إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وقومه وكذلك الأنبياء من قبلهم.

---

[1]–البخاري، محمد بن إسماعيل، (184/4)، ح 3524، باب ما يُنهى من دعوة الجاهلية .

ثامناً: المنة على الأمة الإسلامية بما أنزل الله– عزوجل– من القرآن هدى ورحمة كما أنزل الكتاب على موسى، وجعلها خاتمة الأمم الصالحة، وفيها بيان لفضيلة القرآن والإسلام وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات.

تاسعا: تخللت ذلك قوارع للمشركين، وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بنعم اشتملت عليها مخلوقات الله، وذكر مفاتح الغيب، وهي من أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم [1].

إنّ الأغراض الرئيسة التي استهدفتها هذه السورة الكريمة هي تركيز العقائد الأساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها ألا وهي: توحيد الله، الإيمان برسوله الذي أرسل ورد الشبهات عنه صلى الله عليه وسلم، الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجزاء. وسوف نتناول كل غرض من هذه الأغراض بالتوضيح:

أولاً: وحدة الألوهية: ابتدأت السورة بتقرير الحقيقة الأولى التي تؤمن بها الفطر السليمة ويدل عليها الخلق والسماء والأرض وما فيهن من مخلوقات ظاهرة صامتة ناطقة خفية، وما في السماوات والأرض من تحولات وتقلبات الليل والنهار، وهي حقيقة في كل دين وعلى كل لسان رسول، وهذه الحقيقة أن الله – عزوجل– هو الإله المستحق للعبادة والحمد والتنزيه الذي لا يحد له. لأنّه هو الذي «خلق» وهو الذي «جعل» فالخلق إنشاء وإبداع فالعالم أجمع في دائرتيهما، ومقتضى ذلك أنّ المخلوق المجهول لا يمكن أن يتسامى إلى مرتبة الخالق الجاعل فيعبد كما يعبد ويقصد كما يقصد، وذلك كله في مطلع سورة الأنعام من الحمد لله في قوله تعالى﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأنعام:1] وكل ما جاء في هذه السورة إنما هو بيان وتفصيل وتطبيق على هذه الحقيقة أحيانا بصفة مباشرة، وأحيانا بوسائط تقرب أو تبعد.

وقد ساقت السورة عددًا من الأدلة على توحيد الله سبحانه، فهي تلفت إلى مظاهر الملك التام، والسلطان القاهر في الخلق والتصرف الكامل والعلم المحيط فتقول: **﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

(1)–بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير «المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (124، 125/7)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

ثانياً: قضية الوحي والرسالة: كما تحدثت سورة الأنعام عن حقيقة الألوهية والربوبية، فهناك حقيقة ثانية تنبني على الإيمان بالحقيقة الأولى:

وشأن الإله، أن يهدي عباده، ويرشدهم إلى ما تصلح به أمورهم، ومن رحمة الله – تعالى – أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتاب لهداية الناس من الضلالة إلى الهدى فقد تحدثت سورة الأنعام بهذه الحقيقة في كثير من آياتها من جوانب شتى، بعضها يتصل بإثبات الوحي وبيان حكمته والرد على منكريه وبعضها يرجع إلى بيان ما هو من وظيفة الرسول وما ليس من وظيفتهم، بعضها يتصل بموقف الناس أمام الرسالات الإلهية، وبعضها يتعلق بالآداب التي رسمها الله للرسول، وما ينبغي أن يكون عليه سلوكه مع مخالفيه وموافقيه، مثل أثبات صدق نبوّة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيب المخالفين له.

قوله تعالى **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أخرى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.**

وقوله تعالى**﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** ([1]).

تكذيب المرسلين:

سنة التكذيب من قبل المكذبين للرسالة سنة قديمة، فعلى الرسول الصبر، والتصبر، والمصابرة، حتى لا يضيق صدره بتكذيبهم إياه، ولا ييأس من هدايتهم وقد بينت الآيات سوء عاقبة المكذبين في قوله تعالى **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** [الأنعام:33]**﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأنعام:34]﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** [الأنعام:10].

([1]) شرف الدين ، جعفر شرف الدين ، الموسوعة القرآنية / خصائص السور (7/3، 8،) ، تح : عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت ، ط : الأولى – 1420هـ .

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

إثبات القرآن الكريم الوحي والرسالة ثم أثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل القاطع والحجة البالغة. فقد نشأ النبي يتيماً فقيراً أمّياً في بيئة مشركة جاهلية فمن أين له هذا الكتاب المحكم الذي اشتمل على مبادئ الإصلاح العلمي كلها؟ والذي لم يستطع العلم، في أزهى عصوره، أن يهدم حقيقة من الحقائق التي جاء بها. فقد تحدى النبي صلى الله عليه وسلم العرب أجمع ببلاغة القرآن وقوّة بيانه فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو بعشر سور منه، أو بسورة واحدة وقد تحدى القرآن الناس بخلوده وصحته، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام:91].

ثالثاً: قضية البعث والجزاء:

فمن خلق السماوات والأرض بعظيم خلقها قادر على أن يخلق الناس جميعاً ومن ثم يحيون على وجه الأرض ثمّ يميتهم ومن ثمّ يحييهم ليوم الحساب والجزاء، فالسماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان ولكن الناس لا يعلمون ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:1].

وكررت هذه الحقيقة وأكدت في آياتها بصور شتى فذكرت أنّ البعث حق، وأنّ الله بيده الخلق، والأمر، والبدء، والإعادة، والحساب، والجزاء قال تعالى ﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأنعام:12].

وقال سبحانه ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [الأنعام :164].

وقد استدل القرآن في قضية البعث والجزاء، بعديد من الأدلّة، منها أن الحكمة والعدل يقضيان بالحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه، كما يقضيان بأنْ ينال كل بما عمل فالمحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حتى يطهّر المسيء من دنس النّفس ويكون أهلاً لرحمة الله الكاملة، فمن العدل الإلهي وجود حساب أخروي لمن لم يجد حاكماً عادلا في حياته، وقد لون القرآن ونوع في أدلته على إثبات البعث، وعرض مشاهد القيامة واضحة للعيان. وعرضت سورة الأنعام أمراً كائنا ليس موضع إنكار، ولا محلاً وصورت فيه مواقف المشركين، وما سيكونون عليه في ذلك اليوم، كأنّهم حاضرون معروضون أمام الناس،

يتأملهم الإنسان، ويرى فعلهم وقولهم قال تعالى :﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:1] [1].

(1)- ينظر ،شرف الدين ، جعفر شرف الدين ، الموسوعة القرآنية ،خصائص السور (7/3، 8، 9، 10) تح:عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط : الأولى – 1420هـ.

المبحث الثاني: تعريف سورة الأعراف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :أسماء السورة.

سورة الأعراف من السبع الطوال التي جعلت في أول القرآن لطولها، آيها خمس ومائتان، وقد جاءت تتحدث عن أصول العقائد وكليّات الدين، وهي شارحة ومبيّنة لما جاء في سورة الأنعام [1].

ومنهم من قال بأنّ عدد آيها ست ومائتان، وعدد كلماتها ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمس وعشرون كلمة، وعدد حروفها أربعة عشر ألف حرف وثلاثمائة وعشرة أحرف[2].

وهذه السورة فيها اعتقاد يتضمن الإشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيها وما أعده لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير واجتناب كل شر والاتعاظ [3].

وذكر الفيروز آبادي في كتاب «بصائر ذوي التمييز» أنّ هذه السورة تسمى سورة الميقات لاشتمالها على ذكر ميقاتِ موسى في قوله ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا**﴾[الأعراف:143]. وأنها تسمى سورةَ الميثاق لاشتمالها على حديث الميثاق في قوله ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ**﴾[الأعراف:172]([4]).

المطلب الثاني: وقت نزول السورة:

أخرج أبو الشيخ، وابن حبان، عن قتادة قال: هي مكيّة إلّا آية ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[**الأعراف 163**]، وقال غيره: إن هذا إلى﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**﴾[الأعراف:172] مدني: وأخرج غير واحد عن ابن عباس. وابن الزبير أنّها مكية ولم يستثنيا شيئاً، وهي مائتان وخمس آيات في البصري والشامي وستٌ في المدني والكوفي [5].

---

[1] المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)، تفسير المراغي(97/8) شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط : الأولى، 1365هـ- 1946م.

[2] الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: بعد 1390هـ) التفسير القرآني للقرآن (362/4)، دار الفكر العربي – القاهرة.

[3]التحرير والتنوير، (8ب/5، 6)، مرجع سابق.

[4] الفيروز أبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت: 817هـ) ،القاموس المحيط (203/1، 204) ، تح : محمد علي النّجار ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي .

[1]–الألوسي، شهاب الدين محمود، (ت:1270هـ)، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، (315/4)، تح:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، 1415هـ.

روى العوفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عباس، أنّ سورة (الأعراف) من المكيّ، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. وروي عن ابن عباس، وقتادة أنّها مكّيّة، إلا خمس آيات أولها قوله تعالى ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ**﴾ (الأعراف:163) وقال مقاتل: كلها مكية، إلا قوله﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ**﴾إلى قوله﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[1].

وقيل مكية إلا من آية 163إلى غاية آية 170 فمدنية وآياتها 206 نزلت بعد(ص)(سورة الأعراف)[2].

كما ورد في (تفسير النيسابوري) مكية إلا خمس آيات وسئلهم عن القرية إلى قوله: وقطّعناهم[3].

سورة الأعراف المكية كما ورد في كتاب الهداية[4].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا كلها مكيّة [5].

ويتبين لنا أن السورة من خلال موضوعاتها ونسقها وأغراضها والأدلة السابقة مكية.

المطلب الثالث: أغراض السورة:

تناولت سورة الأعراف قضايا وموضوعات كثيرة هي:

أولاً :إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والدعوة إلى الخير.

ثانياً: الوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين.

---

[2]– ابن الجوزي، جمال الدين، (ت:597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (100/2)تح: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي–بيروت، ط:الأولى، 1422هـ.

[3]– ابن جزّي، أبو القاسم محمد بن أحد، (ت:741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، (284/1)، تح:د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم–بيروت، ط:الأولى، 1416هـ.

[4]–النيسبوري، نظام الدين، (ت:850هـ)، غرائب القران ورغائب الفرقان، (197/3)، تح:الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط :الأولى–1416هـ.

[5] –القيرواني، أبو محمد بن مكي بن أبي طالب، (ت:437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (2269/4)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط : الأولى، 1429هـ – 2008م.

[6]–القلموني، محمد رشيد رضا (ت:1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (262/8) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

ثالثاً: الامتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه، للإشراف على الجنة دون النار وألا يكونوا من أهل الأعراف [1].

رابعاً: التنويه بالقرآن والوعد بتيسيره على النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغه.

خامساً: النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله، وإنذارهم عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا وفي الآخرة.

سادساً: عاقبة المكذبين الذين كذّبوا بالرسل، والمشركين، من سوء العذاب في الدنيا، والآخرة.

سابعاً: التذكير بنعم الله – عزوجل– وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض، وتفضيله على غيره من المخلوقات.

ثامناً: بيان ما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان، والتحذير من الشيطان وتسويله إياهم حرمان أنفسهم من الطيبات.

تاسعاً: وصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين، والأجر العظيم للمتقين.

عاشراً: التذكير بالبعث، والنهي عن الفساد في الأرض التي سخرها الله لفائدة الإنسان، وتذكير الإنسان بفطرته التي أودعها في أنفسهم من وقت تكوين أصله وقبولهم دعوة رسل الله إلى التقوى والإصلاح، وعاقبة من يكذبهم وما حل في الأمم السابقة من ألوان العذاب بسبب إعراضهم [2].

---

[1]– ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (131/2)، مكتبة المعارف – الرياض، ط: الأولى، 1408هـ– 1987م.

(2)–ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير (6/8، 7)، مرجع سابق.

المبحث الثالث: التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف:

مقصود سورة الأنعام هو الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الكريم فيما سبق من سور، بأنّه– سبحانه – المستحق لجميع الكمالات، والمستحق للعبادة، والمتصرف بالقدرة الباهرة على الإيجاد والإعدام، بكل مكوّناتها ومقوّماتها، فهي تلتقي مع سورة الأعراف في الغرض الرئيس العام، وهو غرض العقيدة، ولكن تتميّز بشخصيتها المستقلة في الأداء والتعبير، والقضايا المتنوعة التي تصب ذات الغرض ولكن بشكل مبسّط وأوسع[1].

وسورة الأنعام أجمع للقضايا التي اشتركت فيها السورتين، من الحديث حول العقائد وكليات الدين، فهي أي الأعراف، كالشارحة والموضحة والمفصلة لما ورد من موضوعات وقضايا في سورة الأنعام، مثل قضية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص الرسل ففصلت سورة الأعراف، قصة آدم وفصلت قصص الرسل وأممهم وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل [2].

لمّا ذكر سبحانه في آخر سورة الأنعام أنّه أنزل اليهم كتابا مباركا، وأمر باتّباعه وعلل إنزاله وذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة وميدان البراعة، وكان من جملته أنْ أمر المدعوين به ليس إلاّ إليه، إن شاء هداهم وإن شاء أضلهم، واستمر فيها في تتميم ذلك إلى أن ختم السورة بمن عطف على ما افتتحت به، فاشتدت اعتناقه له، حتى صارا كشيءٍ واحد؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه.

ففي قوله تعالى﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام:34] وقال تعالى﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [الانعام :42]وقال تعالى ﴿ **وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[الانعام : 13] فوقعت الإحالة في هذه الآي على الاعتبار بالأمم السالفة وما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوهم وتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريان ما جرى له بمن تقدمه من الرسل ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام : 33] فاستدعت الإحالة والتسلية بسط أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، والإعلام بصبر الرسل – عليهم السلام – وتلطفهم في دعائهم، ولم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة والتسلية وقد تكررت في سورة الأنعام كما تبين بعد

---

[1]–ينظر: أبو العلاء، عادل بن محمد(مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور)، (133/1، 132)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 199 – السنة 37– 1425هـ).

[2]– ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1372هـ)، تفسير المراغي(97/8)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط : الأولى، 1365هـ – 1946م.

انقضاء ما قصد من بيان طريق المتقين أخذا وتركا وحال من حاد عن سننهم ممن رامه أو قصده فلم يوفق له ولا أتم له أمله من الفرقتين: المستندة للسمع والمعتمدة للنظر، فحاد الأولون بطارئ التغيير والتبديل، وتنكب الآخرون بسوء التناول وقصور الأفهام وعلة حيد الفريقين السابقة الأزلية؛ فلما انقضى أمر هؤلاء وصرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام وتثبيت فؤاده بذكر أحوال الأنبياء مع أممهم وأمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة، وقد كان قدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الأنبياء﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام 90] بسط تعالى حال من وقعت الحالة عليه، واستوفى الكثير من قصصهم.

ثم لنتأمل بما افتتحت به سورة الأعراف ﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**﴾ [الأعراف:7]، وختم القصص فيها في قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[176 الأعراف] [(1)].

نجد سورة الأعراف وهي تعالج موضوع العقيدة وتعرضه في مجال التاريخ البشري، في مجال رحلة البشرية كلها من الجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها، وفي هذا المدى المتطاول تعرض «موكب الإيمان» من لدن آدم –عليه السلام– إلى محمد عليه الصلاة والسلام تعرض هذا الموكب الكريم يحمل هذه العقيدة ويمضي بها على مدار التاريخ. يواجه بها البشرية جيلا بعد جيل، ويرسم سياق السورة في تتابعه: كيف استقبلت البشرية هذا الموكب بالمرصاد، وكيف تخطى هذا الموكب وما معه من الهدى؟ كيف خاطبها هذا الموكب، وكيف جاوبته؟ وكيف تخطى هذا الموكب أرصادها ومضى في طريقه إلى الله؟ وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا والآخرة؟ إنها رحلة طويلة: ولكن السورة تقطعها مرحلة مرحلة وتقف منها عند معظم المعالم البارزة، في الطريق المرسوم ملامحه، الواضحة معالمه، وقائمه ومبدؤه معلوم، ونهايته مرسومة: والبشرية تخطو فيه بمجموعها الحاشدة. ثم تقطعها راجعة: إلى حيث بدأت رحلتها في الملأ الأعلى لقد انطلقت هذه البشرية من نقطة البدء ممثلة في شخصين اثنين: آدم وزوجته (عليهما السلام) .

فذكر المرسلين وقصصهم وقصص الأمم السابقة ما كان إلا على وجه الإجمال، فاشتملت الأعراف على تفصيل وتوضيح وبسط تلك القصص أيما بسط، وبيّنت مدى صبر المرسلين على ما أوذوا من قبل

[(1)]– البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (347/7، 348، 352، 351)، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

[(2)]– ينظر، حوى، سعيد ، (ت: 1409هـ) الأساس في التفسير،(1838/4)، دار السلام– القاهرة، ط: السادسة، 1424هـ.

مكذبيهم وفي ذلك تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد جاء في سورة الأنعام قوله وأّنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه وقوله تعالى كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتّبعوه وابتدأت الأعراف بأمرٍ إلهي لاتباع هذا الكتاب[1].

ويتبين لنا أنّ سورة الأنعام عرضت مقاصدها وقضاياها من عقيدة وقصص المرسلين... بشكل مجمل وجاءت سورة الأعراف مفصلة لما جاءت به سورة الأنعام.

[1]–حوى، سعيد، (ت:1409هـ)، الأساس في التفسير (1839/4)، دار السلام – القاهرة، ط : السادسة، 1424هـ.

الفصل الثالث: التعريف بالرازي والقاسمي وتفسيرهما .

المبحث الأول: حياة الرازي السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية .

المبحث الثاني: اسمه، كنيته، نسبه، نشأته، ووفاته.

المبحث الثالث : شيوخه تلاميذه وآثاره العلمية .

الفصل الثالث :التعريف بالرازي والقاسمي وتفسيرهما وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول :حياة الرازي السياسيّة والاجتماعية والعلميّة والثقافية:

المطلب الأول: الحياة السياسية التي عاش الرازي في ظلّها.

عاش الرازي معظم حياته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وشهدت السنين الست الأولى من القرن السابع، (544هـ- 606هـ).وتعتبر هذه الحقبة من أدوار الفتن والاضطرابات والانهيار والضعف في حياة الدولة العباسية، والبلاد الإسلامية عامة، ولقد كانت مظاهر هذا الضعف والانهيار يتجلّى في عدة أمور:

1- تعدد الملوك والدول والدويلات، وتناحر الملوك للوصول إلى الملك والسلطان، الأمر الذي دفعهم إلى تحقيق أهدافهم بأي وسيلة، ولو أدى إلى قتل بعضهم البعض ولو كان من بني جلدته، أو التحالف مع العدو [1].

2-ازدياد قوة المغول على الحدود الشرقية من العالم الإسلامي، وتحفزهم للانقضاض على أول ما يليهم من البلاد لدى أول فرصة سانحة.

3-ما عاثه التتر في بلاد الشام من تدمير وتخريب وقتل ونهب.

4-الفتنة التي وقعت بين أهل السنة والشيعة وكان ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين.

5- حدوث الفتن بهراة [2][3].

6- الحروب الصليبية ونشوبها في تلك الفترة على بلاد الشام.

---

[1] رسالة ماجستير،إمام ، إيلاف بنت يحيى إمام، موقف الرازي من مسائل الأسماء والأحكام في التفسير الكبير، 1432هـ - 2011م.

[2]- هي أرض خصبها واسع ونبتها اللفاح والنرجس ما أحد منها إلى غيرها يخرج إلا بعدما يفلس وهي أيضا مدينة بفارس كثيرة البساتين(معجم البلدان – ياقوت الحموي)، (396/5) دار الفكر-بيروت، وقد ور في(الكامل في التاريخ)أنّه قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين، فلما قتل تجهز الأمراء الغزية إلى هرتة وساروا إليها وحصروها، وقد هلك أناس كثر من هراة لأن الذي تولى أمرهم رجل يظهر لهم خلاف ما يبطن فهو ظاهره يحارب وباطنا يراسل العدو فقام الأهل عليه فقتلوه، فلما سمع الغز بذلك فرو من هراة إلى مرو، وهي مدينة أفغانية تقع على الحدود الأفغانية الإيرانية، من أقدم المدن الإسلامية وهي إحدى مدن خراسان الكبار.

[3]- ينظر ، بن الأثير، أبو الحسن علي، (ت: 630هـ)، (الكامل في التاريخ)، (4/ 262)، (4/ 433)، (296/5)، (310/5)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

بالرغم من شدة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والسياسية، فهو عصر عظم فيه الغلاء حتى أكل الناس الميتات، قحط ووباء، إلا أنه اتسم بتشجيع العلم والعلماء وازدهار علمي وتقريب السلاطين لأهل العلم فكانوا يميلون أي الملوك والوزراء والسلاطين من حضور حلقات العلوم وتقريب بعض العلماء منهم كالإمام الرازي فكان معظما عند ملوك خوارزم وغيرهم [1].

فقد تجزأت الدولة العباسية إلى دويلات إسلامية مستقلة، حيث كانت الخلافة أموية في الأندلس، وفاطمية في الشمال الإفريقي تعاني الضعف والانهيار ليحل محلها ملوك الطوائف، أمّا المشرق الإسلامي فقد آل هو الآخر إلى دور الانهيار، وكانت أهم الدول التي تمثله: تقوم في الشام والجزيرة ومصر، وكانت جميعها تحت الحكم الأيوبي بعد صراعه مع الدولة الفاطمية التي أفل نجمها في هذا العصر. أما العراق وإيران فقد بقيتا تحت الحكم العباسي الواهن [2].

المطلب الثاني: الحياة العلمية الثقافية:

فخر الدين الرازي، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، ومنها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول وكتاب الأربعين والمحصل ويقال: إنّ له شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، وله طريقة في الخلاف، وله في الطب شرح الكليات للقانون، وصنف في علم الفراسة، وله مصنف في مناقب الشافعي، حتى إنّ الذي يطلع على كتب الرازي يشعر بمتعة أثناء القراءة، حتى إنّ كتبه انتشرت انتشارا واسعا واشتغل بها الناس ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه.

---

[1]–ينظر: الموسوعة التاريخية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدر السنية على الإنترنت dorar.net، 1433هـ.

[2]–ينظر: منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب، إعداد الطالبة :سميحة الواحدي، 1430–1413هـ، 2009– 2010م.

وكان واعظاً باللسانين العربي والفارسي، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية [1]وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، قد كان يلقب بهراة شيخ الإسلام، وله باع في علم الكلام والحكمة وخرج إلى خوارزم [2] وتمهّر في العلوم ويقال أنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في علم الكلام [3].

برع في علوم كثيرة: علم التفسير والأصول والفقه والنحو والأدب، والفلسفة والطب والهندسة والفلك، ولكنّه رأى أنَّ أعظمها فائدة علوم القران والتفسير وهو بحرٌ في الأصول وألَّفَ المحصول في علم الأصول ويؤيّدِ مذهبه الفقهي بالقواعد الأصولية هو عالم في الأدب والبلاغة، لذا نزع إلى إبراز هذا اللون تحت عنوان اللطائف القرآنية، وقيل أنه برع في كل شيء فهو عالم في كل شيء، وضمن كتابه كل شيء مما جعل بعض العلماء يصف تفسيره « أنَّ فيه كلَّ شيء إلّا التفسير»، وقد دفع أبو حيّان هذا القول وأنصفه قائلاً: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير». والحق: إنّ تفسير الفخر فيه التفسير وفيه كل شيء بقيَ أن نرد شبهةً طالما أشكلت على العلماء قديماً وحديثاً:

---

[1]–فرقة من ضمن ثلاث فرق مثل : الحقاقية والطرايقية والإسحاقية أصحاب محمد بن كرّام كان مطروداً من سخستان إلى غرجستان وكان أتباعه في وقته أوغاد شورين ووردوا مع نيسابور في زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر وتبعه على بدعته من أهل سواد نيسابور شرذمة من حوكة القرى والدتهم وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعاً لا نعدها أرباعاً ولا أسباعاً ونذكر منها المشهور الذي هو بالقبح مذكور فمنها أن ابن كرّام دعا اتِّباعَهُ إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقى عرشه وهذا شبيه بقول الثنوية إن معبودهم الذي سمونه نورا يتناهى من الجهة التي يلاقى الكلام ,وهم طوائف تدعو إلى التجسيم والتشبيه، الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر، (ت:429هـ)، الفرق بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجية، (1\202–203)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط:الثانية، 1977.

[2]–خوارزم :ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجنية وقد ذكرت في موضعها وأهلها يسمونها كركانج وقد ذكروا في سبب تسميتها بهذا الاسم : أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة وحاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر مائة فرسخ فلم يجدوا على هذا الصفة إلا موضع مدينة كاث وهي إحدى مدينة خوارزم فجاؤوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك فأمر قوما بكشف خبرهم فجاؤوا فوجدوهم قد بنوا أكواخا ووجدوهم يصيدون السمك يتقوتون وإذا حولهم حطب كثير فقالوا لهم كيف حالكم فقالوا : عندنا هذا اللحم وأشاروا إلى السمك وأشاروا إلى الحب وقالوا نتقوت به فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضع خوارزم لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم فصار خوارزم فخفف وقيل خوارزم استثقالا لتكرير الراء (معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي)، (2/394، 395) دار الفكر – بيروت.

[3]– ينظر، وفيات الأعيان، بن خلكان، أبو العياس، (ت:681هـ)، دار صادر – بيروت، ط: الأولى، 1971هـ.

قال القاضي بن شهبة: إن الفخر الرازي لم يتم تفسيره كما قال ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان وقد حكم ابن حجر أن الذي أكمل كتابه هو أحمد بن محمد المخزومي القمولي المتوفى سنة 727هـ ([1]).

ويرى صاحب كشف الظنون أن الرازي قد فسر القران إلى سورة الأنبياء. أما الذهبي قد التبس عليه هذا الأمر واحتلج في أقواله. أما الشيخ محمد بن عاشور فقد حسم وجزم ودلل على نسبة كتاب التفسير كاملا إلى الإمام الفخر [(2)].

وكان يتوافد عليه الطلاب من كل مكان وقد ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير [(3)].

فقد كان العصر الذي عاش فيه الرازي يشبه عصر المأمون من الناحية العلمية في النشاط والإنتاج. يقول ول ديورانت "وكانت بلاد الإسلام حتى هذه الفترة من عهود الاضمحلال – تزعم العالم كله في الشعر والعلم والفلسفة وتنافس آل هو هنستوفن في الحكم... وجرى الحكام المسلمون جميعهم بل صغار الملوك أنفسهم على سنة الخلفاء العباسيين في مناصرة الآداب والفنون.. وإن كانت الفلسفة قد اضمحلت لتشددهم في الدين، فقد طارد السلاجقة وصلاح الدين الأيوبي كل خارج على السنة من المسلمين.. وقصارى القول أنّ هذا العصر كان عصر اضمحلال متلألئ ساطع " وقد كان مشغوفا بالاطلاع، لا يكاد يقع في يده كتاب إلا ويستوعبه، وقد كان يأسف إن ضاع من وقته شيء دون أن يملأه بالقراءة أو التدريس أو التأليف فقد كان ذا حافظة قوية وذاكرة عجيبة ومن قوله "فاعلموا أني كنت رجلا محبا للعلم فكنت أكتب في كل شيء [(4)].

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية :

لم تكن الأحوال الاجتماعية بأفضل من الأحوال السياسية، فكانت الأوضاع مضطربة أشد الاضطراب وأصبح الملوك يسعون إلى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة، ومنهم من فرض الإتاوات على أهل البلاد، فقد انتشر الغلاء العظيم والمرض والقحط، وانقسم المجتمع إلى طبقات: طبقة السلاطين والأثرياء

([1]) أبي حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط ، (ت: 745هـ) ،ص (547/1) .

[(2)]–ينظر: المنار في علوم القرآن، د.محمد علي الحسن، المنار في علوم القران مع مدخل في أصول التفسير ومصادره (293/1–294–295)، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط:الأولى، 1421هـ–2000م.

[(3)]– الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية .Word Book International.

[(4)]–ينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، محمد صالح الزركان، ص9، دار الفكر.

وغيرهم من أصحاب النفوذ، وطبقة الجيوش والتجار، ومع ذلك ابتلي معظمهم بالفقر والجوع والمرض [1].

وقيل إنّه كان في أول أمره فقيراً، ثم اتفق أنه صاهر تاجراً متمولاً وله ولدان فزوجهما ابنتيه ومات التاجر فتقلب الفخر في ذلك المال وصار من رؤساء ذلك الزمان يقوم على رأسه خمسون مملوكاً بمناطق الذهب وقال للسلطان يوماً نحن في ظل سيفك فقال له السلطان ونحن في شمس علمك [2].

وفي ظل هذه الظروف السياسية والعلمية والاجتماعية ولد المفكر والفيلسوف والمفسر فخر الدين الرازي.

---

[1]–ينظر: تاريخ الدولة المستقلة، أ.د. عطية القوصي، (67/1، 84)، مكتبة دار النهضة العربية، 1992– 1993م.

[2]– ابن حجر، أبو الفضل(ت:852هـ)، لسان الميزان، (4/ 427)، تح : دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت– لبنان، ط: الثانية، 1390هـ – 1971م.

موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، أنفال بنت يحيى، 1432هـ –

المبحث الثاني: اسمه، كنيته، نسبه، نشأته، ووفاته:

أولاً: اسمه:

أبو عبد الله والمختار أبو الفضل، وقيل أبي المعالي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي فخر الدين، الرازي، القرشي، التيمي، البكري، من طبرستان ومولده في الري ويقال له ابن خطيب الري[1] [2].

وكانت ولادة فخر الدين الرازي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة، بالري [3].

وكما ورد في سير أعلام النبلاء هو فخر الدين العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني[4] الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

وكما ورد في وفيات الأعيان هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب[5].

---

[1]–الري: مدينة فارسية :تقع جنوب سلسلة الجبال الإيرانية، وهي اليوم جزء من طهران.(معجم البلدان: ياقوت الحموي) (116/3)، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى، 1991م.

[2]– موقع وزارة الأوقاف المصرية، موسوعة الأعلام، (220/1)، تراجم موجزة للأعلام.

[3]– ابن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (252/4)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: الأولى: 1971.

[4]–اقليم يقع شمال دولة إيران، ويمتد على الساحل الجنوب لبحر قزوين، من أهم مدنه مدينة جرجان، فتحها المسلمون سنة 30 هـ، زمن خلافة عثمان بن عفان، وهي مناطق جبلية وعرة.(الكامل في التاريخ: ابن الأثير– 109/1، دار الطباعة المنيرية – القاهرة).

[5]–ابن خلكان، أبو العباس(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، (252/4)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

ثانياً: نسبه : ينسب إلى الري من أعمال خرسان[1] التابعة لطبرستان [2] وقيل إنّه عربي من قبيلة بني تيم العربية وهو قرشي النسب [3].

ثالثاً مولده : مما اتفق عليه المؤرخون بخصوص مولد الرازي، اتفقوا على مكان ولادته، وعلى تاريخ وفاته، إلا أنهم اختلفوا في تاريخ ميلاده، قيل إنه في ثلاث وأربعين وخمسمائة وقال ابن خلكان في أربع وأربعين وخمسمائة والراجح ما ذهب إليه ابن خلكان في وفيات الأعيان؛ لأنّه أقدم الروايات [4]، حيث وجد في التفسير الكبير قولاً للرازي في 7 شعبان سنة 601هـ أو بعد ذلك بقليل (هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين) [5].

رابعاً وفاته: توفي فخر الدين الرازي سنة 605هـ وله بضع وستون سنة وكانت وفاته يوم الفطر بهراة [6].

مرض الشيخ فخر الدين الرازي في خوارزم –على رأي ابن أبي أصيبعة – فنقل إلى داره حيث اشتد عليه المرض فأملى على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني وصيته في الحادي والعشرين من المحرم سنة 606هـ، وقيل إنّ الكرامية [7] سممّوه، وقد فرحوا بوفاته[8].

يتبيّن لنا أنّ المصادر اتّفقت على اسمه ونسبه وولادته ووفاته واختلفت في الزمان والراجح في ميلاده ما ورد عن ابن خلكان. وقد دلّت وصيته على حسن العقيدة [9].

---

[1]– موقف فخر الدين الرازي من العقائد اليهودية، توفيق عبد الله أبو نعيم، رسالة ماجستير، 1436هـ – 2015م.

[2]–الأدنروي، أحمد بن محمد، (طبقات المفسرين) (214/1)، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، 1997.

[3]–الزركلي، خير الدين، (ت: 1396هـ)، الأعلام، (313/6)، دار العلم للملايين، ط، الخامسة– أيار/ مايو 2002م.

[4]– ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق.

[5]–الزركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية (ص15)، دار الفكر.

[6]– ينظر، موسوعة أعلام الفلاسفة، تراجم موجزة للأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، (2201/1). وفيات الأعيان، (282/1) مرجع سابق، لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (427/4)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة العسالة، ط: الثالثة، 1405هـ– 1985م (501/21).

[7]–هم أتباع محمد بن كرام ذكر الرازي أنهم يعتقدون أن الله جسم وجوهر ومحل للحوادث ويثبتون له مكانا(اعتقادات فرق المسلمين والمشركين 67) وأنهم يجيزون وضع الأحداث لمساندة مذهبهم(المحصول في أصول الفقه 185 – ب).

[8]– الزركان، محمد صالح ،فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الفكر– بيروت، 1963م، ص29.

(9)–ينظر، ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: الرابعة، 1971، (252/4).

ونص وصيته:" يقول العبد الراجي رحمة الله ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلي مولاه كل آبق: أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها؛ لأنّه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب. وصلاته على الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين... ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنّه يسعى في تسليم العظمة والجلالة لله ويمنع عن التعمق في إيراد المشاكسات والمعاندات والمخالفات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأنّ العقول البشرية تضمحلّ في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء في القدم، والأزليّة، والتدبير، والفعاليّة، فذلك هو الذي أقول به... وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد الولات فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضيل والإنعام وإلا فليحذف القول السيء فإني ما أردت إلا تكثير الحث وشحذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله..."[1].

(1)-ينظر، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تاج الدين، (8/90، 91، 92)، تح: د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، ط: الثانية..

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية:

أولاً: شيوخه:

كان مبدأ اشتغاله على والده إلى أن مات، كان والد الرازي أحد أئمة الإسلام مقدما في علم الكلام له فيه كتاب غاية المرام وقد أخذ والده علم الكلام عن ابن القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين وقال في آخر كتابه غاية المرام هو شيخي وأستاذي وأخذ الفقه عن صاحب التهذيب وقد قال عنه السبكي:(أنّه فصيح اللسان قوي الجنان فقيها أصوليا متكلما صوفيا خطيبا محدثا أديبا له نثر في غاية الحسن)[1].

ثم قصد الإمام فخر الدين الرازي الكمال السماني واشتغل عليه مدة[2]، ثم عاد إلى الريّ واشتغل على المجد الجيلي [3]، فلم يفك عن الاستفادة منه، فقد صحبه في سفره وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والفلسفة [4]، وكان من تلامذته البغوي [5].

قال أحمد بن أبي صبيعة: في تاريخه انتشرت في الآفاق مصنفات فخر الدين [6]، وانتشر اسمه وبعد صيته وقصد أقطار الأرض لطلب العلم، عبر إلى خوارزم بعدما مهر في العلوم [7].

---

[1]–السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، (243/7)، تح: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1413هـ، ط: الثانية.

[2]– أحمد بن زر بن كم بن عقيل أبو نصر الكمال السماني وقيل أن والده زرين كم بفتح الزاي ثم الراء الساكنة الخفيفة ثم آخر الحروف ساكنة ثم كاف مضمومة ثم ميم مشددة، قال وهو اسم أعجمي على هيئة مضاف ومضاف إليه وجدّه عقيل (طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تاج الدين، تح: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1413هـ، ط: الثانية، 16/6، 17).

[3]– رفيع الدين الجيلي، هو القاضي الأجل، الإمام العالم، رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن أسماعيل بن عبد الهادي الجيلي، وكان متميّزاً في العلوم الحكمية وأصول الدين والفقه والعلم الطبيعي والطب، للاستزادة انظر(عيون الأنباء في طبقات الاأطباء، ابن أبي صبيعة، 425، 426).

[4]–ينظر، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين ، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، (250/4) تح: إحسان عباس، دار صادر– بيروت.

[5] ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان(428/4)، تح: دائرة المعرف النظامية– الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط: الثالثة، 1406 – 1986

[6]–الأدنروي، أحمد بن محمد، (طبقات المفسرين)(213/1، 214)، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، 1997هـ.

[7]– السبكي، الإمام تاج الدين بن علي، (طبقات الشافعية الكبرى)(86/8)، تح: د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1413هـ، ط: الثانية.

وقد اجتمع الإمام فخر الدين الرازي بنجم الكبراء وشيخ خوارزم نجم الدين الكبري الصوفي فكان ممن طاف البلاد وسمع الحديث وقد تناظر الإمام فخر الدين إمامه مع فقيه آخر في معرفة الله وتوحيده [1]، سافر الإمام فخر الدين الرازي إلى خراسان وتلقى العلم عن علمائها هناك، وخصوصا الحكمة، وقرأ فيها ابن سينا والفارابي ولعل اطلاعه الواسع أغناه عن الأساتذة [2].

ويقال إنه درس على شيخ في مدينة :مربد" ويقال أيضاً إنه درس على الطبسي صاحب (الحائز في العلم الروحاني)[3].

تلاميذه:

كان فخر الدين الرازي جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة وهيئة جميلة إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك وكان فريد عصره ومتكلم زمانه رُزق الحظوة في تصانيفه وانتشرت في الأقاليم[4].

وكان لكثرة تلاميذه دور في شهرته ومن هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا ذوي شهرة كبيرة :

1-زين الدين الكشيَ (عبد الرحمن بن محمد) بخراسان [5].

2-قطب الدين المصري (إبراهيم بن علي بن محمد السلمي)طبيب مغربي الأصل. أقام في مصر مدة، ورحل إلى خراسان فتتلمذ على الفخر. وألف كتاباً في الطب و الفلسفة منها شرح كليات القانون (لابن سينا)قتل بنيسابور لما استباحها التتار سنة 618هـ[6].

---

(1)- ينظر، الوافي، الصفدي، الوافي بالوفيات (469/2).

(2)-موقف فخر الدين الرازي من العقائد اليهودية، توثيق عبد الله أبو نعيم، رسالة ماجستير 1436هـ-2015م

(3)-الرازي وآراؤه الكلامية، محمد صالح الزركان، ص18.

(4)-الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، (ت: 1089هـ) (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، (22/5، 21)، تح: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، 1406هـ - دمشق.

(5)- الشيخ زين الدين الكشيَ له مصنف(حدائق الحقائق في المنطق والطبيعي والإلهي) وهو مجلد مرتب على مقدمتين ثلاثة كتب فيما ذكر من الفنون الثلاثة (حاجي خليفة، كشف الظنون، ص633، موقع المحدث المجانيَ).

(6)-كان من أعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الأفلاك وحركات النجوم، وقال أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخيّ في كتاب الألوف هو المقّدم في علم النجوم عند جميع العلماء، للاستزادة، كشف الظنون، ص 613.

3-شهاب الدين النيسابوري [1].

4-محمد بن رضوان: وهو الذي سأل أستاذه تفسير عيون الحكمة (لابن سينا) فأجابه في طلبه [2].

5- الليثي: ذكره الشهرزوري وقال عنه: إنّه من التلاميذ الكبار.

6-محيي الدين (قاضي مريد).

7-شرف الدين الهروي (أبو بكر بن محمد) من أجلاء الأشاعرة.

8-أثير الدين الأبهري (مفضل بن عمر)، منطقي درس الفلك والفلسفة. من كتبه :تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار في المنطق، وهداية الحكمة، ومختصر في علم الهيئة.

9-أبو بكر إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني، الذي أملى عليه وصيته قبل موته.

10-أفضل الدين الخونجي (محمد بن ناماور بن عبد الملك) ولد سنة 590هـ ودرس على الرازي الفلسفة والمنطق وألف كتاب (الموجز) و(كشف الأسرار). ثم قصد مصر وولي قضاها إلى أن مات سنة 646هـ.

11-تاج الدين الأرموي (محمد بن الحسين) متجر في علم الشريعة والفلسفة. ألف كتاب(الحاصل) مختصر و(المحصول) للرازي. توفي في بغداد سنة 654هـ وله من العمر واحد وعشرون ومائة عام.

12- شمس الدين الخيوبي (أحمد بن خليل). ولد سنة 583هـ وكان ماهراً في الطب والفلسفة وعلم الكلام. ومنهم من قال إنه تلميذ للرازي ومنهم من نفى ذلك.

13-تاج الدين الزوزني (محمد بن محمود).

14-ابن عنين الشاعر الذي لازمه فاستفاد منه مالاً وعلماً.

15- أبو يعلى الماليني الهروي (محمد بن مسعود)- نحوي ولغوي.

---

[1]- سيد العلماء ورئيس الأطباء؛ علامة زمانه، قد جمع الفضائل، وأتقن الصناعة الطبية علما وعملا، وهو علامة وقته في حفظ الصحة ومراعاتها وإزالة الأمراض وعلاجاتها، كشف الظنون، ص386.

[2]- الحاجي خليفة ، محمد بن رضوان ،كشف الظنون، () ، دار إحياء التراث العربي ودار العلوم الحديثة ودار الكتب العلمية ، 1941م.

16- شمس الدين الخسروشاهي(عبد الحميد بن عيسى بن عمرية، اختصر «المهذب» في الفقه، والشفاء لابن سينا، وأتم الآيات البينات (لأستاذه الرازي) أو لخّصه، قال عنه ابن الملقّن «كان فقيها أصوليا متكلما » [1].

آثاره العلمية:

لفخر الدين الرازي التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً، وشرح سورة الفاتحة في مجلد، ومنها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول وكتاب الأربعين والمحصل وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان وكتاب المباحث العمادية في المطالب المعادية وكتاب تهذين الدلائل وعيون المسائل وكتاب إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار وكتاب أجوبة المسائل التجارية وكتاب تحصيل الحق وكتاب الزبدة والمعالم وغير ذلك، وفي أصول الفقه المحصول والمعالم، وفي الحكمة الملخص وشرح الإشارات لابن سينا وشرح عيون الحكمة وغير ذلك، وفي الطلسمات السر المكتوم، وشرح أسماء الله الحسنى ويقال: إن له شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، وشرح سقط الزند المعري، وله مختصر في الإعجاز، ومؤاخذات جيدة على النحاة، وله طريقه في الخلاف، وله في الطب شرح الكليات للقانون، وصنف في علم الفراسة، وله مصنف في مناقب الشافعي، وكل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد [2].

وهو أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف، منها التفسير الحافل والمطالب العالية، والمباحث الشرقية، والأربعين، وله أصول الفقه والمحصول وغيره، وصنف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد، وفيه غرائب لا يوافق عليها، وينسب إليه أشياء عجيبة، وبينت له مدارس كثيرة في بلدان شتّى، وقد وقع بينه وبين الكراميّة في أوقات وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون في طمسه ويشدّون عليه في الذمّ ، ويبالغ هو أيضًا في ذمهم، ومع غزارة علمه كانت له مقولة مشهورة : من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز، وقد ذكرت وصيته، عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله [3].

---

[1]- ينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية، ص 33، 34، 35، مرجع سابق.

[2]- بن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء الزمان (249/4)، تح: ؛إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط: الأولى، 1971.

[3]- ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء (ت:774هـ)، (66/13، 67)، دار الفكر، 1407هـ - 1986م.

لم يكتف الرازي بالاطلاع على كتب علماء الإسلام والفلاسفة القدماء، بل اطلع أيضاً على كتب اليهود والنصارى وقد وصفته دائرة معارف الدين والأخلاق بأنه أول مفسر عني بذكر الأناجيل في التفسير [1].

وقد اشتهرت كتب الرازي وأقبل الناس عليها، لأسلوبها السلس، ولأنها جمعت خلاصة ما انتجته قرائح المتقدمين في العلوم الدينية والعقلية والعربية والطبية إلى غير ذلك من العلوم ومن هذه المصنفات كما ورد ذكرها في كتاب فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية [2].

من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و(معالم أصول الدين) و(محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلين).

و(المسائل الخمسون في أصول الكلام) و(الآيات البينات) و(عصمة الأنبياء) و(الإعراب) و(أسرار التنزيل) و(المباحث الشرقية) و(أنموذج العلوم) و(اساس التقديس) ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) و(السر المكتوم في مخاطبة النجوم) و(الأربعون في أصول الدين) و(نهاية العقول في دراية الأصول) و(القضاء والقدر) و(الخلق والبعث) و(الفراسة) و(البيان والبرهان) و(تهذيب الدلائل) و(الملخص) ورسالة (النبوات)، و(كتاب الهندسة)، و(وشرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا)، و(لباب الإشارات)، و(شرح سقط الزند للمعري)، و(ومناقب الإمام الشافعي) و(شرح أسماء الله الحسنى) و(تعجيز الفلاسفة) بالفارسية وغير ذلك.

وصنف (مضمار الحقائق وسر الخلائق)، و(طبقات الشعراء)[3].

يتبين لنا أنّ الإمام فخر الدين الرازي موسوعة علمية وقد برع في شتى علوم عصره، سواء في التفسير أو البلاغة، والنحو وعلم الكلام والفلسفة، وأصول الدين، والحكمة، والتاريخ وغيره واستثمر كل هذه العلوم في مصنفاته.

(1)–فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية، مرجع سابق ص56.

(2)– ينظر فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية، للاستزادة، مرجع سابق.

(3)– الزركلي، خير الدين بن محمود ،الأعلام ، (313/6).

التعريف بمفاتيح الغيب والشبه التي أثيرت حوله، ومنهجه فيه :

يقع هذا التفسير في ثمانية مجلدات كبار، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم، ويقول ابن قاضي شهبة: إنّه – أيّ الفخر الرازي – لم يتمه، كما يقول ذلك ابن خلكان في وفيّات الأعيان إذاً فمن الذي أكمل هذا التفسير؟ وإلى أي موضوع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره!

الحق أن هذه مشكلة لم نوفق إلى حلها حلاً حاسماً، لتضارب أقوال العلماء في هذا الموضوع، فابن حجر العسقلاني، في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، يقول:" الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازي هو، أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي القمولي، مات سنة 727هـ (سبع وعشرين وسبعمائة من الهجرة) وهو مصريّ " وصاحب كشف الظنون يقول: "وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولي تكملته له، وتوفي سنة 727هـ (سبع وعشرين وسبعمائة من الهجرة)، وقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الخوي الدمشقي كمل ما نقص منه أيضاً، وتوفي سنة 639هـ، (تسع وثلاثين وستمائة) ".

فأنت ترى أن ابن حجر يذكر أن الذي أتمّ تفسير الفخر هو نجم الدين القمولي، وصاحب كشف الظنون يجعل لشهاب الدين الخوي مشاركة على وجهٍ ما في هذه التكملة، وإن كانا يتفقان على أنّ الرازي لم يتم تفسيره وأما إلى أي موضوع وصل الفخر في تفسيره؟ فهذه كالأولى أيضاً وذلك لأننا وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصه: "الذي رأيته بخط السيد مرتضى نقلا عن شرح الشفا لشهاب، انه وصل فيه إلى صورة الأنبياء ".

وقد وجدت في أثناء قراءتي في هذا التفسير عند قوله تعالى في الآية [24] من سورة الواقعة: (جزاء بما كانوا يعملون) هذه العبارة: "المسألة الأولى أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة ونحن نذكر بعضها.... الخ". وهذه العبارة تدل على أن فخر الدين، لم يصل في تفسيره إلى هذه السورة.

كما وجدت عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [6] من سورة المائدة **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة)** الآية، أنّه تعارض لموضوع النية في الوضوء، واستشهد على اشتراط النية فيه بقوله تعالى في الآية [5] من سورة البينة: **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)**.. وبين أن الإخلاص عبارة عن النية، ثم قال: " وقد حققنا الكلام في هذا الدليل في تفسير قوله تعالى **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)** فليرجع إليه في طلب زيادة الإتقان ".

وهذه العبارة تشعر بأن فخر الدين الرازي فسّر سورة البينة، أي أنّه وصل إليها في تفسيره، وهذا طبعا بحسب ظاهر العبارة المجرد عن كل شيء.

والذي أستطيع قوله كحل لهذا الاضطراب: هو أن الإمام فخر الدين، كتب تفسيره هذا إلى سورة الانبياء، فأتى بعده شهاب الدين الخوي، فشرع في تكملة هذا التفسير ولكنه لم يتمه، فأتى بعده نجم الدين القمولي، فأكمل ما بقي منه. كما يجوز أن يكون الخوي اكمله إلى النهاية، والقمولي كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخوي، وهذا هو الظاهر من عبارة صاحب كشف الظنون.

وأمّا إحالة الفخر على ما كتبه في سورة البينة، فهذا ليس بصريح في أنه وصل إليها في تفسيره، إذ لعله كتب تفسيراً مستقلاً لسورة البينة، أو لهذه الآية وحدها، فهو يشير إلى ما كتب فيها ويحيل عليه.

وهذا رأي بين الإصابة والخطأ كما قاله الذهبي، وذلك لعدم وجود تفاوت في المنهج والمسلك فهو أي الكتاب يجري على نمط واحد من أوله إلى آخره، وطريقة واحدة، حيث يجعل الناظر إليه لا يميز بين الأصل والتكملة والمقدار الذي كتبه الرازي والمقدار الذي كتبه صاحب التكملة [1].

بينما قال ابن عاشور حول هذه القضية (والذي يبدو في نظرنا فيصلاً بين ذلك كله أنّ الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي، وبقي شيء في الأمالي والمسودات بيد بعض تلامذته فأقبل على تصنيفه وتحريره وألحق الفرع بالأصل. فالكتاب بروحه هو كله للرازي وبتحريره هو من وضعه في الأول ووضع تلميذه الخوبي في الآخر [2].

وهذه النتيجة التي توصل إليها ابن عاشور قد توصل إليها باحثون آخرون من أمثال : محسن عبد الحميد وبو عزيزي والتي تؤكد أنّ الرازي أكمل كتابه التفسير الكبير قبل وفاته.

ثال الداوودي طبقات المفسرين أن الرازي صنف كتابه في اثني عشر مجلداً سمّاه فتوح الغيب أو مفاتيح الغيب[3].ويقول ابن أبي أصيبعة والبغدادي: أنه في عشرة مجلدات [4].

وأثيرت شبه حول الرازي كما ورد على لسان ابن حجر العسقلانيّ: "أنه يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء، قال الطوفي : "لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتى يستر عنه ولعل سببه أنه كان يستفرغ أقوالاً في تقرير دليل الخصم فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى وقد

---

[1]–ينظر، التفسير والمفسرون، الذهبي، الدكتور محمد السيد(ت: 1398هـ)، (206/1، 207)، مكتبة وهبة، القاهرة.

[2]– ينظر، منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب، رسالة ماجستير، سميحة الواحدي، 1430–1413هـ / 2009– 2010م.

[3]– الأدنروي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين (241)، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، 1990م.

[4]– الواحدي ، سميحة ، منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب.

صرّح في مقدمة نهاية العقول أنه مقرر مذهب خصمه تقرير الوارد خصمه أن تقريره لم يقدر على الزيادة على ذلك" [1].

يتبين لنا أنّ الإمام فخر الدين الرازي كان موسوعة علمية فكان يجمع ما أمكنه من الحقائق والدقائق عن المذاهب والعقائد، وهذا جعل من معارضيه ومخالفيه إيراد الشبه حوله وحول كتبه وبالذات التفسير الكبير، وهذا ما يمنحه وسام الأمانة العلمية إذ ينقل من الخصم قوله ودليله، وقد ذكر أنه مقرر مذهب خصمه ودليله ولو أراد خصمه تقريره لم يقدر الزيادة عليه، وهذا لا يعني أنه لم يكن يرد على خصمه فالدارس جيدا لكتبه بما فيها مفاتيح الغيب يلحظ شدة تحمسه في نقد شبهات المذاهب والأديان المخالفة، والذين اتهموه أنه أوجد في مفاتيح الغيب كل شيء إلا التفسير فلقد أورد الكثير من المسائل الأصولية والمسائل النحوية والبلاغية، وغيرها إلا أن توسعه فيها ليس كتوسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية.

منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره :

آمن فخر الدين الرازي أن الحكمة القرآنية أسمى وأسلم من جميع الطرق الكلامية، والمذاهب الفلسفية، فانطلق يقرر فكرته للناس، متحديا أهل المعارف الطبيعية والفنون الفلسفية، وكانت الطريقة المثلى في نظره، لإدراك ما في القرآن من أسرار حكيمة، وبث ما تضمنه من مطالب فلسفية وعلوم طبيعية، إنما هي طريقته الكلامية المختارة المتبعة لمنهج الغزالي، وإمام الحرمين، والباقلاني، وأبي اسحاق الإسفراييني، فكان يرى أن طريقة المعتزلة، هي التي عطلت القرآن عن أن تفيض على الناس غيوثه الحكيمة وأن المعتزلة لما آمنوا بالحكمة اليونانية، حجبوا عن الوصول إلى أسرار القرآن، فأصبح مبلغهم في تفسيره، تحقيق أعاريبه وتحليل تراكيبه، وبيان ما اشتمل عليه : من بديع النكت، وبليغ الأساليب مستحوزين على طريقة التفسير النظري وطالما أسلوبهم مسيطر عليه، فإن القرآن الكريم لا يزال محجوبا عن أفكار أهل المدارك الحكيمة، تحول بينهم وبين لبَّهُ بحوث في القشور النحوية، وتقارير للقوالب البلاغية، هنالك ناشد نفسه، وناشد الناس أن يغوصوا على منابع القرآن ليفجروا منها سيولاً فيّاضة يستطيعون أنْ يغترفوا منها حكمة صافية : هي

روح الهداية التي جاء القران ينير بها العقول، ويشرح لها الصدور. وأقدم على تصنيف كتب في التفسير في معرض تطبيق نظريته [2].

---

[1]–ابن حجر، احمد بن علي، لسان الميزان، (428/4)، تح: دائرة المعارف النظامية– الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

[2]– ابن عاشور، الشيخ محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ص 98، 90، 93، الأزهر– مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ – 1970م

اهتم الإمام فخر الدين الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، فيذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيراً ما يذكر اكثر من مناسبة.

واهتم بالعلوم الرياضية والفلسفة كما أنه يكثر من الاستطراد من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة، على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية وغيرها، كما أنه يعرض كثيرا لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد، وإن كان يصوغ أدلته في مباحث الإلهيات، على نمط استدلالاته العقلية، ولكن بما يتفق ومذهب أهل السنة.

ثم إنه – كسنّي يرى ما يراه أهل السنة، ويعتقد بكل ما يقرونه من مسائل علم الكلام – لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليهم، رداً لا يراه البعض كافياً ولا شافياً.

ثم إنه لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها، مع ترويجه لمذهب الشافعي – الذي يقلّده – بالأدلة والبراهين.

وكذلك يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والمسائل النحوية، والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية.

فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ إن هذه الناحية، هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم.

ومن أجل ذلك قال صاحب كشف الظنون :" إن الإمام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب " ونقل عن أبي حيان انه قال في البحر المحيط : "جمع الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير ".

فقد كان الإمام فخر الدين الرازي مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، ما دام أن يجد صلة ما بين المستنبط أو المستطرد إليه وبين اللفظ القرآني [1].

[1]–ينظر، الذّهبي ، د. محمد السيد ،التفسير والمفسرون، (ت: 1393هـ)، (209/1، 210)، مكتبة وهبة – القاهرة.

الفصل الرابع :حياة القاسمي السياسية والاجتماعية والعلميّة

المبحث الأول : اسمه ، لقبه ، كنيته، نسبه ، نشأته ووفاته :

المبحث الثاني : شيوخه، وتلاميذه ، وآثاره العلميّة .

المبحث الثالث : الظروف التي الّف فيها محاسن التأويل والتعريف به .

الفصل الرابع : حياة القاسمي السياسية والاجتماعية والعلمية:

المطلب الأول: الحياة السياسية التي عاش القاسمي في ظلّها :

عاش القاسمي مرحلتين في زمن الدولة العثمانية، مرحلة السلاطين، والمرحلة التركية. أمّا الأولى فقد حكم فيها ثلاثة خلفاء هم عبد العزيز ومراد الخامس وعبد الحميد الثاني، وأمّا المرحلة الثانية فتسلَّمَ زمام القيادة الحقيقية خلالها زعماء حزب الاتحاد والترقي أيام السلطان محمد رشاد.

وكانت جميع الولايات العربية أيام الخلفاء الثلاثة المذكورين تعد جزءاً من الامبراطورية العثمانية الكبرى، لها ما للولايات التركية من حقوق، وعليها ما عليها من واجبات، مع إعطاء شعوب الولايات العربية كامل الحرية في اللغة العربية وتعليمها بمدارسها بوصفها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي اللذين تعتز بهما السلطنة.

وقد تقلد العرب في هذه المرحلة أرفع المناصب كمنصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ومنصب شيخ الإسلام. وكانوا أعضاء في مجلس المبعوثين. فلما حكم الاتحاديون نادوا باللغة التركية الطورانية لغة رسمية لجميع الولايات وحاربوا العربية، وأخذوا بسياسة التتريك.

وحكم دمشق على امتداد عمر القاسمي 19 والياً، اختلفت سيرتهم على ما يبدو عن سير من قبلهم من الولاة الذين كانوا لا يهتمون بغير جمع الأموال بقدر ما يمكنهم، ذلك لأنّ الدولة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي أخذت تبعث إلى الشام بأعاظم رجالها يتولونها، وقد شهدت الشام في عهودهم شيئاً من الاستقرار السياسي والأمن بالقياس إلى الاضطرابات التي سبقت في العهود الماضية[1].

كانت الحالة السياسية في الدولة العثمانية في أشد أحوالها، حتى أطلق عليها اسم (الرجل المريض)، فأصبحت الثروات تنهب، والأوصال تتقطع والحريات بجميع أنواعها تفقد، والأقلام غُلّت، والعقول قيّدت، والناس محاسبون على الهمسة، وأعوان السلطان مبثوثون في كل مكان.

وأمّا الحال في الشام: فقد قل فيهم من يعرف القراءة والكتابة أو أبسط العمليات الحسابية، وأصبح التدريس والخطابة والإمامة وغيرها من المسالك الدينية توسد إلى الجهلة، بدعوة أنّ آباءَهم كانوا علماء، وهم يجب أن يرثوا وظائفهم ومناصبهم وإن كانوا جهلة.

---

[1]أباظة، الدكتور نزار أباظة، جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، (ص:17، 18، 29)، دار القلم – دمشق، الدار الشامية–بيروت، ط1 1318هـ – 1997م.

وهكذا ران الجهل على بلاد الشام وعلى سائر البلاد العربية في القرنين الأخيرين من حياة الدولة العثمانية [1].

ولد القاسمي والدولة العثمانية تتكالب عليها المكائد من كل اتجاه من العالم الغربي، وحتى من ولاتهم أنفسهم حتى أنهكت قوتها، فكان الولاة في عصر القاسمي جُلّ همّهم الجري وراء الشهوات والطرب والملذات، حيث إنّهم كانوا مولعين بالتقليد الأعمى للمفاسد الغربية فهاج علماء الإسلام لذلك وعادوا هذا التقليد أكبر معاداة، والذي جعل الوضع يسوء، أنّ مجموعة من العلماء اجتمعوا للمدارسة في العلم مما أغار صدور الولاة عليهم فقبضوا عليهم، وكان من بينهم شيخنا القاسمي الذي كان من شأنه نبذ التقليد الأعمى وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه [2].

والذي تراه أنّ الحالة السياسية كانت تتّسم بالضعف والوهن الشديد والخمود زمن المماليك والدولة العثمانية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية :

امتازت دمشق وما حولها بالتنوع البشري، ففيها جاليات قديمة من الأكراد والسريان والأتراك والتركمان والشراكسة والبوشناق (البوسنيين) والكريتيين والألبان والأرمن واليونانيين والإيطاليين والفرنسيين وغيرهم من جميع الأقطار، وهؤلاء يتكلمون مجموعة ضخمة من اللغات الحية والميتة، هذا بالإضافة إلى وجود عدد من الديانات المسيحية واليهودية بطوائفهما إلى جانب المسلمين بمذاهبهم وفرقهم المتعددة من سنة وشيعة وجعفريين ودروز وغيرهم.

وكانت وسائل اللهو والترفيه محدودة، شغل عدد من الدمشقيين بركوب الخيل والصيد، بينما تجمع كثير منهم في المقاهي ؛ لشرب القهوة وتدخين النراجيل ومشاهدة خيال الظل (القرجوز) أو لعب النرد، أو الاستماع إلى سيرة عنترة من الراوي، وكان للباس قواعد عامة حتى أواخر القرن التاسع عشر.

وكانت المرأة خلال العصر الذي نتحدث عنه منزوية في بيتها، لا تمارس أي نشاط مهم، ولا تأخذ حظها من التعليم، وقد حرمتها التقاليد الجارية بعض حقوقها التي أعطاها إياها الشرع [3].

---

[1] انظر، العجمي، محمد بن ناصر العجمي، إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية، (ص:16، 17، 18)، دار البشائر الإسلامية بيروت–لبنان، ط1 1430 هـ – 2009 م.

[2] انظر، دبدوب، محمود علي، القاسمي محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية، (ص:19، 22) دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر.

[3] أنظر، أباظة، الدكتور نزار ، جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، (ص:41، 42، 44)، دار القلم دمشق، الدار الشامية–بيروت، ط1 1418 هـ – 1997 م.

نشأ القاسمي في جو اجتماعي خانق حيث استمرت الأحوال الاجتماعية في الدولة العثمانية وبخاصة دمشق مرة تعلو ومرة تسفل تابعة في ذلك لهمم الولاة والحكام ورجال الأمر والنهي.

فنظراً بما تعاقب من تداول الدول، وانتياب الفتن الداخلية بين الأمراء والزعماء، وطرق الحروب والغارات الأجنبية، ثم الحروب التيمورية، كل هذه الحوادث لم تمهل دمشق أن تستوفيَ حظها من العمران وتكون لنفسها هيئات اجتماعية تقوم بها فلم تكد تنشل من كبوة حتى يضربها الزمان، ولا تخلص من مرض إلّا أشد وأنكى. يضاف إلى ذلك الابتلاءات السماوية التي أثرت تأثيرا بيّناً في مدينة دمشق فقد أصابهم الطّاعون أكثر من مرة في العهد العثماني، كما عمت الزلازل في هذا العصر قد ألحقت الكثير من الدمار بالإنسان والحيوان، وانتشار المجاعات والمصائب المهلكة كل هذه الأشياء أدت إلى فناء خلق كثير وفقدت بسببها الندوات، فلا جمعيات إصلاحية ولا حلقات اجتماعية، ولا جمعيات خيرية [1].

المطلب الثالث: الحالة العلمية:

كانت الديار الشامية جزءا من الامبراطورية العثمانية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانت معظم هذه الولايات الامبراطورية الواسعة غارقة في لجج الجهل والأمية إلّا أشخاصاً قليلين يعرفون القراءة والكتابة، وقد كانت سياسة تتبعها الدولة حيث تقوم على طمس العلم والترويج للجهل والأمية بين الناس حفاظاً على سلطانها السّاخط والغاصب، فأغلقت العقول وحبست الأفكار وعمّت الأمية وانتشر الجهل، وقد قامت سياسة هذه الدولة على تتريك جميع العناصر التي يظلها لواؤها، فكانت اللغة العربية لا تكاد تعلَّم يومئذ إلَّا في مدارس التبشير المسيحي والمدارس الطائفية غير الإسلامية بأساليب ركيكة ومنطق غير سليم، وكان رجال الدين–إلّا من عصم ربك– غارقين في الكتب التي ألفوها من متون الفقه وبعض كتب اللغة التي كانوا يسمونها (الآلة)فلا تفسير ولا حديث ولا دليل ولا برهان ولا إعمال للعقل ولا ترويض للفكر، حتى اتهموا المجتهدين بالفسق والكفر والإلحاد وكل مجتهد يعرَّض إلى التنكيل والحبس، فالحياة الثقافية مفقودة أو بالمفقودة أشبه، فلا مدارس ولا معاهد ولا جامعات والطباعة والصحافة ركيكتا البنية والأمية منتشرة، وذلك لسياسة الدولة التي فرضت الجهل المطبق على الناس، فكانت الحالة الدينية نتيجة طبيعية للحياة الثقافية جمود على القديم متون يحفظونها بدون فهم – إلّا من رحم ربك – وكانت الطرق الصوفية في أوج انتشارها يعتنقها بعض رجال الدين ويجمعون عامة الناس حولهم ويشغلونهم عن العمل النافع لإقامة المجتمع الإسلامي، وقد قيّض الله تعالى مجموعة من العلماء المخلصين الذين نحت الثقافة الدينية في بداية هذا القرن على أيديهم منحى جديداً فتطورت الثقافة، ومالت إلى تبسيط العلوم، وتخلصت

---

[1]ينظر: دبدوب، علي محمود علي، القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية، (ص:24)، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر.

لغتها من التعقيدات، وكان من هؤلاء العلماء الذين دعوا إلى الإصلاح الشيخ طاهر الجزائري وشيخنا القاسمي وغيرهم الكثير[1].

والذي نراه أنّ الحالة العلميّة كانت نتيجة تردي الأحوال السياسيّة والاجتماعية وظلّت على وهْنها إلى أن سخّر الله شيوخاً دافعت عن الإسلام وخرجت من هذه الأجواء الخانقة إلى حلقات روحانيّة إيمانيّة علميّة وأخذت تنادي بتعلّم اللغة العربية الأم.

[1] ينظر:، دبدوب ، علي محمود دبدوب، القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية، (ص:28، 29)، دار الحديث للبحث العلمي والترجمة والنشر.

المبحث الخامس: اسمه لقبه كنيته نسبه نشأته ووفاته:

أولا: اسمه ولقبه:

محمد بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي نسبة إلى جده قاسم المعروف بالحلاق أو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، كان سلفي العقيدة عالماً بالدين ومتضلعاً منهم فنون الأدب مولده في ووفاته في دمشق [1].

غير أنَّ هناك اختلافاً بين أهل التراجم في اسمه هل هو جمال الدين أو محمد جمال الدين؟ والسبب أنَّ في ذلك يرجع إلى القاسمي رحمه الله يذكر في بعض مؤلفاته أنه جمال الدين، وفي بعضها الآخر يذكر أنَّه محمد جمال الدين، والذي نميل له هو ما أثبته من أنَّ اسمه محمد جمال الدين وجمال الدين لقب له، وعلى هذا يكون ما ذكرته بعض كتب التراجم.

التي قد اعتمدت على القاعدة النحوية التي تقول:" إذا اجتمع الاسم مع اللقب وجب في الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب"[2].

تبيّن لنا ممّا سبق أنَّ القاسمي – رحمه الله – كان يلقب نفسه في كثير من كتبه بجمال الدين وهذا اللقب كان محبباً إليه لذا لقبه معاصروه بهذا اللقب.

ثانيا: كنيته:

كان يكنَّى –رحمه الله– بـ "أبي الفرج" وقد ذكر ذلك في ترجمته لنفسه، فقال عند تعريفه لنفسه: "محمد جمال الدين أبو الفرج"[3].

ثالثا: نشأته :

نشأ القاسميّ في دمشق في بيت علم ودين وورع، وخلُق كريم، بيت عُرف بالتّقوى والصّلاح فقد كان والده وجده – رحمهما الله – من المعروفين بالأدب ومكارم الأخلاق، ففتح القاسميّ عينه على هذا النّور

---

[1] انظر، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي،(ت:1396هـ)، (135/2)، دار العلم للملايين، (ط:15- أيار /مايو 2002م).

[2] ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، (ت:761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، (98/1)، (تح:محمد محي الدين عبد الحميد)، القاهرة، (ط:1383/11).

[3] دبدوب ، علي محمود دبدوب، القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الإعتقادية، (ص:35، 36)، دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر.

في بيته، وأعانه كلّ هذا، على أن ينشأ نشأةً صحيحة صالحة، فضْلاً عمّا فطر عليه القاسمي من عناصر الحق و الخير وقد درس القاسمي – رحمه الله– على طريقة القدماء، وكان يأخذ كل علم عن أئمّته الأعلام، فقرأ القرآن أولاً

ثمّ جوّده ثم تعلّم الكتابة ثمّ أخذ يتعلّم مبادئ التّوحيد، والصرف، والنّحو، والمنطق، والبيان، والعروض، وانكبّ على دراسة الحديث الشريف لا سيّما أحاديث البخاري، ودراسة التّفسير والفقه والأصول والعقيدة على يديّ أجلّ علماء الشام .

لم تقتصر ثقافة القاسمي – رحمه الله – على علوم الشريعة واللّغة بل إنّ ثقافته كانت شاملة، فقد اعتنى بما استحدث في العصر من مكتشفات ومخترعات، وما وصل إليه العلم من آراء ونظريات، واستخدم كل ذلك في خدمة المجتمع الإسلامي وفي خدمة المسلمين ودينهم، لأنّ الإسلام في نظره دين فطرة مؤمنة وعقل متفتّح ونظام عام، فلا عجب أنْ نجد ضمن مؤلّفاته كتباً تتحدّث عن البرق والكهرباء، والهاتف، والاشتراكية، إلى جانب ما تركه القاسميّ في التفسير والحديث والتاريخ والأدب والاجتماع والأخلاق[1].

ولد القاسمي – رحمه الله – سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانون (1283هـ)، ونشأ في حجر والده حتّى شب، وتعلّم القرآن[2].

اتّفقت جميع كتب التراجم التي ترجمت للشيخ بأنّ وفاته عام ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين من الهجرة، مساء السبت في الثّالث والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريّة ولم يبلغ الخمسين من عمره – رحمه الله– وأجزل ثوابه، ودفن في مقبرة الباب الصغير في دمشق [3].

---

[1] دبدوب، علي محمود دبدوب، القاسمي محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقاديّة، (ص37، 38، 39، 40)، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر.

[2] العجمي، محمد بن ناصر العجمي، جمال الدين القاسمي سيرته الذاتيّة، (ص: 28)، دار البشائر الإسلامية، (ط الأولى 1430هـ–2009م).

[3] دبدوب، علي محمود علي، القاسمي محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الإعتقادية، (ص: 102، 103)، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنّشر.

المبحث السادس :شيوخه وتلاميذه وآثاره العلميّة:

أولا: شيوخه:

1- الشيخ محمد سعيد بن قاسم بن صالح القاسمي :(والده العلَّامة الأديب) أحد العلماء الأدباء، والفقهاء النبغاء. ولد بدمشق سنة (1258 هـ)، قرأ على العلَّامة الطنطاوي، وحضر دروسه في الفقه والحديث والعربية، وكان قوي الملكة في الشعر والنثر، ومن تآليفه النادرة كتاب سمَّاه (بدائع الغرف في الصناعات والحرف)، وكتاب (تنقيح الحوادث اليومية في دمشق).

2- الشيخ محمود الحمزاوي : السيد محمود أفندي الحمزاوي بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى بن حسين بن عبد الكريم المعروف كأسلافه بابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي، فهو الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل، ولد بدمشق سنة (1239هـ) واجتهد في تحصيل العلوم، اشتغل بتحرير المسائل الفقهية بجد واجتهاد، ودقق وحقق ومن أبرز مؤلفاته (در الأسرار) وهو التفسير الجليل بالحروف المهملة[1].

3- الشيخ طاهر الآمدي: ولد سنة(1215هـ) ونشأ مجتهداً في تحصيل العلوم وكانت له حجرة في المرادية [2]، يقيم بها للقراءة والإقراء.

4- الشيخ سليم العطار: الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد الشهير بالعطار الشافعي، صدر المدرسين واكليل وأجلاء الكاملين، وقدوة أهل الحلِّ والعقد.

5- الشيخ محمد الطنطاوي: الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهري الشافعي الحسيني، أتقن كافة العلوم من صرف ونحو، منطق وبيان، ومعانٍ وكلام وحديث وتفسير وفقه، وحساب، حتى صار آية في المعقول والمنقول.

6- الشيخ نعمان الألوسي: هو الشيخ نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألوسي، حفظ القرآن منذ الصغر وأتقنه ثم حفظ المتون المستحسنة، وحضر دروس العلماء الأعلام، واشتغل في

---

[1] انظر: العجمي، محمد بن ناصر العجمي، جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية،(ص:109)، دار البشائر الإسلامية، (ط الأولى:1430هـ-2009م).

[2] مدرسة كانت قبل ذلك خاناً يسكنه أهل الفسق والفجور فاشتراها واشترط إلّا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب للتتن...) انظر: أبو الفضل، محمد خليل بن علي،(ت:1256هـ)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (ص:130/4)، دار البشائر الإسلامية ، دار ابن حزم، (ط 3، 1408هـ - 1988م).

التعليم والوعظ والإرشاد، وقد تصدّر التدريس وكان رئيساً للمدرسين، وكان منذ صباه شغوفاً بالمطالعة، ميّالا للكتب النادرة[1].

7- الشيخ بكري العطار، الشيخ أحمد الحلواني، الشيخ حسن جبينه، الشيخ حسن أفندي، الشيخ حسن أفندي جبينه الشهير بالدسوقي، الشيخ محمد بن محمد الخاني، الشيخ محمد بن محمد الخاني النقشبندي، الشيخ أحمد الشَّطي، الشيخ مرتضى الحسني الجزائري...)[2].

ثانياً: تلاميذه:

1- الشيخ محمد بخيت المطيعي : هو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي: الحنفي مفتي الديار المصريّة، ومن كبار فقهائها. تعلّم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي واتّصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، وكان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قاربها الشيخ محمد عبده.

2-الشيخ محبّ الدين الخطيب :هو الشيخ محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صلاح الخطيب، من كبار الكتّاب الإسلاميين والسياسيين، وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين، وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، وأنشأ المطبعة السلفيّة، ومكتبتها، وله مؤلّفات كثيرة منها:

1- اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.

2-الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه.... وغير ذلك.

3- حامد التّقي: هو حامد (أو محمد حامد) بن أديب بن أرسلان التّقي، فقيه حنفي، متأدّب، من أهل دمشق، عين مدرّساً في جامع الحبوبي لتعليم التربية الدينية واللغة العربية، وهو من أكبر تلاميذ القاسمي سناً وأقدمهم صحبةً، وأكثرهم ملازمة له.

4- **محمد بهجة البيطار**: هو الشيخ محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار. تلقى مبادئ علوم الدين واللغة عن والده وأتمَّ دراسته الابتدائية والإعدادية، ثم تابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده، وعلى جده وعلى شيوخ عصره الأعلام كالشيخ جمال الدين القاسمي.

---

[1] انظر، دبدوب، علي محمود دبدوب، القاسمي محمد جمال الدين القاسمي وآرؤه الإعتقاديّة، (ص:75)، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنّشر.

[2] انظر ترجمته، العجمي، محمد بن ناصر، جمال الدين القاسمي، (ص:132 حتى 211)، دار البشائر الإسلامية.

5- أحمد محمد شاكر: هو الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر يرفع نسبه إلى الحسين بن علي – رحمه الله–، من مؤلفاته: شرح مسند الإمام أحمد، عمدة التفسير.

6- محمد جميل الشطي: هو الشيخ محمد جميل بن عمر بن محمد بن حسن بن عمر جلبي الشطي، فقيه حنبلي، أديب، مؤرخ، أصله من بغداد[1].

ثالثا: مؤلفاته:

ويعد القاسمي من المكثرين في التأليف رغم كثرة شواغله وكونه رب أسرة كبيرة تحتاج إلى رعاية وخدمة وقد أحصى ولده ظافر من كتبه 87 كتاباً، إلّا أن عاصم البيطار قال: إنَّ والده الشيخ محمد بهجة أوصلها إلى 110 مصنفات دون أن يُعيّن أسماءَها، ولا أن يثبت الزيادات التي يراها، وقد أجمع من يعرف القاسمي أنَّ أجل كتبه تفسيره المسمى :

1- "محاسن التأويل"(17 مجلداً).

2- من أنفع مؤلفاته "قواعد التحديث"، "وموعظة المؤمنين تلخيص إحياء علوم الدين".

3- ومن كتبه الجميلة "تعطير المشان في مآثر دمشق الشام "ولا يزال مخطوطاً و"شمس الجمال على منتخب كنز العمال"، و"الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين".

4- آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي.

5- الآراء الفلسفية في الموت وفي علاج الخوف منه وفي رفع الأوهام عنه، وفي رحمة وجوده، وفي أنَّ الحياة الحقيقة بعد الموت.

6- أجوبة المسائل.

7- الاحتياط للخروج من الخلاف، الارتفاق بمسائل الطلاق، إرشاد الخلق بعمل البرق، الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس، الإسراء والمعراج، الشذرة البهيّة في حل ألغاز نحويّة وأدبيّة، شذرة من السيرة المحمديّة... وغيرها من المؤلّفات [2].

---

[1] انظر، دبدوب، علي محمود علي ، القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية، (ص:94، 95، 97، 98، 99، 100، 101)، دار المحدثين للبحث العلمي.

[2] نزار، أباظة ، أعلام المسلمين جمال الدين القاسمي، (ص: 273حتى ص 281)، دار القلم – دمشق، ط: الأولى (1418هـ- 1997م).

المبحث السابع: الظروف التي ألف فيها محاسن التأويل و التعريف به :

عاش القاسمي معظم حياته في أشد أيام الظلم والظلام، فقد ولد ونظام الحكم المطلق قائم في الدولة العثمانية، الحريات بجميع أنواعها مفقودة، والأقلام مغلولة، والأحرار مطالبون، وأعوان السلطان مبثوثون في كل مكان، والجاسوسية تفتك بالأبرياء، والعدالة تكاد مفقودة.

أمَّا الحياة الثقافية في ولاية سوريا فكانت أشبه بالمفقودة، فلا مدارس، ولا معاهد ولا جامعات واعتماد القلة من الناس على الكتاتيب وحلقات الجوامع والدروس الخاصة في البيوت، جهل مطبق فرضته الدولة على الناس، ليعيشوا في جو من الظلام.

وكان حال الحياة الدينية نتيجة للحياة الثقافية جموداً على القديم، كتب صفراء يتداولها الطلاب، ومتون كثيرة يحفظونها من غير فهم، وتقليد أعمى غلت معه العقول.

أّمّا حقيقة الدعوة الإسلامية وأهدافها السامية، فلم يكن أحد من رجال الدين عارفاً بها، أو مهتماً بنشرها.

فلمّا أدرك القاسمي هذه الحقيقة المرة رأى أنَّ الإصلاح لا يمكن أن يتم بالاستشهاد وحده، وإن كان دستور المسلمين الخالد، ولا بالسنة معه، وإن كانت متممة له، لذلك عمد إلى الإكثار من نقل أقوال المسلمين الغابرين في كتبه، يختار ما كان منسجما مع دعوته السامية، وذلك إذا كان لخصومه أي اعتراض على أقواله، فليس لهم أن يعترضوا على أقوال الفقهاء الأقدمين، بل عليهم أن يسلموا بما جاء فيها، ولم يقتصر في نقوله عن الأئمة المعروفين من المذاهب الأربعة وغيرهم من فلاسفة المسلمين، وإنّما كان يجد القول الصحيح لدى زيدي أو معتزلي أو خارجيّ أو غيرهم، فلا يمنعه ذلك من الاستشهاد بقوله، حتّى وإن كان يرى قولاً لأحد العلماء الفرنجة فيسارع إلى التقاطه وجمعه إلى كتابه.

تصفّح القاسميّ تفاسير السابقين ما قدّر الله له، وتعرّف على الركيك والسقيم والسمين النّضر، واستخار الله – عزوجل – في تقرير قواعد القرآن وتفسير مقاصده في كتاب اسمه " محاسن التأويل " [1].

اشتغل في تأليفه منذ عام 1317 وأتمّه في رمضان 1327هـ، ثم أعاد فيه النظر، وخصص لمراجعته موعداً ليلتين في الأسبوع حتى انجزه عام 1329 هـ، وقد جرى في تفسيره هذا على إظهار أسرار الشريعة حقائقها على طريقة السلف، يفسر القرآن بالقرآن وبالحديث وبأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من مختلف المذاهب، وذكر كل ما لابن تيمية ولابن القيم. خصص الجزء الأول للقواعد في التفسير، من أهم ما فيها كلامه عن أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات والإسرائيليات وظاهر القرآن وباطنه والتفاسير

---

[1] انظر، مقدمة القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، (ت: 1332هـ)، تفسير محاسن التأويل، (1/1)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، ط: الأولى – 1418هـ.

المشكلة والترغيب والترهيب في التنزيل وقصص الأنبياء والحقيقة والمجاز، وتكرير بعض القصص والرسم العثماني وأصح التفاسير عند الاختلاف، وغير ذلك [1].

[1] انظر، أباظة، نزار ، أعلام المسلمين جمال الدين القاسمي، (ص:276)، دار القلم–دمشق، ط:الأولى–1418 هـ، 1997م.

الفصل الخامس : المقارنة بين تفسير مفاتيح الغيب ومحاسن التأويل:

المبحث الأول : موقفهما من علوم القرآن .

المبحث الثاني : موقفهم من التفسير بالمأثور .

المبحث الثالث : موقفهما من اللغة والإعراب .

المبحث الرابع : آيات الأحكام .

الفصل الخامس: المقارنة بين تفسير مفاتيح الغيب ومحاسن التأويل من خلال سورتي الأنعام والأعراف وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقفهما من علوم القرآن وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: فواتح السور:

من الأمور التي اتّخذاها منهجاً لهما في تفسيرهما عنايتهما في فواتح السور ومن شواهد ذلك ما أورداه من خلال سورة الأعراف:

ذكر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) حول معنى (المص) عدّة أقوال للمفسّرين منها:

أولاً :قول السدي (المص) على هجاء قولنا في أسماء الله – تعالى – إنّه المصوّر .

ثانياً :وفسّرها ابن عباس(المص) أنا الله أفصلُ وعنه أيضاً : أنا الله أعلم: قال الواحديّ : وعلى هذا التفسير فهذه الحروف واقعة في موضع جمل والجمل إذا كانت ابتداء وخبرا لا موضع لها من الإعراب فقوله : أنا الله أعلمُ لا موضع لها من الإعراب فقوله : «أنا» مبتدأ وخبره قوله : «الله » وقوله :«أعلمُ» خبرٌ بعد خبرٍ وإذا كان المعنى المص أنا الله أعلم كان إعرابها كإعراب الشيء الذي هو تأويل لها .

ثالثاً :وأمّا القاضي فقال ليس هذا اللفظ على قولنا ، أنا الله أفصلُ أولى من حمله على قوله : أنا الله أصلحُ أنا الله أمتحنُ أنا الله الملك لأنّه إن كانت العبرة بحرف الصاد فهو / موجود في فقولنا أنا الله أصلح وإن كانت العبرة بحرف الميم فكما أنّه موجود في العلم فهو أيضا موجود في الملك والامتحان فكان حملُ قولنا : المص على ذلك المعنى بعينه محض التحكّم ، فإن جاء تفسير الألفاظ بناءً على ما فيها من الحروف من غير أن تكون تلك اللفظة موضوعة في اللغة لذلك المعنى انفتحت طريق الباطنية في تفسير سائر القرآن الكريم بما يشاكل هذا الطريق ، وأمّا قول بعضهم إنّه من أسماء الله – تعالى – فأبعَدُ لأنّه جعله اسما من أسماء الله تعالى أولى من جعله اسما من أسماء بعض رسله من الملائكة والأنبياء لأنّ الاسم يصير اسماً للمسمّى بواسطة الوضع والاصطلاح وذلك مفقود هاهنا بل الحقّ أن قوله : المص اسم لقب لهذه السورة وأسماء الألقاب لا تفيد فائدة في المسمّيات ، بل هي قائمة مقام الإشارات ولله تعالى أن يسمّي هذه السورة بقوله : المص كما أنّ الواحد منا إذا حدث له ولد فإنّه يسميه محمداً .([1])

([1]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (14ص/ 194) .

رابعاً :أمّا الرازي فقد استند باجتهاده إلى دليل عقلي على أنّ المص كتابٌ أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) من عند ربّه وإلهه[1].

أمّا القاسمي فيقول أنّ للنّاس في هذا وما يجري مجراه من الفواتح مذهبين:

1- الأول: أنّ هذا علمٌ مستور، وسرٌ محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به، فهو من المتشابه، ولم يرتض هذا كثير من المحققين وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوما للخلق، واحتجّوا بأدلّة عقليّة ونقليّة، بسطها العلاّمة فخر في كتابه مفاتيح الغيب.

الثاني: ذهب – من فسّرها، وتكلّم فيما يصح أن يكون مراداً منها، وهو ما للجمهور. وفيه وجهان:

الأول: وعليه الأكثر، أنّها أسماء للسور وهو القول الذي أيّده الرّازي ورجّحه .

الثاني: أن يكون ورود هذه الأسماء مسرودة على نمط التعديد، كالإيقاظ وقرع العصا لمن تَحدّى بالقرآن وبغرابة نظمه، وكالتحريك للنظر في أنّ هذا المتلوّ عليهم – قد عجزوا عنه عن آخرهم – كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله – بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام ،وزعماء الحوار وهو تحدّي القرآن بكلام منظوم يعجز النّاس عن أنْ يأتوا بمثله، وأنّه كلام خالق عظيم وليس بكلام البشر هذا ما قاله الزمخشري[2].

موازنة الأقوال : من خلال ما أورده الإمام الفخر الرازي حول فواتح السور وتفسيره لها أرى :

أولاً : أنّ الرازي عني بفواتح السور عناية فائقة بخلاف غيره من المفسرين الذين لم يكترثوا بها كثيرا ، ولم يتوقفوا أمامها مليّا كما فعل الرازي فقد بسط الرازي في تفسيره آراء من ذهب إلى أن علم فواتح السور علم مستور وسرٌ مجهول استأثر الله – تعالى – بمعرفته ، وآراء من زعم أنّ المراد من هذه الفواتح معلوم لكل أحد ؛ فناقش هذه الآراء مناقشة موضوعية ، وحللها تحليلاً علمياً مدعوماً بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية .([3])

---

[1] انظر: الرازي، فخر الدين الرازي، (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير (194/14، 195)، ط: الثالثة – 1420هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

([2]) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:1332هـ)، محاسن التأويل (1/1)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط : الأولى 1418هـ

([3]) انظر : أبو العلا ، د. عادل محمد صالح أبو العلا ، (منهج الإمام فخر الدين الرازي) ، (ص144) .

ثانياً : أنّ الرازي يقول إنّ فواتح السور من أسماء السور وهو قول علماء الكلام وقد خالف هنا رأي الجمهور ([1])، الذي ذهب إلى أنّها أسماء للسور .

ثالثاً : فسّر الرازي قوله تعالى (المص) على عدّة مسائل موضّحا ومعللاً ومستنداً لأدلّة عقلية .

أمّا القاسمي :

أولاً : فذكر قولين ففي القول الأول ذكر أنّ المص علمٌ مستور وقد أورد أنّ الرازي قد بسّط أقوالاً مسنودة إلى أدلّة عقلية ونقلية حول ذلك .

ثانياً : ذكر مذهب الجمهور حول تفسير المص أنّها أسماء للسور ، وذكر القول الثاني أنّها مسرودة على نمط التعديد وذكر بأنّه قول للزمخشري ، ولم يفسّر ويدلل حول أقواله بدليل عقلي ولا نقلي مثل ما فعل الرازي ولم يقم بتحليلها تحليلاً علمياً ولم يرجّح قولاً حول تلك المذاهب .

الوجّه الصحيح من هذه الأقوال وممّا جاء في الآثار وقفاً على التّابعين أو نقلا عن ابن عبّاس وغيره من الصّحابة أنّها من نظم القرآن وهو ما ذكره وأيّده الزمخشري ، ونقله عن القاسمي وما فيه من إشارات ودلالات على الإعجاز كما يليق به ككتاب منزّل من الله ، لا كما جاء فيؤ كثير من الروايات من تناقض بين بعضها من جهة ، وبينها وبين أهل العربيّة من جهةٍ أخرى ([2]).

المطلب الثاني :القراءات :

والقراءات في اللغة ، جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنا ، بمعنى الضم والجمع وقارأه مقارأة وقراءً ، أي تفقّه .

وفي الاصطلاح : قال ابن الجزري – رحمه الله - : "هي علمٌ بكفيّة أداء كلمات القرآن واختلافها ، معزوّاً لناقله " .

وعرّفها الزّركشي بأنّها اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف و تثقيل ونحوها .

وقال الشيخ الدكتور / محمد بن سيدي محمد الأمين الشّنقيطي : "وتعريف ابن الجزري منصبٌ على محل الاختلاف في اتفاقها .

([1]) آل خطاب، إياس محمد حرب ، (القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور) ، (70/1) ،(ط: الأولى ، 2011) ،(مطابع برنتك للطباعة والتغليف – السودان – الخرطوم) .

([2]) أنظر: (القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور)،(ص83/1) مرجع سابق .

وقال : وما أحسن تعريف شيخ مشايخنا العلاّمة عبد الفتاح القاضي – رحمه الله – للقراءات حيث قال : "هو علمٌ يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية ، وطرق آدائها اتّفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله.

وهذه القراءات المشهورة هي اختيار أولئك الأئمة القراء ؛ وذلك أنّ كل واحد منهم اختار فيم روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ؛ فالتزمه طريقةً ورواه، وأقرأ به ، واشتهر عنه وعرف به ،ونسب إليه ؛ فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوّغه وجوّزه ، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر ، وكلٌ صحيح)([1]).

وقد قام العلماء بوضع ضوابط للقراءة المتواترة وغيرها ، وكان عليها مدار قبول القراءة وهذه الضوابط هي :

1-موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية .

2-موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالا .

3-صحة السند.([2])

وسنتناول شواهدا من كلا التفسيرين حول منهجهما في القراءات ومن تلك الشواهد :

منهج كل من المفسرين (الرازي ومن ثم القاسمي) الجليلين في الاستشهاد بالقراءات من خلال سورة الأنعام:

المثال الأول : قرأ ابن عامر (وَلَدارُ الآخِرَةِ) بإضافة الدار إلى الآخرة، والباقون(وَلَلدّارُ الآخِرَةِ)[3] [4].

([1])الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، (ت: 444هـ) ، التيسير في القراءات السبع ، (19/1،81) ، تح: دكتور خلف حمود سالم الشغدلي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل – المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى ، 1436هـ - 2015م) .

([2]) المشنّي ، مصطفى إبراهيم المشني ، (مدرسة التفسير في الأندلس) ، ص 247، (ط: الأولى) ، (مؤسسة الرسالة بيروت) .

[3] قوله (وللدار الآخرة) كلهم قرأ (وللدار الآخرة) بلا ميْن ورفع الآخرة غير ابن عامر فإنه قرأ (ولدار الآخرة) بلام واحدة وخفض الآخرة، التميمي البغدادي، أبو بكر أحمد، السبعة في القراءات(1256)، تح: د.شوقي ضيف، ط:الثانية–1400 هـ.

([4]) الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ، (ت:606هـ) ، (ص516/12) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: الثالثة – 1420هـ .

أمّا ما أورده القاسمي في تفسيره للآية **فقرأها** (وَلَلدّارُ الآخِرَةِ) وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتّقون لدوامها ، وخلوص منافعها ولذّاتها عن المضار والآلام ، أفلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ، ولا تؤثرون الأدنى الفاني ، على الأعلى الباقي ([1]).

المثال الثاني : قرأ نافع ﴿أَرَءَيْتَكُم﴾ وأشباه ذلك بتخفيف الهمزة في كل القرآن، والكسائي ترك الهمزة في كل القرآن، والباقون بالهمزة .أما تخفيف الهمزة، فالمراد جعلها بين الهمزة والألف على التخفيف القياسي. وأما مذهب الكسائي فحسن، وبه قرأ عيسى بن عمر وهو كثير في الشعر، وقد تكلمت العرب في مثله بحذف الهمزة للتخفيف[(2)] ([3]).

وقرأها القاسمي في تفسيره (أرأَيْتَكم) أي: أخبروني إن أتاكم عذاب الله أي : مثل ما نزل بالأمم الماضية الكافرة ([4]).

المثال الثالث: قرأ الرّازي قوله تعالى (يقصُّ الحقَّ) قرأ ابن كثير ونافعٌ وعاصمٌ (يقصُّ الحقَّ) بالصاد من القصص ، يعني أنْ كل ما أنبأ الله به وأمر به فهو من أقاصيص الحق ، كقوله (نحنُ نقصّ عليك أحسن القصص)[يوسف :3] وقرأ الباقون يقضِ والمكتوب في المصاحف (يقضِ) بغير ياء لأنها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين كما كتبوا (سندعُ الزّبانية) [العلق : 18] فما (تغنِ النّذر) [القمر :5] وقوله : (يقضي الحق) قال : الزجاج : فيه وجهان جائزٌ أن يكون الحق صفة المصدر والتقدير : يقضِ القضاء الحقّ . ويجوز أن يكون (يقضِ الحق) يصنع الحقّ ، كل شيء صنعه الله فهو حق. وعلى هذا التقدير الحق يكون مفعولا به .

أي: صنعها داود واحتج أبو عمرٍو على هذه القراءة بقوله : وهو خيرُ الفاصلين قال والفصل يكون في القضاء ، لا في القصص أجاب أبو علي الفارسي فقال : القصص هاهنا بمعنى القول . وقد جاء الفصل في القول قال تعالى : (إنّه لقول فصل) [الطارق :3] قال أحكمت آياته ثم فصلت [هود :1] وقال (نفصّل الآيات) [الأعراف : 174].([5]).

([1]) القاسمي ، محمد جمال الدين، حاسن التأويل ، (344/4) .

[(2)] انظر، قرأ نافع قل أرأيتكم وأرايتم بالألف من غير همز وحجته في ذلك أنه كره أن يجمع بين همزتين...انظر، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات(250/1)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية، 1402–1982.

([3]) الرازي ،أبو عبد الله محمد (532/12) .

([4]) القاسمي ، محمد جمال الدين (358/4)

([5]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، (9/13).

أمّا **القاسمي** فأورد في تفسيره (محاسن التأويل)حول كيفية قراءتها ،فقال : قُرىء(يقصُّ الحقَّ) بالضاد، وانتصاب الحق على المصدرية، لأنه صفة مصدر محذوف قامت مقامه أو على المفعولية ، يتضمن(يقضي)معنى(ينفذ)، أو هو متعد من (قضى الدرع) إذا صنعها.

وقال الرازي : احتج أبو عمرٍو على هذه القراءة بقوله : وهو خيرُ الفاصلين قال والفصل يكون في القضاء ، لا في القصص ([1]).

مقارنة الأقوال :ولدى الموازنة بين أقوال المفسرين يُدرك النّاظر وللوهلة الأولى أنّ الإمامين الرازي ومن ثمّ القاسمي كانت طريقتهما في عرضهما للقراءات في تفسيرهما (مفاتيح الغيب) و (محاسن التأويل) كالآتي:

أولاً :كان الرازي في تفسيره بشكل عام يتباين في عرضه لتلك القراءات ، دون أن يميّز بين صحيحها وشاذها فتارة يذكر القراءات ويقول هذه متواترة وتارة لم يفرق بين تلك القراءات أي المشهورة والشاذ ولعل السبب في عرضه للقراءات المتواترة والشّاذة دون تفريق ، هو إشارات لغويّة محضة تدل على تنوع حركات هذه الكلمة ومرونتها و سعة مذاهب العرب فيها ويذكر أسماء أصحاب تلك القراءات .([2])

ثانياً :المبالغة في الترجيحات العقليّة للقراءات .([3])

ثالثا: أرى أنّ الرازي في المثال الأوّل (وللدّار الآخرة) نسب القراءة إلى أصحابها دون ترجيح، أمّا القاسمي فلم ينسب القراءة إلى أصحابها، وفي قراءة (أرأَيتكم) فقد ذكر الرّازي القراءات ونسب كل قراءة إلى أصحابها. وفي آخر تفسيره لقوله تعالى (أرأَيْتكم) استحسن قراءة الكسائي مع ذكر السبب وهو للتخفيف ،أمّا القاسمي فلم يذكر أي قراءة من القراءات فقد اكتفى بلفظها وكتابتها على النحو الآتي: (أَرَأَيْتكم) دون أن ينسب هذه القراءة إلى أصحابها، وأوردَ الرازي في المثال الأخير في قوله تعالى (نقصّ الحقّ)جميع القراءات، ونسب كل قراءة إلى أصحابها حيث ذكر أنّ هناك قراءتين إحداهما يقصّ وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم ، والأخرى وهي الأصح (نقض الحقّ) بالضاد وليس بالسين وأورد حجة أبي عمرو لهذه القراءة دون أن يرجّح بين القراءتين ، أمّا القاسمي فذكر القراءتين مع بيان وجوه الإعراب دون أن يرجّح القراءات .

رابعاً : رفض الإمام الرّازي القراءة الشّاذّة رفضاً قاطعاً عندما ذكر ذلك في تفسيره الكبير فقال : (نحن نتمسّك بالقراءة المتواترة في إثبات مذهبنا ، وأُضاً القراءة الشّاذة ليست بحجّة عندنا) وكذلك ذهب الإمام

([1]) القاسمي ، جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل (378/4، 379) .

([2]) انظر: سفيان موسى إبراهيم خليل ، رسالة ماجستير في القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرّازي ، ص50، نوقشت هذه الرّسالة 21-8-2003 وأُجيزت .

([3])الخالدي ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، (تعريف الدارسين بمناهج المفسرين) ، (ص492)، (ط :الثانية 1427هـ-2006م)، دار القلم – دمشق ، دار الشامية – بيروت

فخر الدين الرازي إلى أنّ القراءة التي لم يقرأ بها أحد من الصحابة قراءة مردودة شاذة لا يسوغ إلحاقها بالقرآن .([1])

خامساً :ومع ذلك فقد قبل الإمام الرازي– في بعض الأحيان – إيراد بعضاً من القراءات الشّاذة وقد يورد في تفسيره بعض القراءات الشّاذّة دون بيان شذوذها .

سادسا: كان الإمام فخر الدين الرّازي يذكر القراءات مع عزوها إلى أصحابها من القراء المشهود لهم بالدقة والضبط .

سابعاً : قد يذكر الإمام الرازي في بعض الأحيان القراءات الواردة في الاية دون إسنادها أو عزوها إلى أصحابها .

ثامناً: قد يورد الإمام الرازي وجوه القراءات المختلفة ، ثمّ يبين ما يترتب عليها من أحكام فقهيّة، وكذلك يرفض كل قراءة تفتح باب الطعن أو التحريف في القرآن .([2])

تاسعاً: أمّا القاسمي فقد تأثّر تأثرا كبيراً بمنهج المفسرين الأندلسيين حول موقفهم من القراءات حيث كان يستعرض القراءات المتواترة وتوجيهها على المعاني ، وذكر وجوه الإعراب ومقالات النحويين في ذلك، وكان يتعرّض للقراءات الشّاذة ، وإرجاعها إلى اللغات ، مبيّناً ضعفها وشذوذها وأنّها مخالفة لسواد المصحف.

عاشراً: إيراد القراءات المتواترة الواردة في اللفظ دون ترجيح أو تعقيب أو بيان ،كان يستعرض القراءات الواردة في اللفظ وتوجيهها على المعاني وكذلك كان يستعرض القراءات الواردة في اللفظ مع بيان القراءة الشّاذة المخالفة لرسم المصحف ، وكان يستعرض القراءات الواردة في اللفظ وتوجيهها لتكون موافقة لقراءة الجمهور من حيث المعنى فقط .([3])

وقد بإيراد حجّة المفسرين في الآيات السّالفة الذكر حول سبب ترجيحهم للقراءات مع ذكر الدليل حول الترجيح :

أولا : قرأ ابن عامر (ولَدَارُ الآخرةِ) بلامٍ واحدة (الآخرة) جر وحّجته في ذلك إجماع الجميع على قوله في سورة يوسف (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) بلام واحدة فردّ ابن عامر ما اختلفوا

([1]) أبو العلا ، د. عادل محمد صالح أبو العلا ، (منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره) ، (ص 120) الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز – جدة .

([2]) أبو العلا ، عادل محمد صالح ، منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ، (ص 120/ 122/ 122).

([3]) المشنّي ، مصطفى إبراهيم المشني ، مدرسة التفسير في الأندلس ، (ص 289/288/287/286/285) .

فيه إلى ما أجمعوا عليه وقرأ الباقون (وللدّار الآخرة) بلامين (الآخرة) رفع نعت وحجّتهم ما في سورة الأعراف (والدّار الآخرة خيرٌ للذين يتّقون) .([1])

ثانيا : قرأ نافع (قلْ أرَأَيْتَكُم) و (أرَأيْتُم) بالألف من غير همز وحجّته في ذلك أنّه كره أن يجمع بين همزتين ألا ترى أنّه قرأ (وإذا رأيت) بالهمز لأنّه لم يتقدمه همزة الاستفهام فيترك الثانية .

وقرا الكسائي /أَرَيْتَكم / بغير همزة ولا ألف حجّته إجماع العرب على ترك الهمزة في المستقبل وقولهم ترى ونرى فَبُني الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها فإذا لم تكن في أولها همزة الاستفهام لم يترك الهمزة مثل رأيْت لأنّ من شرطه إذا تقدّمها همزة الاستفهام فحينئذٍ يستثقل الجمع بينهما وأخرى وهي أنّها كتبت في المصاحف بغير ألف .

وقرأ الباقون (أرأَيتكم) و (وأرأَيتم) بالهمزة وحجتهم أنّهم لم يختلفوا فيما كان من غير استفهام فكذلك إذا دخل حرف الاستفهام فالحرف على أصله إلا أنّهم لم يختلفوا في قوله تعالى (رأيت المنافقين) و(رأيت النّاس) .([2])

ثالثا : قرأ نافع وابن كثير وعاصم (إنِ الحكم إلاّ لله يقصَ الحق) بضم القاف والصاد مع المعنى إنّ جميع ما أنبا به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق واحتجّ ابن عباس على هذه القراءة بقوله (نحنُ نقصّ عليك) وقال (إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل) و (ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصّون عليكم آياتي) وأخرى قال مجاهد لو كان يقضي لكانت يقضي بالحقّ والعرب تقول قَضَيتَ بالحق قال الله جلّ وعز (والله يقضي بالحق) بإثبات الياء والباء مع القضاء .

وقرأ الباقون /يقضي الحقّ/ بالضاد وسكون القاف من قضى يقضي إذا حكم وفصل وحجتهم قوله تعالى (وهو خير الفاصلين) والفصل يكون في القضاء لا في القصص وكان أبو عمر يعتبر بهذه وقال إنّما الفصل في القضاء لا في القصص وكان الكسائي يعتبرها بقراءة ابن مسعود قال وفي قراءته (يقضي بالحقّ) .([3])

ومن الشواهد حول القراءات من سورة (الأعراف) للمفسرين الجليلين الرازي ومن ثمَّ القاسمي:

المثال الأول :كما أورد الرازي في تفسيره حول قوله تعالى (حتّى يلج الجمل في سمّ الخِياط) قال صاحب «الكشاف» : قرأ ابن عباس الجملُ بوزن القُمّلِ وسعيدُ بن جبيرٍ الجمَلُ بوزن النُّغَرِ .وقُرِىء الجمل بوزن القفلُ والجملُ بوزن النّصبِ والجملُ بوزن الحبلِ ومعناها : القلْسُ الغليظُ لأنّه حبالٌ جمعت وجعلت

([1]) ابن زنجلة ، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ، (ت: 403هـ) ، حجّة القراءات ، (ص246/1)، تح : سعيد الأفغاني ، دار الرسالة .
([2]) أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد ،حجة القراءات ، (ص 250/1.)
([3]) أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات ، (ص 254/1) .

جملةً واحدة وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّ الله – تعالى – أحسنُ تشبيهاً من أنْ يُشَبّه بالجمل يعني :أنّ الحبل مناسبٌ للخيط الذي يسلكُ في سمّ الغبرة والبعير لا يناسبه إلا أنا ذكرنا الفائدة فيه .أمّا قوله تعالى : (ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجملُ في سمّ الخِياط) ففيه مسائلُ: المسألة الأولى : «الولوجُ » الدخول . والجملُ مشهورٌ «السّمّ » بفتح السين وضمّها ثُقب الإبرة قرا ابن سيرين سَمّ بالضمّ وقال صاحب«الكشاف» : يُروى سمّ بالحركات الثّلاث وكلّ ثُقب /في البدن لطيفٌ فهو «سمّ » وجمعه سموم ومنه قيل : السُّم القاتل لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب ([1]).

﴿الجَمَل في سَمِّ الخِيْاط﴾ بفتح الجيم والميم. وقرئ في الشواذ الجُمَّل، وقال أبو البقاء : يقرأ **القاسمي** الجمهور الجَمَل في الشاذ بسكون الميم، قال أبو البقاء: تقرأ بفتح السين وضمها، لغتان. قال العلّامة الفاسيّ : قال الزبيدي: لم أرَ من تعرض لكسرهما، وكأنها عامية . وقال الزمخشري: وقرأ عبد الله في سمّ (المخيط) قال الشهاب: بكسر الميم وفتحها كما ذكره المُعرب وهي قراءة شاذة ([2]).

الموازنة بين الأقوال :

أولاً : ذكر الرازي جميع القراءات مع معانيها ووجوه الإعراب فيها ولمّا قرأ «الجمل» على وزن القمْل فهي قراءة شاذّة ولم يقم ببيان أنّها شاذّة بينما بيّن أنّ قراءة «الجَملُ» هي المشهورة ،أمّا القاسمي فذكر القراءات وبيّن الشّاذّ منها و كيف يقرأ الجمهور الجمل بالضّمّ وهي قراءة شاذة، ولم يذكر وجوه الإعراب فيها .

ثانياً: أورد الرازي جميع القراءات حول كلمة «سمّ» مع بيان معانيها ولم يذكر الشّاذ والمتواتر منها ولم يرجّح بين تلك القراءات ، أمّا القاسمي فقد ذكر القراءات ونسبها إلى أصحابها وبيّن الشّاذ منها وبيّن قراءة الجمهور لكلمة «سمّ » .

ثالثاً: نلاحظ أنّ القاسمي أورد في تفسيره (محاسن التأويل) المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها ، وهذا يدل على اهتمامه بإيراد القراءة الشّاذ أحياناً لتبيين المعنى .

القراءة الراجحة هي قراءة (الجَمَل) وهي قراءة مشهورة عند الجمهور .

المطلب الثالث: أسباب النّزول:

قال ابن دقيق العيد : بيان سبب النّزول طريقٌ قوي في فهم معاني القرآن .

([1]) الرّازي ،أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ،(241/240/14) .
([2]) القاسمي ، جمال الدين قاسمي ، محاسن التأويل ،(57/56/5) .

وقال ابن تيمية : معرفة سبب النّزول يعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسبب يورّث العلم بالمُسبب.

و زعمَ زاعمٌ أنّه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد منها معرفة وجْه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب .

ومنها : أنّ اللفظ قد يكون عامّا ويقوم الدليل على تخصصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإنّ دخول صورةِ السبب قطعيٌ وإخراجها بالاجتهاد ممنوعٌ كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ولا التفات إلى من شذّ فجوّز ذلك .

ومنها : الوقوف على المعنى وأزالة الإشكال قال الواحديّ : لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

وقد اعتنى بذلك المفسّرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف منهم عليّ بن المدينيّ شيخ البخاري ومن أشهرها تصنيف الواحديّ في ذلك وأخطأ من زعم أنّه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب ومنها الوقوف على المعنى قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النّزول طريقٌ قويّ في فهم معاني الكتاب ، ومنها أنّه قد يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص فإنّ محلّ السبب لا [1].

يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع كما حكاه القاضي أبو بكر في مختصر التقريب لأنّ دخول السبب قطعيّ ونقل بعضهم الاتفاق على أنّ لتقدّم السبب على ورود العموم أثراً ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين أحدهما أنّه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا يجوز .

والثاني : أن فيه عدولاً عن محل السؤال وذلك لا يجوز ، في حق الشارع لئلا يلتبس على السائل واتفقوا على أنّه تعتبر النصوصيّة في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة وتؤثّر أيضا فيما وراء محلّ السبب وهو إبطال الدلالة على قولٍ والضّعف على قولٍ .

ومن الفوائد أيضاً دفع توهم الحصر كما بيّنه الشّافعي في قوله تعالى (قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما) [2].

من الشواهد حول اهتمام الرازي وعنايته في أسباب النزول من خلال سورة الأنعام:

أولاً : قوله تعالى (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ)

(1)السيوطي ، عبد الرّحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ ، (ت: 911هـ) ، (الإتقان في علوم القرآن) ، ص(107،1/108) ، (تح: محمد أبو الفضل أبراهيم)، (الهيئة المصرية العامّة للكتاب) ، (ط: 1394هـ/ 1974م) .

(2) الزّركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، (ت: 794هـ) ، البرهان في علوم القرآن (22/1) ، (ط: الأولى : 1376هـ - 1957م) ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .

أولاً :فقد روى ابن عباس أنَّ رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد ما وجد الله غيرك رسولاً وما نرى أحداً يصدقك، وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أَّلا ذكر لك عندهم بالنبوة، فأرنا من يشهد لك بالنبوة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: قل يا محمد أي شيء أكبر شهادة من الله حتى يعترفوا بالنبوة، فإن أكبر الأشياء شهادة هو الله سبحانه وتعالى، فإذا اعترفوا بذلك فقل إن الله شهيد لي بالنبوة لأنه أوحي إليّ هذا القرآن وهذا القرآن معجز[1].

ثانياً: قوله تعالى (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) [الأنعام:25]

قال ابن عباس حضر عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنّضر بن الحرث وعقبة وعُتبة وشيْبة ابنا ربيعة وأميّة وأبيَ ابن خلف والحرث بن عامر وأبو جهل واستمعوا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا للنّضر ما يقول محمد فقال: لا أدري ما ابنا خلف والحرث ابن عامر وأبو جهل واستمعوا إلى حديث يقول لكنّي أراه يحرّك شفتيه ويتكلم بأساطير الأوّلين كالذي كنت أحدّثكم به عن أخبار القرون الأولى وقال أبو سفيان إنّي لأرى بعض ما يقول حقاً فقال أبو جهل كلاّ فأنزل الله الآية[2].

ثالثاً: قوله تعالى **(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ)** [الأنعام:35]

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش، فقالوا: يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدق بك، فأبى الله أن يأتيهم بها فأعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه، فنزلت هذه الآية.

رابعاً: قوله تعالى (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الأنعام:52]

روي عن بن عبد الله بن مسعود أنّه قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم عن نفسك ، فلعلّك إنْ طردتهم اتّبعناك فقال عليه السلام : "ما أنا بطارد المؤمنين "

---

[1] الرازي، محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي، (1754/1)، دار إحياء التراث العربي.

[2] الرازي ، محمد بن عمر ، تفسير الفخر الرازي ، (497/12).

فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا، فإذا أقمنا فأقعدهم ، فلعلك إنْ طردتهم اتّبعناك، فقال فأقعدهم معك إن شئت، فقال "نعم" طمعاً في إيمانهم. وروي أن عمر قال: لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون، ثم ألحوا وقالوا للرسول عليه السلام :اكتب لنا بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت هذه الآية، فرمى الصحيفة واعتذر عمر عن مقالته، فقال سلمان وخباب: فينا نزلت، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقعد معنا حتّى تمس ركبتنا ركبته، وكان يقوم عنا إذا أراد القيام[1].

خامساً :(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) [الأنعام:68]

قال ابن عباس : قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية وحصلت الرخصة فيها للمؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكرونهم ويفهمونهم، وكانوا عشرة. فكانوا أشدّ النّاس معه في صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنّها نزلت في عمومة النبي العلانية، وأشدّهم عليه في السر.

سادساً:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[الأنعام:82]

وأجاب أصحابنا عنْه من وجهين :

والتقدير: وكيف أخاف الأصنام التي لا قدرة لها على النّفع والضّر وأنتم لا تخافون من الشرّك الذي هو اعظم الذنوب ، ومن تمام كلام إبراهيم في المحاجّةِ ، والمعنى أنّ الذي حصل لهم الأمن المطلق يكونون مستجمعين لهذين الوصفين :أولهما :الإيمان وهو كمال القوّة النظرية . وثانيهما : ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وهو كمال القوة العمليّة .

(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) اعلم أنّ أصحابنا يتمسّكون بهذه الآية من وجْهٍ والمعتزلة يتمسّكون بها من وجْه آخر .أمّا وجه تمسّك أصحابنا فهو أنّ قوله تعالى إنّه تعالى شرط في الإيمان الموجب للأمن عدم الظلم ، ولو كان ترك الظلم أحد أجزاء مسمّى الإيمان لكان هذا التقييد عبثاً ، فثبت أنّ الفاسق مؤمن وبطل به قول المعتزلة ، وأمّا وجه تمسّك المعتزلة بها فهو أنّه تعالى شرط في حصول الأمن حصول الأمرين ، الإيمان وعدم الظلم ،فوجب أن لا يحصل الأمن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد أجاب أصحابنا عنه من وجهين : ([2]).

الوجه الأول: أنّ قوله : ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ المراد من الظلم الشّرك ، لقوله تعالى حكايةً عن لقمان : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13] فالمراد ها هنا الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا لله شريكاً في المعبودية. والدليل على أنَّ هذا هو المراد أنَّ هذه القصة(قصة إبراهيم) من أوَّلها إلى آخرها إنما وردت

---

[1] الرازي ، محمد بن عمر ،تفسير الفخر الرازي، (1786/1).

[2]) الرّازي، أبو عبد الله محمد بن مر ، (22،23/13) .

في نفي الشركاء والأضداد والأنداد ، وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات ، فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك ، الوجه الثاني : في الجواب : أنَّ وعيد الفاسقين من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبهم الله ، ويحتمل أن يعفو عنه ، وعلى كلا التقديرين فالأمن زائل والخوف حاصل ([1]).

ومن الشواهد التي ساقها القاسمي حول أسباب النزول من خلال سورة الأنعام :

أولاً:قوله تعالى **(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)** [الأنعام:26]

روى الحاكم و غيره، أن هذه الآية نزلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى .

ثانياً:قوله تعالى :**(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)** [الأنعام:52]

روى الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية[(2)] ([3]).

ثالثا قوله تعالى:﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ** ﴾[الأنعام:33]

روى جرير عن السدي قال: لما كان يوم بدر، خلا الأخنس بأبي جهل فقال:يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد، فصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ها هنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، المعنى فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الأمين ولكنهم يجحدون بآيات الله، فنزلت الآية ([4]).

رابعاً قوله ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[الأنعام:82] تعالى :

([1]) الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ،ص (49/13) .

[(2)] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (1878/4)، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

([3]) القاسمي ، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ،(4368) .

([4]) القاسمي، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ،(346/4) .

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله قال لما نزلت(**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**) قال أصحابه :وأينا لم يظلم نفسه؟

فنزلت:﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[لقمان:13]. هذا لفظ رواية البخاري.

ولفظ رواية الإمام أحمد عن عبدالله قال: لما نزلت هذه الآية:(**اَلذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**)

شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله! فأينا لا يظلم نفسه ؟ قال: إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح؟ (**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) إنما هو الشرك.

أقول: هذه الرواية توضح رواية البخاري السابقة– أعني: قول ابن مسعود: فنزلت الآية من جهة أنّ النزول أريد به تفسير الآية، لا سبب نزولها، وهو اصطلاح الصحابة والتابعين دقيق، ينبغي التّنبه له وقد أشرنا له في المقدمة. فجدد به عهداً.

ولابن حاتم عن عبد الله مرفوعاً قال : **بشرك. (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)**

قال: روي عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضّحاك وقتادة والسدي، وغير واحد نحو ذلك. نقله ابن كثير. وبالجملة، فلا يعلم مخالف من الصحابة والتابعين في تفسير(الظلم) هنا بالشرك، وقوفاً مع الحديث الشريف في ذلك المبيّن للنظائر القرآنية الموضح بعضها لما أبهم في بعض. قال الرازي: والدليل على أنّ هذا هو المراد أنّ هذه القصة من أولها إلى آخرها إنّما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك([1]).

موازنة الأقوال :

ولدى الموازنة بين أقوال المفسرين يدرك الناظر من خلال الأمثلة السابقة

أولاً : أنّ الإمام الرازي عُني بمسألة أسباب النزول عناية فائقة ، وسلك في معالجتها مسلكاً تميّز بالأصالة ودقة الفهم وحسن الالتفات إلى الصّلة بين النص القرآني والمناسبة التي نزل فيها .

ثانياً: أنّ الرازي كان يكتفي في تفسير بعض الآيات بذكر سبب النزول إذا كان مؤدياً للمعنى كاشفاً عن مضمون النّص.

([1]) القاسمي ، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ،(413/4) .

ثالثاً: إذا كان للآية أكثر من سبب يذكرها جميعاً ، مرجّحاً بينها أو غير مرجّح ، وقد يحكي الإمام الرّازي الاتفاق بين العلماء والرّواة في ذكر سبب النّزول وقد بيّن الإمام الرازي أن معرفة سبب النزول مهم في اتصال الكلام .([1])

رابعاً: بدأ الرازي في تفسيره لقوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) فقد بدأ بذكر المناسبة بين الآية والآية التي تسبقها وذكّرنا بقصة إبراهيم –عليه السلام – وحجّة إبراهيم لقومه وبيّن رأي الصحابة والتّابعين وجمهور العلماء ورأي المعتزلة وأسند لكل رأي الأدلّة النقلية والعقليّة ، ولم يورد أي رواية حول سبب نزول هذه الآية وفي نهاية تفسيره لها ختم بقوله إنّ هذه القصة من أولها إلى آخرها إنّما وردت في نفي الشّركاء وليس في ذكر الطاعات فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك .

أمّا القاسمي :

أولاً: فقد أورد حديث البخاري بلفظ الإمام البخاري وأورد الحديث بلفظ الإمام أحمد وذكر سبب نزول هذه الآيات وذكر بأنّ هذه الرواية نزلت لتفسير الآيات لا لبيان سبب النزول وذكر بأنّ اصطلاح الصحابة والتابعين في ذلك دقيق أي كأنّه رجّح أن تكون هذه الرواية للتفسير وليس سبباً للنزول، فأورد أكثر من رواية مبيّنا لفظ البخاري فيها وفي نهاية تفسيره للآية أورد واستند بقول الرازي حول معنى كلمة الظلم .

ثانياً: أورد معنى كلمة (الظّلم) وبيّن رأي الصحابة والتابعين في تفسيرهم لها وأورد كلام الرازي مؤيّداً لما فسّره الصحابة والتابعين في آخر كلامه عن سبب نزول هذه الآية .

ثالثاً: وقد عُني القاسمي عناية كبيرة في سبب النزول وأورد في مقدمة تفسيره عنواناً خاصاً حول علم سبب النزول وأسهب في ضرب الأمثلة حول أهميّة سبب النزول ووضع القواعد حول ذلك العلم وذكر تعريف ابن تيمية أنّ معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، وإنّ العلم بالسبب يوّرث العلم بالمسبب، وأورد قول الزركشي في البرهان قد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ احدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ، فأنه يريد بذلك أنّها تتضمّن هذا الحكم لأنّ هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النّقل لما وقع انتهى .وأورد قول المحقق أبو اسحاق الشّاطبي في الموافقات: معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن ([2]).

الراجح في الأقوال في قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قول ابن مسعود وهي رواية توضّح رواية البخاري وهو اصطلاح الصحابة والتابعين حول تفسير كلمة الظّلم يعني (الشّرك بالله)

([1]) أبو العلا ، عادل محمد صالح ،منهج الإمام الفخر فخر الدين الرّازي في تفسيره ،(ص 132،133)
([2]) القاسمي ، جمال الدين القاسمي ،محاسن التأويل ، (ص1/21).

، وقيل أيضاً إنّه رواها كل من أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وابن عباس وعمرو وشرحبيل وأبي بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة والنّخعي والضّحاك وقتادة والسدي .

والدليل على أنّ هذا هو المراد أنّ هذه القصة من أوّلها إلى آخرها إنّما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد وليس فيها ذكر الطّاعات والعبادات فوجب حمل الظّلم هاهنا على ذلك ([1]).

المطلب الرابع :علم المناسبات.

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة.

ويعرَّف اصطلاحاً: بأنه علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولنا: (أجزاء القرآن شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة)[(2)].

من الشواهد التي ساقها الرازي حول اهتمامه بعلم المناسبات من خلال سورتي الأنعام والأعراف ما يأتي:

أولاً: اهتمامه في المناسبات بين السورتين مثل ما ورد في بداية تفسيره لسورة الأنعام فقال (أعلم أنّ الكلام المستقصى في قوله الحمدُ لله قد سبق ذكره في تفسير سورة الفاتحة ولا بأس بأن نعيد بعض تلك الفوائد...)[(3)].

ثانياً: المناسبة في السورة الواحدة، مقصود سورة الأنعام الاعتناء بتلقين الاحتجاج لأصول الدين وتقرير عقائد الإسلام من التوحيد الاعتقادي والعملي باختصاصه سبحانه وتعالى بالحكم والتشريع والعبادة لأنه الخالق القاهر، وإثبات النبوَة واليوم الآخر ونقض الاعتقادات الشركية، ودعوة الكل للإيمان بالحق ترغيباً وترهيباً ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ)** [الأنعام:2] اعلم أنَّ هذا الكلام يحتمل أن يكون المراد منه ذكر دليل آخر من دلائل إثبات الصانع تعالى، ويحتمل أن لا يكون المراد منه ذكر الدليل على صحة المعاد وصحة الحشر.

وفي قوله **(وهواللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)** [الأنعام:3]

بيان كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات.

([1]) انظر: الرازي ، أبو عبد الله محمد ،مفاتيح الغيب (ص49/13) .

[(2)] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت:911هـ، الإتقان في علوم القرآن، (139/2)، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394هـ- 1974م.

[(3)] –انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد، (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب–التفسير الكبير (472/12، 479، 481، 484، 507، 522، 537، 186/14)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط– 1420هـ.

وفي قوله تعالى **(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ)**

وقوله **(فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِم)** [الأنعام:6]

(وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) اعلم أنَّ الله تعالى لما منعهم عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد أتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب فوعظهم بسائر القرون الماضية، كقوم نوح مع عاد وثمود وغيرهم([1]) .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(27) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:28/27]

فيها بيان أنهم لو شاهدوا النار والعذاب، ثمَّ سألوا الرجعة ورُدُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الشرك وهكذا استرسل الرازي في بقيّة تفسيره لسورة الأنعام في عرض الموضوعات المذكورة أعلاه وهذا ما يسمَى بعلم المناسبات في السورة الواحدة([2]).

ثالثاً : علم المناسبات بين الآية والآية وقد اهتمَ كثيراً في هذا المجال سواء بين آيات السورة نفسها أو آيات من سورة الأنعام والسور الأخرى ومثال ذلك:﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** [الأنعام:48]

اعلم أنَّه تعالى حكى عن الكفار فيما تقدم أنهم قالوا **{ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ }** [الأنعام:37] وذكر الله تعالى في جوابهم ما تقدم من الوجوه الكثيرة ثم ذكر هذه الآية والمقصود منها أنَّ الأنبياء والرسل بعثوا مبشرين ومنذرين ولا قدرة لهم على إظهار الآيات وإنزال المعجزات، بل ذاك مفوض إلى مشيئة الله وكلمته وحكمته فقال:

{وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ } مبشرين بالثواب على الطاعات، ومنذرين بالعقاب على المعاصي([3]).

أمّا القاسمي :

([1]) الرّازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (12/484،481).

([2]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (12/508).
([3]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (12/537، 524،).

فقد فسّر قوله تعالى :﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأنعام:48]

وما نرسل المرسلين إلاّ مبشّرين بالثّواب لأهل الإيمان والأعمال الصّالحة ، ومنذرين بالعقاب لأهل الكفر والمعاصي ، فمن آمن وأصلح للأعمال والأخلاق ، فهم أهل البشارة فلا خوفٌ عليهم أي:من العذاب الذي أنذروا به دنيوياً وأخروياً ، ولا هم يحزنون أي: بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل([1]).

موازنة الأقوال :

أولاً : نلاحظ اهتمام الرازي في علم المناسبات بين الآية والآية والربط بينهما في التفسير وذكر أنّ الله حكى عن الكفّار في الآية التي تسبق هذه الآية ،أمّا القاسمي فقد أورد تفسير هذه الآيات دون ذكر المناسبة بينها وبين الآية التي تليها .

ثانياً : من الأمثلة حول اهتمام الرّازي في علم المناسبات بين الآية والآية في السورة نفسها أو بين الآية من سورة الأنعام وسور أخرى .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:154] اعلم أنّ قوله : ثمّ آتينا فيه وجوهٌ : الأول: التّقدير: ثمّ إنّي أخبركم بعد تعديد المحرّمات وغيرها من الأحكام أنّا آتينا موسى الكتاب فذكرت كلمة «ثُمَّ» لتأخير الخبر عن الخبر لا لتأخير الواقعة ونظيره قوله تعالى **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ثُمَّ قُلْنَا للمَلَائِكَةِ اسجُدُوا لآدَمَ}** [الأعراف:11] والثاني :إنَّ التكاليف التسعة المذكورة في الآية السابقة لا يجوز اختلافها بحسب اختلاف الشرائع بل هي أحكام واجبة الثبوت من أوَّل زمان التكليف إلى قيام القيامة. وأما الشرائع التي كانت التوبة مختصَّة بها فهي إنَّما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة، فتقدير الآية أنَّه تعالى لمَّا ذكرها قال: ذلكم وصَّاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثمَّ بعد ذلك آتينا موسى الكتاب. الثالث: إنَّ فيه حذفاً تقديره :ثم قل يا محمد إنَّا آتينا موسى فتقديره : **{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ثُمَّ اتْلُ عَلَيْهِمْ خَبَرَ مَا آتَيْنَا مُوسَى }** ([2]) .

أمّا القاسميّ:

([1]) القاسمي ، جمال الدين، محاسن التأويل ، (364/4) .
([2]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (166/13).

فقد فسّر قوله تعالى **قال تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام:154]

اعلم أنّ قوله : ثمّ آتينا فيه وجوهٌ :/ الأول : التقدير : ثمّ إنّي أُخبركم بعد تعديد المحرّمات وغيرها من الأحكام أنّا آتيْنا موسى الكتاب فذُكرت كلمة «ثمّ» لتأخير الخبر عن الخبر لا لتأخير الواقعة ونظيره قوله تعالى : ولقد خلقناكم ثمّ صورناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم[الأعراف :11] والثاني : إنّ التكاليف التسْعة المذكورة في الآية المتقدّمة التّكليف لا يجوز اختلافها بحسب اختلاف الشرائع بل هي أحكامٌ واجبة الثبوت من أوّل زمان التكليف إلى قيام القيامة . وأمّا الشرائع التي كانت التوبة مختصّةً بها فهي إنّما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فتقدير الآيةِ أنّه تعالى لمّا ذكرها قال : ذلكم وصّاكم به يا بني آدمَ قديماً وحديثاً ثمّ بعد ذلك آتينا موسى الكتاب . الثالث: إنّ /فيه حذفاً تقديره : ثمّ قل يا محمدُ إنّا آتينا موسى فتقديره : اتل ما أوحي إليك ثمّ اتل عليهم خبر ما آتينا موسى .

أما قوله : تماما على الذي أحسن ففيه وجوه : الأول : معناه تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن .

أي على كل من كان محسناً صالحاً والثاني : المُراد تماماً للنعمة والكرامة على العبد الذي أحسنَ الطّاعة بالتبليغ وفي كل ما أمر به والثالث : تماماً على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيءَ إذا أجاد معرفته أي : زيادة على علمه على وجْه التتميم .

ومعنى قول الكلبي : أتمّ له الكتاب على أحسنه ثمّ بيّن تعالى ما في التوراة من النّعم في الدين وهو تفصيل كل شيء والمراد به ما يختصُّ بالدين فدخل في ذلك بيان نبوّة رسولنا (صلى الله عليه وسلم) دينه وشرعه وسائر الأدلّة والأحكام إلاّ ما نسخ منها ولذلك قال : وهدى ورحمةً والهدى معروف وهو الّدلالة والرّحمة هي النّعمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون أي لكيْ يؤمنوا بلقاء ربهم والمراد به لقاء ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب ([1]).

موازنة الأقوال :

من خلال تفسير الرّازي لهذه الآية نلاحظ اهتمامه في ذكر المناسبة بين الآية والآية من السورة نفسها فقد قسّم الرازي الآية إلى وجوه وربط بين الآيات السابقة واللاحقة وأهتمّ بإعراب (ثمّ) واسترسل في بيان معنى التكاليف التي احتجّ بها موسى (عليه السلام) مستنداً إلى أدلّة نقليّة ، وكذلك القاسمي اهتمّ بربط المناسبة بين الآيات وإعراب حرف (ثمّ) وقسّم الآية إلى وجوه واستطرد في تفسير الآية ، نرى توافقاً بين الرازي والقاسمي في هذه الآية .

([1]) القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل ،(515/4).

خامساً: من الشواهد التي ساقها الرازي من خلال سورة الأعراف المناسبات بين الحكم والحكم، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

أولاً :﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:19].اعلم أنَّ هذه الآية مشتملة على مسائل: أحدها: أنَّ قوله: {اسكن} أمر تعبُّد أو أمر إباحة وإطلاق من حيث إنَّه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف. وثانيها: أنَّ زوج آدم هو حواء، ويجب أن نذكر أنَّه تعالى كيف خلق الله – تعالى – حواء، وثالثها: أنَّ تلك الجنة كانت جنَّة الخلد أو جنَّة من جنان السماء أو جنَّة من جنان الأرض. ورابعها: أنَّ قوله: {فَكُلَا} أمر إباحة لا أمر تكليف. وخامسها: أنَّ قوله:{ولا تقربا} نهي تنزيه أو نهي تحريم. وسادسها: أنَّ قوله:{هذه الشجرة} المراد شجرة واحدة بالشخص أو النوع. وسابعها: أنَّ تلك الشجرة أيَّ شجرة كانت. وثامنها: أنَّ ذلك الذنب كان صغيراً أو كبيراً. وتاسعها: أنَّه ما المراد من قوله :{فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين} وهل يلزم من كونه ظالماً بهذا القربان الدخول تحت قوله تعالى:{أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِين} [هود:18]. وعاشرها: أنَّ هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم عليه السلام أو بعدها، فهذه المسائل العشرة قد سبق تفصيلها وتقريرها في سورة البقرة فلا نعيدها([1]).

أمّا القاسميّ ففسّرها :

بقولُه تعالى : ويا آدم أي: وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة أي : جنة الخلد ، أو جنّةٌ في الأرض

قال الجشميّ: وقد تقدّم ذكر هذه القصّة ، والفائدة في إعادتها أن القرآن نزل في بضع وعشرين سنة ، والعوارض تعرض ، والوفود تَقدُم ، فكانت القصة تعاد ، ليسمع من لم يسمع ، اصطلاحاً ولطفاً. لأن في إعادة قصة واحدة، في مواضع بألفاظ مختلفة ، كل واحد منها في نهاية الحُسن ، من إعجاز القرآن .

فكلا من حيثُ أي من كل مكان شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين : أي فتصير من الذين ظلموا انفسهم .

موازنة الأقوال :

قسّم الرازي الآية إلى مسائل وأورد من خلال تفسيره معنى فعل (أسكن) بإسهاب، وبيّن حكم كلمة (كُلا) أمر إباحة وفي قوله تعالى (ولا تقربا) نهي تحريم وقد ذكر أنّ هذه المسائل العشرة قد بيّنها بالتفصيل في سورة البقرة ودلل عليها بأدلّة نقلية .

([1]) الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب ، (217/14، 218، 219) .

فأورد في بداية تفسيره أنّ هذه القصة قد ذكرت في سورة البقرة وذكر سبب إعادة القرآن لمثل هذه القصة بألفاظ مختلفة وبيّن أنّه باب من أبواب الإعجاز في القرآن ولم يتطرّق إلى بيان أي حكم شرعي مثل الرّازي .

ثانياً: وقوله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:33]. اعلم أنَّه تعالى لما بين في الآية الأولى أنَّ الذي حرموه ليس بحرام بين في هذه الآية أنواع المحرمات، فحرم أولاً الفواحش، وثانياً الإثم، واختلفوا في الفرق بينهما على وجوه:

القول الأول: أنّ الفواحش عبارة عن الكبائر، لأنّه قد تفاحش قبحها أي تزايد والإثم عبارة عن الصغائر.

والقول الثاني: أنّ الفاحشة اسم لا يجب فيه الحد، والإثم اسم لما يجب فيه الحد.

والقول الثالث: أنّ الفاحشة اسم للكبيرة، والإثم اسم لمطلق الذنب سواء أكان كبيراً أو صغيراً. والفائدة فيه : أنه تعالى لما حرم الكبيرة أردفها بتحريم مطلق الذنب لئلّا يتوهم أن التحريم مقصور على الكبيرة.

والقول الرابع: أن الفاحشة وإن كانت بحسب أصل اللغة اسماً لكل ما تفاحش وتزايد في أمر من الأمور، إلا أنه في العرف مخصوص بالزيادة والدليل عليه أنه تعالى قال فى الزنا: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} [الإسراء:32][1].

أمّا القاسمي فقد فسّر هذه الآية :

قوله تعالى إنّما حرّم ربي الفواحشَ أي: ما تفاحشّ قُبْحه من الذنوب ، أي تزايد (وهي الكبائر)وهي ما يتعلّق بالفروج ما ظهر منها وما بطن أي : ما جاهر به بعضهم بعضا ، وما ستره عن بعض ، وما ظهر من افعال الجوارح وما بطن من أفعال القلوب والإثم أي : ما يوجب الإثم ، وهو عام لكل ذنب ، وذكره للتعميم بعد التخصيص : ويُقال إنّ الإثم هو الخمر ، قال الشاعر :

نهانا رسول الله أنْ نقرب الزّنا ... وأنّ نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا([2]).

وأنشد الأخفش :شربتُ الإثم حتّى ضلّ عقلي ... كذلك الأثمَ تذهب بالعقول وذكره أهل اللغة كالأصمعي وغيره .قال الحسن : ويصدقه قوله تعالى: (قل فيهما إثمٌ كبير [البقرة :219] . وقال الأنباري : لم

([1]) انظر، الرازي، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب (82/7).

([2]) الزّبيدي، محب الدين ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (5/16) ،تح: علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

تسمّ العرب الخمر إثما في جاهليّة ولا إسلام ،والشعر المذكور موضوع .وقال أبو حيان : هذا التفسير غير صحيح هنا ، لأنّ السورة مكيّة ولم تحرم الخمر إلاّ بالمدينة بعد أحد ، وقد سبقه إلى هذا غيره أيضاً الحصر يحتاج إلى دليل . كذا في (العناية) ([1]) والبغي أي الاستطالة على الناس وظلمهم ، مع دخوله فيما قبله للمبالغة في الزّجر عنه .

ولأنّ تخصيصه بالذّكر يقتضي أنّه تميز من بينها حتى عُدّ نوعا مستقلاً بغير الحق متعلقاً بـ (البغيَ) ، مؤكّد له معنى .

وقيل : البغيَ :قد يخرج عن كونه ظلماً إذا كان بسبب جائزٍ في الشّرع ، كالقصاص ، إلا أنّه مثله لا يُسمّى بغياً حقيقة ، بل مشاكلة وقد حرِّ أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي : برهانا أي : ما لم يقم عليه حجة . قال الزمخشري: فيه تهكّم بأنّه ، لا يجوز أنْ ينزّل برهاناً بان يشرك به غيره .

وفي (العناية) :إنّما جاء التّهكم من حيث أنّه يوهم أنّه لو كان عليه سلطان .لم يكن محرما ، دلالة على تقليدهم في الغي .والمعنى على نفي الإنزال والسلطان معاً على الوجه الأبلغ – انتهى –.

قال الرازي : وهذه الآية من أقوى الدلائل على أنّ القول التقليدي باطل.

وتبعه القاضي قال : في الآية تنبيه على تحريم إتباع ما لم يدل عليه برهان وقد حرّم عليكم أنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون أي تتقوّلون عليه ، وتفتروا الكذب في التحليل والتحريم ، أو في الشّرك.

تنبيه : قال الجشمي([2]): تدل الآية على تحريم جميع الذنوب ، لأنّ قوله (الفواحش والإثم) يشتمل على الصغير والكبير ، والأفعال القبيحة ، والعقود المخالفة للشرع والأقاويل الفاسدة .

موازنة الأقوال :

أولاً : من خلال تفسير الرازي للآية فقد ذكر حكم ما حرّموه في الآية السّابقة وأنّه ليس بحرام ومن ثمّ بيّن أنواع المحرّمات في هذه الآية وذكر الاختلافات بين الفواحش والإثم مستنداً إلى دليل نقلي على الفروق بينها .

ثانياً : أمّا القاسمي فقد أسهب في توضيح بالفواحش وذكر بداية معنى الإثم (الخمر) مدللاً ببيت من الشعر ومن ثمّ بين قول الأنباري بأنّ العرب لم تسمّ الخمر إثماً وأنّ الشعر موضوع وذكر قول أبو حيّان حول عدم صحّة معنى الإثم (الخمر) مستنداً إلى دليل نقلي ودليل عقلي بأن السورة مكيّة

([1])المصري ، الشهاب الخفاجي ،(ت : 1659م) حاشية الشهاب اسماه : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي .
([2])الحاكم الإمام أبو سعيد الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي من كبار شيوخ المعتزلة ، بن فندمة ، أبو الحسن ظهير الدين ، (ت : 565هـ ، دار إقرأ دمشق ، ط : الأولى : 1425هـ .

ومن الآيات التي احتوت على مقصود سورة الأنعام في تفسير القاسمي المناسبة في السورة الواحدة:

قوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام:95، 96، 97، 98]([1]).

وقوله تعالى : ﴿۞ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۞وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام :141، 142، 143، 144]([2]).

أرى أنّ الرازي :

([1]) القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل (4/442،441،440،439).
([2])القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل (4/509،508،507،506،505) .

أولاً :تميّز – رحمه الله – بالإكثار من التماس المناسبات في تفسيره ، وقال :«إنّي رأيتُ جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللّطائف غير منبّهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل : والنّجم تستصغرُ الأبصار صورته والذّنب للطّرف لا للنجم في الصّغرِ».([1])

ثانياً : الرّازي من أكثر المفسرين اهتماما بعلم مناسبات القرآن إيراداً وتطبيقاً ([2]).

ثالثاً: اهتمّ القاسمي بذكر المناسبات بين الآيات واعتمد في هذا المنحنى على كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ([3]).

رابعاً:لم يتعرض القاسمي في بداية سورة الأنعام للمناسبات بين السور ، كما اهتمّ الرازي ببيان علم المناسبات بين سورة الأنعام وما قبلها من السور فبدا القاسمي بتفسير الآية الأولى وبيان لطائفها ومقصوداتها ([4]).

([1]) ينظر: السيوطيّ ، عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت: 911هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، (139/2) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، ط : 1394هـ /1974م .

([2]) الزّركشي ، بدر الدين محمد ، ت: 794هـ ، البرهان في علوم القرآن ، ص36/35 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط الأولى ، 1376هـ /1957م.

([3]) ينظر: البقاعي ، برهان الدين ،نظم الدرر في تناسب الآية والسور ، (6/1) ، تح: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1415ه

([4]) أنظر القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل (ت: 1332) ، تح: محمد باسل عيون السود ، محاسن التأويل ، (1/1) ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، ط: الأولى – 1418هـ.

المبحث الثاني: موقفهم من التفسير بالمأثور وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

المأثور في اللّغة:

من الأثر: الخبر، والجمع آثار ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[يس:12]، ومنه حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً أي ينقله خلَف عن سَلَف، يقال أثرت الحديث فهو مأثور[1].

وعرَّفه الذهبي بأنه ما جاء في القرآن الكريم نفسه، من البيان والتفصيل ببعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم[2].

الرأي في اللغة: أصل يدل على نظر و إبصار بعينٍ أو بصيرة، فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر، وهو مصدر رأى الشيء رآه، ثم غلب في المرئيّ نفسه، من باب استعمال المصدر في المفعول[3].

الرأي في الاصطلاح : قال الزرقانيّ (ت:1367هـ): المراد بالرأي هنا: الاجتهاد»[4].

وقيل: «هو تفسير القرآن بالاجتهاد اعتماداً على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر»[5].وهذا موافق لتعريف الزرقاني بزيادة آلة التفسير.

---

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت:711 هـ)، لسان العرب، (5/4)، دار صادر–بيروت، ط:الثالثة – 1414 هـ.الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني،(ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (16/10)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[2] الذهبي، محمد السيد حسين، (ت:1398هـ)، التفسير والمفسرون، (12/1)، مكتبة وهبه – القاهرة.

[3] ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، (ت:751)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (53/1)، تح:محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، 1411هـ – 1991هـ.

[4] انظر: الزُّرقانيّ، محمد عبد العظيم (ت:1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (48/2)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:الثالثة.

[5] الحلبي، نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم، (85/1)، مطبعة الصباح– دمشق، ط: الأولى، 1414هـ – 1993م.

ومن الشواهد التي ساقها كل من المفسّرين (القاسمي والرازي) من خلال سورتي الأنعام والأعراف حول تفسير القرآن بالقرآن ما يأتي :

أولاً: **﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنعام:13].

فقد فسّر القاسمي الآية ، وله أي: ولله عزوجل، ما سكن في الليل والنهار أي ما استقر وحلّ، (من السكنى) بمعنى (الحلول). كقوله تعالى: **سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**[إبراهيم:45]، والمعنى: له تعالى كل ما حصل في الليل والنهار، مما طلعت عليه الشمس أو غربت. شبه الاستقرار بالزمان، بالاستقرار في المكان، فاستعمل استعماله فيه. أو (سكن) من (السكون)، مقابل الحركة. أي: ما سكن فيهما وما تحرك، فاكتفى بأحد الضدَّين عن الآخر، كما في قوله: **(سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ)** [النحل:81][1].

ثانياً : أمّا الرازي قال : في الآية مسائل وفي المسائل أقوال وفي الأقوال أوجه وكان يورد آيات حول الآية إن وجد مثال ذلك: المسألة الأولى: اعلم أنَّ أحسن ما قيل في نظم هذه الآية ما ذكره أبو مسلم رحمه الله تعالى فقال: ذكر في الآية الأولى السماوات والأرض، إذ لا مكان سواهما...

المسألة الثانية: قوله وله ما سكن في الليل والنهار يفيد الحصر والتقدير: هذه الأشياء له لا لغيره...

المسألة الثالثة: في تفسير هذا السكون قولان:

القول الأول: أنَّ المراد منه الشيء الذي سكن بعد أن تحرك، فعلى هذا، المراد كل ما استقر في الليل والنهار من الدواب، وجملة الحيوانات في البر والبحر / وعلى هذا التقدير : قالوا في ما سكن وتحرك في الليل والنهار كقوله تعالى: **(سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرّ)** [النحل:81]...

القول الثاني: أنّه ليس المراد من هذا السكون ما هو ضد الحركة، بل المراد منه السكون بمعنى الحلول: كما يقال: فلان يسكن بلد كذا إذا كان محله فيه، ومنه قوله تعالى:**(سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)** [إبراهيم :45] [2].

---

[1] القاسمي، جمال الدين ،محاسن التأويل (324/4)، مرجع سابق.

[2] الرازي، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب (490/12، 491)، مرجع سابق.

موازنة الأقوال:

أولاً: أرى أنَّ كلاً من القاسمي والرازي قاما بتفسير القرآن بالقرآن فقام القاسمي بتفسير الآيات بآيات من القرآن دون أن يسهب، بينما الرازي قسم الآية إلى مسائل، والمسائل إلى أقوال ومن خلال إسهابه في التفسير استشهد في الآيات وفسر القرآن بالقرآن.

ثانياً: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾**[الأنعام:14].

أولاً : قال القاسمي في تفسيره ، قال تعالى **(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)** [الزمر:64]. والمعنى لا أتخذ ولياً إلاّ الله وحده. فاطر السماوات والأرض : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سبق. قيل: المراد بالطعم الرزق، بمعناها اللّغوي وهو كل ما ينتفع به، بدليل وقوعه مقابلاً له في قوله تعالى: **(مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)** [الذاريات:57].

ثانياً: أما الرازي فقد فسر الآية ، واعلم أنه فرق بين أن يقال أغير الله أتخذ ولياً وبين أن يقال : أتخذ غير الله ولياً لأنّ الإنكار إنما حصل على اتخاذ غير الله ولياً ، لا على اتخاذ الولي وقد عرفت أنهم يقدمون الأهم فالأهم الذي هم بشأنه أعني فكان قوله أغير الله اتخذ ولياً أولى من العبارة الثانية ونظيره قوله تعالى : (أفغير الله تأمروني أعبد) [الزمر:64] وقوله تعالى : آلله أذن لكم [يونس:59] ،ثم قال تعالى : وهو يطعم ولا يطعم أي فهو الرزاق لغيره ولا يرزقه أحد فإن قيل : كيف فسرت الإطعام بالرزق ؟ وقد قال تعالى **(مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)** [الذاريات:57] والعطف يوجب المغايرة قُلنا لا شكّ في حصول المُغايرةِ بينهما ، إلاّ أنّه يحسنُ جعلُ أحدهما كنايةً عن الآخر لشدّة ما بينهما من المُقاربة والمقصود من الآية : أنّ المنافع كلها من عندهِ ، ولا يجوزُ عليه الانتفاعُ . وقُرِيءَ ولا يُطْعمُ بفتح الياء ، وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يُطْعم ولا يطعمُ على بناءِ الأول بالمفعول والثاني بالفاعل وعلى هذا التقدير : فالضّميرُ عائدٌ إلى المذكور في قوله أغيرَ اللهِ وقرأ الأشهبُ وهو يُطعمُ ولا يُطْعِمُ على بنائهما للفاعل وفُسّر بأنّ معناه : وهو يطعمُ ولا يستطعمُ . وحكى الأزهريّ : أطعمتُ بمعنى استطعمتُ . ويجوز أن يكونَ المعنى : وهو يطعمُ تارةً ولا يُطعمٌ أخرى على حسب المصالح كقوله : وهو يعي ويمنعُ ، ويبسط ويقدرُ ويغني ويفقرُ . ([1]).

([1]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (490/12).

موازنة الأقوال :

أولاً: فقد فسّر كل من القاسمي والرازي القرآن بالقرآن في الآية السابقة والرازي قام بتفسير الآية بإيراد آيتين لقوله تعالى [قُل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون] بآيتين أمّا القاسمي فبآية واحدة .

من الأمثلة حول عناية الرازي والقاسمي في تفسير القرآن بالقرآن من خلال سورة الأعراف :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف:11].

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنّه تعالى رغّب الأمم في قبول دعوة الأنبياء– عليهم السلام– بالتّخويف أولاً ثمّ بالترغيب ثانياً على ما بيّناه والتّرغيب إنّما كان لأجل التنبيه على كثرة نعم الله تعالى على الخلق فبدأ بشرح تلك النعم

بقوله:**﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾** [الأعراف:10] ثمّ اتبعه بذكر أنّه خلق أبانا آدم وجعله مسجوداً للملائكة والإنعام على الأبِ يجري مجرى الإنعام على الابن فهذا هو وجه النظم في هذه الآيات ونظيره أنّ الله تعالى قال في أول سورة البقرة **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[البقرة : 28] فمنع تعالى من المعصية بقوله : كيف تكفرون بالله وعلل ذلك المنع بكثرة نعمه على الخلق وهو انهم في الأرض مسجوداً للملائكة والمقصود من الكل تقرير أنَّ مع هذه النعم العظيمة لا يليق بهم التمرد والجحود فكذا في هذه الصورة ذكر تعالى عين هذا المعنى بغير هذا الترتيب فهذا بيان وجه النظم على أحسن الوجوه :

المسألة الثانية: اعلم أنَّه تعالى ذكر قصة آدم عليه السلام مع قصة إبليس في القرآن في سبعة مواضع:

أوّلُها: في سورة البقرة وثانيها: في هذه السورة وثالثها: سورة الحجر ورابعها: في سورة بني اسرائيل وخامسها: في سورة الكهف وسادسها: في سورة طه وسابعها: في سورة ص.

ثمَّ قال بعده: ثمَّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وكلمة (ثمَّ) تفيد التراخي فظاهر الآية يقتضي أنَّ أمر الملائكة للسجود لآدم – عليه السلام – وقع بعد خلقنا وتصويرنا ومعلوم أنَّه ليس الأمر كذلك ولهذا السبب اختلف الناس في تفسير هذه الآية على أربع أقوال:

القول الأول: إنَّ قوله : ولقد خلقناكم أي/خلقنا أباكم آدم – عليه السلام – وصورناكم أي صورنا آدم ثمَّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ونقول: إنَّ آدم ﷺ أصل البشر فوجب أن تحسن هذه الكيانة نظيره قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**[البقرة :63]أي ميثاق أسلافكم من بني إسرائيل في زمان موسى عليه السلام.

القول الثاني: أن يكون المراد من قوله: خلقناكم آدم–عليه السلام – ثمَّ صورناكم أي صورنا ذرية آدم ﷺ في ظهره ثمَّ بعد ذلك قلنا للملائكة اسجدوا أي خلق آدم –عليه السلام – أولا ثم أخرج أولاده من ظهره ثمَّ بعد ذلك أمر الملائكة بالسجود لآدم.

القول الثالث: خلقناكم ثمَّ صورناكم ثمَّ إنَّا نخبركم أنَّا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فهذا العطف يفيد ترتيب خبر على خبر ولا يفيد ترتيب المُخْبَرْ على المُخْبَرْ.

القول الرابع: إنَّ الخلق في اللغة عبارة عن التقدير وتقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء ومشيئة بتخصيص كل شيء بمقدار المعين فقوله: خلقناكم إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم إشارة إلى أنَّه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث إلى قيام الساعة ثمَّ بعد هذين الأمرين أحدث اله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود.

المسألة الثالثة : ذكر الرازي في سورة البقرة أنَّ هذه السجدة فيها ثلاثة أقوال: أحدها: إنَّ المراد منها مجرد التعظيم لا نفس السجدة وثانيها : إنَّ المراد هو السجدة إلا أنَّ المسجود له هو الله تعالى فآدم كان كالقبلة وثالثها: إنَّ المسجود له هو آدم.

المسألة الرابعة :ظاهر الآية يدل على أنَّه تعالى استثنى إبليس من الملائكة فوجب كونه منهم. وكان الحسن يقول : إبليس لم يكن من الملائكة خلق من نار والملائكة من نور[1].

أمّا القاسميّ فقد فسّر الآية[الأعراف :11]من سورة الأعراف :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف:11]

هذا كقوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۞فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [الحجر:28–29]

---

[1] انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ،(205/14، 206)، مرجع سابق.

هذا كقوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[الحجر:28،29]وفي تصدير هذه الآية بالقسمِ وحرف التحقيق كالتي قبلها إعلام بكمال العناية بمضمونها . قال أبو السعود : وإنّما نسب الخلقُ والتّصوير إلى المخاطبين ، مع أنّ المراد بهما خلق آدم – عليه السلام – وتصويره حتماً ، توفية لمقام الامتنان حقّه ، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم ، بالرمز إلى أنّ لهم حظاً من خلقه– عليه السلام – وتصويره [1].

موازنة الأقوال :

أولاً :فسّر القاسمي الآيات بتقسيمها إلى مسائل ومن ثمّ إلى أقوال ومن ثمّ إلى أوجه ويستشهد بآيات أي تفسير آية بآية ،في المقابل في تفسير القاسمي للآية من سورة الأعراف قام بتفسير الآية بآية أخرى من سورة الأعراف .

ثانياً: من منهج الإمام الرازي ،التقليل من الموضوعات الأثريّة والتّوسّع في المباحث العقليّة

فكان من منهجه التقليل من الموضوعات فلم يُكثر من تفسير القرآن بالقرآن ، وبالسنّة ، وأقوال الصحابة والتّابعين ، وليس معنى هذا أنّه لم يفسّر القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة ، إنّما قلل من ذلك ، ولم يذكر منه إلاّ القليل ، وهذا يتّفق مع منهجه الذي اختاره للتفسير وهو التفسير بالرأي ، والإكثار من المباحث العقليّة ([2]).

ثالثاً : كان الرازي أحياناً يفسّر القرآن بالقرآن وكان يجمع بين الآيات المختلفة في الموضوع الواحد.

رابعاً: عني القاسمي عناية فائقة بتفسير القرآن بالقرآن وذلك أنّه كثيراً ما يكون المجمل في مكان قد بسط في موضع آخر ، ثمّ على السنة الصحيحة ثم على أقوال الصحابة والتّابعين وآراء السلف الصالح ([3]).

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

ويقصد بالتفسير النبوي ما صح نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير بعض آيات القرآن الكريم ببعض، فهذا المصدر والذي قبله من أعلى وأبلغ مصادر تفسير القرآن بالقرآن؛ وحكمهما القبول

---

[1] انظر: القاسمي، جمال الدين ، محاسن التأويل ،(12/5)، مرجع سابق.

([2]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، مرجع سابق ، ص486.

([3]) عبد الحليم محمود ، منيع بن عبد الحليم ،(ت: 1430هـ) ، مناهج المفسرين ، (299/1) ،دار الكتاب المصري – القاهرة دار الكتاب اللبناني – بيروت ، 1421هـ - 2000م .

والرجوع إليهما وجوبا؛ لأنّه بيانٌ من وظيفته البيان صلى الله عليه وسلم، ولقد نقل عنه الكثير من التفسير، فكان أحيانا يستعمل هذا الطريق، فيفسر آية بآية أخرى أو يشير إليها في موضعها [1].

كما أسلفنا الذكر أنّ الرازي وصف منهجه بالمنهج العقلاني ولم يكثر من تفسير آية بحديث وإن وجد ولم يقم بتخريجها فأورد الصحيح والضعيف منها ومن الأمثلة على ذلك من خلال سورتي الأعراف والأنعام

عناية القاسمي بتفسير القرآن بالحديث الشريف.

أولاً :روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله قال لما نزلت(**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**) قال أصحابه :وأينا لم يظلم نفسه؟

فنزلت:﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[لقمان:13]. هذا لفظ رواية البخاري.

ولفظ رواية الإمام أحمد عن عبدالله قال: لما نزلت هذه الآية:**(اَلذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)**

شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله! فأينا لا يظلم نفسه ؟ قال: إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح؟ **(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** إنما هو الشرك.

أقول: هذه الرواية توضح رواية البخاري السابقة– أعني: قول ابن مسعود: فنزلت الآية من جهة أنّ النزول أريد به تفسير الآية، لا سبب نزولها، وهو اصطلاح الصحابة والتابعين دقيق، ينبغي التّنبه له وقد أشرنا له في المقدمة. فجدد به عهداً.

ولابن حاتم عن عبد الله مرفوعاً قال : **بشرك. (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)**

قال: روي عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضّحاك وقتادة والسدي، وغير واحد نحو ذلك. نقله ابن كثير. وبالجملة، فلا يعلم مخالف من الصحابة والتابعين في تفسير(الظلم) هنا بالشرك، وقوفاً مع الحديث الشريف في ذلك المبيّن للنظائر القرآنية الموضح بعضها لما أبهم في بعض. قال الرازي: والدليل على أنّ هذا هو المراد أنّ هذه القصة من أولها إلى آخرها إنّما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك.

ثانياً : عناية الرازي بتفسير القرآن بالحديث الشريف .

---

[1]انظر: الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين، (ت:1398)، التفسير والمفسرون، (36/1، 194)، مكتبة وهبة– القاهرة.

الوجه الأول : أنّ قوله : ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ المراد من الظلم الشّرك ، لقوله تعالى حكايةً عن لقمان : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13] فالمراد ها هنا الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا لله شريكاً في المعبودية. والدليل على أنَّ هذا هو المراد أنَّ هذه القصة(قصة إبراهيم) من أوَّلها إلى آخرها إنما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد ، وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات ، فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك ، الوجه الثاني : في الجواب : أنَّ وعيد الفاسقين من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبهم الله ، ويحتمل أن يعفو عنه ، وعلى كلا التقديرين فالأمن زائل والخوف حاصل .

موازنة الأقوال ومن ثمّ الترجيح :

أولاً :نرى أن الرازي لم يفسر هذه الآية بالحديث الشريف (السنة النبوية) وإنما اكتفى بتفسيره العقلاني حيث فسر أن هذا من تمام كلام إبراهيم في المحاجّة وهم الذين حصل لهم الأمن المطلق وأولئك الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين أولهما: الإيمان بكمال القوة النظرية، وثانيهما : ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وهو كمال القوة العملية [1].

ثانياً: كان الرازي يفسر القرآن في مواضع عديدة بالسنة اعتمادا على ما ذكره من سبقه من المفسرين، ويظهر للقارئ في تفسير الرازي أنه كان قليل الخبرة بالرواية عن أهلها وقد ظهر هذا الضعف جلياً على تفسيره. فهو إن كان قد أحسن في تفسير القرآن بالقرآن، وحمل بعض الآيات على بعض لبيان المعاني الدقيقة، لم يكن في رأي الباحث موفقا كل التوفيق في الرجوع إلى ما صح من السنة في تفسير القرآن، وقد تساهل الرازي في إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في تفسيره. بينما القاسمي استشهد بذكر الحديث الشريف الذي ورد عن عبدالله بن مسعود[2].

ثالثاً: اعتماد الرازي على الحديث قليل ، ولم يورد في تفسيره إلا القليل من الاحاديث المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم . وهو لم يحرص على تخريج الأحاديث التي يذكرها ، ولم يتحرَّ الصحيح منها ، ولهذا كان في تفسيره أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة وموضوعة ، وكان من أهم المآخذ على تفسيره قلة معرفة الرازي بالحديث ، وإيراد أحاديث ضعيفة أو موضوعة ([3]).

رابعاً : أما القاسمي فقد ناقش قضايا عامة وخطيرة فيما يتصل بالتفسير منها الأخذ بالمنقول عن النبي عليه الصلاة والسلام وعلى المفسر بطريق النقل أن يحذر من الضعيف والموضوع .

---

[1] انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (49/13)، مرجع سابق.

[2] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ،(413/4)، مرجع سابق.

[3] الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، (ص : 487) .

خامساً: وقد عني القاسمي عناية فائقة بالتفسير بالمأثور سواء ما يتعلق منه بتفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالحديث ، أو بأقوال التابعين .

سادساً: يمتاز تفسير القاسمي زيادة على التحري في النقل وحسن الاختيار والبعد عن الضعيف والموضوع واعتماده في تفسير القرآن على القرآن ثم على السنة الصحيحة ثم على أقوال الصحابة وآراء السلف الصالح ([1]).

وأيضا اعتماد القاسمي على ذكر أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) بصورة واضحة وملحوظة لمن يقرأ في هذا التفسير قراءة عابرة، وأن تخلو صفحة من ذكر حديث فذاك نادر وقليل، وهو إذ يذكر الأحاديث فإنه يعتمد على الصحيح منها مما ورد في الصحيحين وكتب السنن الأخرى. وترجع هذه الميزة التي امتاز بها القاسمي إلى معرفته في الحديث وطول باعه في علومه، فالقاسمي رحمه الله إن أردنا تحديد تخصصه أو العلم الذي برع فيه فنقول هو علم الحديث.
فهو يذكر الأحاديث التي تتعلّق بالموضوع الذي يتحدث عنه في الآية.

الترجيح :

أولاً : يتّسم تفسير القاسميّ بإيراده وعنايته الفائقة بالحديث الصحيح والسنة النبويّة الشريفة وذلك من خلال تفسيره (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) [الأنعام:82] وإيراده لحديث عبد الله بن مسعود.
ثانياً: أمّا الرازي فمنهجه عقلاني، ويلاحظ أنّ تفسير الرازي لهذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) [الأنعام:82] قد خلا ممّا صح من السنة فقد روي عن عبد الله بن مسعود ، وكان الأولى أن يعتمد في تفسير هذه الآية على الحديث الصحيح .

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتّابعين:

اعتنى الصحابة والتابعون الكرام بتفسير القرآن الكريم عناية عظيمة، وكان أغلب ما يرد عنهم في ذلك من توضيح المبهم، و تبيين المجمل، وتشبيه الآيات بعضها ببعض.

المثال الأول :

قوله تعالى :تفسير الإمام القاسمي :

(1) محمود ، منيع بن عبد الحليم ، مناهج المفسرين ، (ص: 299/2) ، مرجع سابق .

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾[الاعراف:101]

تلك القرى أي المذكورة وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط ، وقوم شعيب نقصّ عليك من أنبائها مما يدل على مؤاخذتهم بذنوبهم لإصرارهم عليها بعد التنبيه .ثمّ بين تعالى أنّه أعذر إليهم بأنّ بين لهم بالحجج على ألسنة الرسل بقوله :ولقد جاءتهم رسُلهم بالبيّنات فما كانوا ليُؤمنوا عند مجيء الرسل بالبيّنات والدلائل القاطعة بما كذّبوا من قبلُ أي بسبب تكذيبهم بالحقّ أول ما ورد عليهم ، إذا تمرنوا على التكذيب فلم تُفدهم الآيات ، واستوت عندهم الحالتان ، كقوله : "ومايُشْعِرُكم أنّها إذ جاءت لا يؤمنون ونُقَلّب أفئِدَتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة ..." الآية [الأنعام :109-110] ولهذا قال كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين أي من المذكورين وغيرهم ، فلا يكاد يؤثِّر فيها الآيات والنّذر ، لما علم أنّهم يختارون الثبات على الكفر ([1]).

ثانياً : أمّا الرازي فقد فسّر الآية :

ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يريد الأنبياء الذين أرسلوا إليهم وقوله: فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل فيه قولان : الأول: قال ابن عباس والسُّدِّيُّ: فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فآمنوا كرهاً وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب. الثاني: قال الزجّاج: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به قبل رؤية هذه المعجزات[2].

موازنة الأقوال :

من خلال تفسير كل من الإمامين الفخر الرازي والقاسمي :

نرى أنّ الإمام الرازي فسّر هذه الآية إلى قولين واسندَ القول الأول إلى الصحابي ابن عباس والتّابعي السّديّ وأسند القول الثاني إلى الزّجاج .أمّا القاسمي فبالّرغم من عنايته بالتفسير بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين إلاّ أنّه لم يورد تفسير الصحابة هنا .

ونرجّح هنا قول وتفسير الرازي ، لإيراده قولي ابن عباس والسّدي ، فمن قواعد التفسير الوارد ذكرها في كتاب مناهج المفسرين، وإذا لم تجد تفسير الآية في القرآن والسنة ولا عند الصّحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ([3]).

([1])القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل ، (161/5) .

[2] الرازي،أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ،(324/14).

([3]) مناهج المفسرين، الذهبي ، محمد بن حسين ، (ص224/1) .

المثال الثاني :

أولاً : تفسير القاسمي لهذه الآية.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[الأعراف:99]

جاء في تفسير القاسمي، لا يأمن أحد أخذه تعالى العبد من حيث لا يشعر، من كثرة ما رأى أخذه العباد من حيث لا يحتسبون، إلا القوم الذين خسروا عقولهم، وأضاعوا فطرة الله التي فطر الإنسان عليها، والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات، فصاروا خاسرين إنسانيتهم، بل أخسَّ من البهائم. وفي قوله تعالى: **(أفأمنوا مكر الله)** تكرير للنكير في قوله أفأمن أهل القرى لزيادة التقرير.

قال الزمخشري: فعلى العاقل أن يكون في خوف من مكر الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين، والبيات، والغيلة. وعن الربيع بن خثيم أنَّ ابنته قالت: ما لي أرى الناس ينامون وأراك لا تنام؟ فقال: يا بنتاه! إنَّ أباك يخاف البيات.

أراد قوله: أنْ يَأتِيَهم بأسنا بَياتَاً ـ انتهى ..

وقال الحسن البصري[1]: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق، وجل خائف. والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن [2].

ثانياً : تفسير الرازي لهذ الآية .

جاء في التفسير الكبير قال تعالى : أفأمنوا مكر الله وقد سبق تفسير المكر في اللغة ، ومعنى المكر في حق الله تعالى في سورة آل عمران عند قوله :ومكروا ومكر الله [الأعراف:54] ويدل قوله تعالى : أفأمنوا مكر الله أنّ المراد أنْ يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون .قاله على وجه التحذير ، وسمى هذا العذاب مكراً توسّعا ، لأنّ الواحد منّا إذا أراد المكر بصاحبه ، فإنّه يوقعه في البلاء من حيث لا يشعر به ، فسمّى العذاب مكراً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون ، وبين أنّه لا يأمن من نزول عذاب الله على هذا الوجه إلاّ القوم الخاسرون وهم الذين بغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربّهم ، فلا يخافونه ، ومن هذه سبيله ، فهو أخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة لأنّه أوقع نفسه في الدّنيا في الضّرر ، وفي الآخرة في اشد العذاب .

---

[1] أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. الإربلي، أبو عباس شمس الدين الإربلي، (ت:681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (2\69)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت

[2] القاسمي، جمال الدين محمد ، محاسن التأويل ،(5/159)، مرجع سابق.

موازنة الأقوال :

في هذه الآيات عُني القاسمي بتفسير التابعين لهذه الآيات أمّا الرازي فلم يورد تفسيرا للصحابة أو التابعين .

أولاَ : لقد اعتمد الإمام الرازي في تفسيره على المأثور من روايات تفسيريّة عن الصحابة ، رضي الله عنهم . وقد درج على نقل أقوال الصحابة دون إسناد ،ودون تعيين للمصادر التي يستقي منها تلك الأقوال .وليس يخفى ما ينطوي عليه مسلكه في هذا الشّأن من ضعف وفساد ؛ذلك أنّه يحرم القارئ حين يسوق الرّوايات غُفُلاً عن الأسانيد من التثبّت منها والتحقق من صحتها، بالنّظر في الرّواة وتصفّح أحوالهم .

ثانياً: إنّ منهج الإمام الرازي في نقل أقوال التابعين والإفادة منها في تفسيره لا يكاد يختلف عن منهجه في التعامل مع أقوال الصّحابة – رضي الله عنهم – فنجده يسرد تلك الأقوال ويسوقها في تفسيره بغير إسناد وبلا تحديد المصدر الذي ينقل عنه .ونجده في بعض الأحيان يُفنّد هذه الأقوال ويبيّن وجه الضعف فيها على رأيه ([1]).

ثالثاً: أمّا القاسمي فمنهجه في التفسير بالمأثور كما جاء في تفسيره، أمّا مراتب المفسرين : فخيرهم الصحابة رضي الله عنهم ، لما ثبت من الثناء عليهم في الكتاب والسنّة ، ولأنّ القرآن أنزل على لغتهم .فالغلطُ أبعد عنهم من غيرهم ، ولأنّهم سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمّا أشكل عليهم ([2]).

رابعاً : فلقد كانت عناية القاسمي فيما أثر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أحاديث في تفسيره ، ونقل كثيرا من أقوال الصّحابة والتّابعين ، مستعيناً بها في بيان معاني النصوص القرآنية وتوضيحها ([3]).

خامساً : كان ذكْر الرازي لأقوال الصّحابة والتابعين قليلا أيضاً، وقد يذكر أكثر من قول لهم في تفسير الآية ، ويوجّهّه ويبيّن معناه ([4]).

الترجيح:

([1]) أبو العلا ، عادل محمد صالح ، منهج الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، (ص 104- 108)
([2]) القاسمي، جمال الدين ،محاسن التأويل ،مرجع سابق ، ص13/1.
([3]) المشنّي ، مصطفى إبراهيم المِشنّي ، مدرسة التفسير في الأندلس ، (ص)، 183مؤسسة الرسالة ، بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة ، ط: الأولى : 1406هـ - 1986م .
([4]) الخالدي ، صلاح ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، ص 487.

نرجّح هنا قول وتفسير القاسمي ، لإيراده قولي الحسن البصري والربيع بن خثيم ،كما ورد في كتاب مناهج المفسرين ومن ضمن قواعد التفسير ، وإذا لم تجد التفسير في القرآن والسنة ولا وجدته عند الصّحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ([1]).

المبحث الثالث: موقفهما من اللغة والإعراب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : اللغة:

اهتمّ **الرازي** كثيراً بالجانب اللُّغويّ واللَّفظيّ عند تفسيره للآيات حيث تعدُّ اللُّغة علماً أساسياً في تفسير الآيات وبيان معاني المفردات فالقرآن الكريم احتوى على مفرداتٍ صعبة الفهم على الرغم من نزوله بلغة العرب فمعانيه تحتاج إلى تبيانٍ فهو كلام الخالق العظيم إذ ليس من السهل تفسيره دون الرجوع إلى علوم اللغة للتوصل إلى المعنى المراد من الآية أو المعنى القريب منها. وعلى الرغم من معرفة الرازي في علوم اللغة والأدب إلا أنَّه كان يرجع إلى عدد من المصادر اللُّغوية والأدبية ليستعين بها في تفسيره مع ذكره لأكثر من رأي في بيان معنى مفردة معينة أو مقطع من آية، كما كان يستعين بآراء اللُّغويين وكتبهم في بيان معاني الحروف المقطعة أوائل السور، كمان كان يورد أبيات شعرية في إثبات معنى الكلمة [(2)].

وتعرَّض إلى كل ما يتعلق بأحكام اللغة التي تعد الأداة الأولى لفهم النصوص وناقش الرازي بروح الفيلسوف والأصولي واللغوي[(3)].

ومن الأمثلة على ذلك لفظة الإصباح في قوله تعالى:

أولاً : تفسير الإمام الرازي :

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ أي أنّه تعالى شقّ ظلمة العدم بصباح التكوين والإيجاد، وفالق ظلمة الجماديّة بصباح الحياة والعقل والرّشاد، وشقّ ظلمة الجهالة بصباح العقل والإدراك، وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النّفس القدسية إلى

([1]) الذهبي ، محمد بن حسين ، مناهج المفسرين،ص224/1.

[(2)] مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية/جامعة بابل.الفخر الرازي (ت606هـ/1208م) ومنهجه في كتاب مفاتيح الغيب، ا.م.د. ماجد عبد زين الخزرجي، الباحث:أحمد فاضل الشريفي، ص1589.

[(3)] انظر، الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مقدمة الرازي (21/1).

صبحة عالم الأفلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبّر المُحدثات والمبدعات.

وفيه عدة وجوه:

الأول: قال الليث: الصبح والإصباح هما أول النهار وهو الإصباح أيضا. قال تعالى **(فالق الإصباح)** يعني الصبح قال الشاعر:

أفنى رياحا وبنى رياح تناسخ الإمساء والإصباح.

والثاني أنَّ (الإصباح) مصدر سمي به الصبح.

فإن قيل: ظاهر الآية على أنّه تعالى فلق الصبح وليس الأمر كذلك فإنَّ الحقَّ أنه تعالى فلق الظلمة بالصبح فكيف الوجه فيه ؟ فنقول فيه وجوه:

الأول: أن يكون المراد فالق ظلمة الإصباح، وذلك لأنَّ الأفق من الجانب الشمالي والغربي والجنوبي مملوء من الظلمة والنور. ثمَّ إنّه تعالى شقَّ ذلك البحر المظلم بأنْ أجرى جدولاً من النور فيه، والحاصل أنّ المراد فالق ظلمة الإصباح بنور الإصباح ولما كان المراد معلوما حسن الحذف. **والثاني** : أنه تعالى كما يشق بحر الظلمة عن نور الصبح فكذلك يشق نور الصبح عن بياض النهار فقوله : (فالق الإصباح) أي فالق الإصباح ببياض النهار. **والثالث:** أن ظهور النور في الصباح إّنما كان لأجل أن الله تعالى فلق تلك الظلمة فقوله :(فالق الإصباح) أي مظهر الإصباح إلا أنّه لما كان المقتضى لذلك الإظهار هو ذلك الفلق لا جرم ذكر اسم السبب والمراد منه المسبب. **الرابع:** قال بعضهم: الفالق هو الخالق فكان المعنى خالق الإصباح وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل والله أعلم [1].

أما القاسميّ فقد فسَّر الإصباح في قوله تعالى (فالق الإصباح) أنّها خبر لـ (إنَّ)، أو لمبتدأ محذوف. و(الإصباح) مصدر سميَ به الصبح. قال امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل ([2]).

ثم ألحق القاسميّ تنبيهاتٌ استمدها من تفسير الرازي :

الأول: قال الرازي: قوله تعالى: فالق الإصباح.. الآية، نوع آخر من دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته. فالنوع المتقدم كان مأخوذاً من مشاهد أحوال النبات والحيوان. والنوع المذكور في هذه الآية

---

[1] الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (75/13).

[2])قمحية ، مفيد ، المعلقات العشر ، (ص70) ،ط5، دار الفكر اللبناني ،بيروت ، 2002م

مذكور من الأحوال الفلكية. وذلك لأن فلق ظلمة الليل بنور الصبح أعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى بالنبات والشجر، ولأن من المعلوم بالضرورة أن الأحوال الفلكية لها وقعٌ في القلوب وأكثر تأثيراً من الأحوال الأرضية. ثم قرر الحجة من وجوه عديدة، وأجاد رحمه الله.

الثاني : قرئ الإصباح بفتح الهمزة، على أنّه جمع صبح، كقفل وأقفال.

الثالث: في (البحر الكبير): أنّ السنة الشرعية قمرية لا شمسية، والشمسية مما حدث في دواوين الخراج، وإنّما أضيف الحساب في الآية إليهما، لأنّ بطلوع الشمس ومغيبها يعرف عدد الأيام التي تتركب منها الشهور والسنون، فمن هنا دخلت – انتهى [1].

الموازنة :

أولاً :بيّن الرازي معنى كلمة (الإصباح) وذكر أنّ فيها عدة وجوه واستعان بآراء اللّغويين في بيان معناها .

ثانياً : أمّا القاسمي فقد بيّن موقعها من الإعراب بشكل غير موسّع وألحق تنبيهات ذكرها الرازي في تفسيره الكبير وأورد بيت شعر في بيان معنى الإصباح .

ثالثاً : نلاحظ أنّ القاسمي استمدّ معنى كلمة الإصباح من تفسير الرازي وبيّن القراءات لتلك الكلمة.

رابعاً: من منهج الإمام القاسمي في شرحه للمفردات الغريبة في القرآن الكريم بيان معاني المفردات التي تشتمل عليها الآية ناقلاً تارةً ، ومبيّناً من عنده أخرى ، ويلاحظ نقله عن قواميس اللغة العربية المعتمدة فينقل مثلاً عن الصحاح وعن القاموس وشرحه ، وقد يستشهد على المعنى الذي يذهب إليه بأشعار العرب وإن كان ذلك قليلاً – فتارةً ينسب البيت إلى صاحبه وتارةً لا ينسبه لصاحبه([2]).

خامساً: فقد تعرّض القاسمي في تفسيره إلى أصل الألفاظ واشتقاقاتها وبيان معانيها وأوْجه الإعراب فيها .

المطلب الثاني: البلاغة:

البلاغة لغةً: تُنَبِّأ عن الوصول والانتهاء([3]).

أما البلاغة اصطلاحاً فالبلغاء في ذلك فريقان:

---

[1] القاسمي، جمال الدين ، محاسن التأويل (440/4).

([2]) الجمل، عبد الرحمن يوسف الجمل ، منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل، ص101، مجلّة الجامعة الإسلامية ، ص .ب : 108- غزة –فلسطين ، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلاميّة – غزة .

([3])المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ، (ت: 1371هـ) ، علوم البلاغة ، "البيان ، المعاني ، البديع" (15/1،14،13) .

1- المتقدمون كالإمام عبد القاهر الجرجاني ومن نحا نحوه ، وهؤلاء يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنّما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها. وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين: " الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة على المعنى والإظهار له".

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز: "وأكثر البلغاء لا يكادون يفرّقون بين البلاغة والفصاحة بل يعتمدونها اعتماد الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما".

2- أما القول الثاني فأولئك يرون إخراج الفصاحة من كنف البلاغة. فالبلاغة كل والفصاحة جزء [1].

البلاغة بفنونها الثلاثة" المعاني- البيان- البديع" وسائر الفنون الأدبية التي عليها أدباء الأدب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ليست إلّا بحوثاً وتتبُّعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام، ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها، دون أن تستطيع كلٌ هذه البحوث والدراسات جمع كل عناصر الجمال الأدبي في الكلام، أو عُمْقٌ في دراستها، وتكوين كل وجوهها.

والغرض من عرض الباحثين لفنون البلاغة وعلومها، وللمذاهب الأدبية المختلفة، وللأمثلة الأدبية الراقية المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، تربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبي في الكلام الأدبيّ الرفيع، وتربية القدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على إتمام بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرهم الاستعداد لشيء من ذلك [2].

وظيفة التعبير اللغوي: التعبير اللغوي أسمى أنواع التعبير، وأوضحها في الدلالة على المراد، وأيسرها على المعبرين، وهو الأصل في الإيضاح والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض

---

[1] انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت:1371)، علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، (13/1، 14، 15).

[2] الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن، (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية، (11/1)، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط:الأولى، 1416 هـ - 1996م.

والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى، وهو أمْكن على توصيل المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين... وهو ميّزة الإنسان بأسلوبه الراقي مما سواه[1].

مكانة الرازي البلاغيّة: لم يعرف الفخر بلاغيا إلاّ من خلال كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) الذي يعد خلاصة لفكر عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ولا نرى الفخر ملخصاً وناقلاً منهما إنّما محرراً ومنظماً وضابطاً، ومستعيناً بآراء علماءٍ آخرين كالرماني[2]، والزمخشري، والوطواط[3] في (حدائق السحر في دقائق الشعر)[4].[5].

من الأمثلة التي ساقها الرازي في تفسيره لسورتي الأعراف والأنعام :

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :14]. هنا إنكار المفعول، واعلم أنه فرق بين أن يقال أغير الله أتخذ وليا وبين أن يقال : أتخذ غير الله وليا لأنّ الإنكار إنما حصل على اتخاذ غير الله وليًّا، لا على اتخاذ الوليّ، وهنا تمّ تقديم الأهم فالأهم الذي هم بشأنه أعني فكأنّ قوله قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّاً أَوْلى من العبارة الثانية، ونظيره قوله تعالى: **﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾**[الزمر :64] وقوله تعالى : **﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ﴾** [يونس:59][6].

ففي الآيات السابقة، استفهامٌ للإنكار على سبيل التوبيخ لهم أي: من صفاته هو الذي يُتّخذ ولياً والنّصر والإعانة من عند الله ، لا الآلهة التي لكم.

---

[1] بتصرّف ،المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، (ت:1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (25/1)، مكتبة وهبة، ط:الأولى، 1413هـ - 1992م.

[2] علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النجاة. أصله من سامراء، مولده ووفاته ببغداد. ولد في 296هـ- 908 م. ت: 384 هـ- 994م. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، (ت:1396هـ)، الأعلام، (317/4)، دار العلم للملايين، ط: خمسة عشر – أيار/مايو 2002 م.

[3] الوطواط ، محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكتبي، جمال الدين، المعروف بالوطواط. وُلِد : 632هـ - 1235م. ت: 718هـ- 1318م. أديب مترسل من العلماء، من أهل مصر. كانت صناعته الوراقة وبيع الكتب. توفي في القاهرة.

[4]- كتاب بالفارسية ترجمة إلى العربية :إبراهيم أمين الشواربي، نقل عنه الفخر بعض الألوان البديعيّة مع أمثلتها العربية.

[5] صالح يحيى أحمد، رسالة دكتوراة (علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغيّة) للطالبة فائزة سالم صالح يحيى أحمد، الدكتور المشرف: علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1412هـ- 1992م.

[6] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (431/12).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:7] المقصود أنّهم إذا رأوه بقوا شاكّين فيه، وقالوا : إنّما سكّرت أبصارنا، فإذا لمسوه بأيديهم فقد يقوى الإدراك البصري بالإدراك اللّمسي، والوصول إلى الغاية في الظهور والقوّة، ثمّ هؤلاء يبقون شاكّين في أنّ ذلك الذي رأوه ولمسوه هل هو موجودٌ أم لا، وذلك يدل على أنّهم بلغوا في الجهالة إلى حد المجادلة بالخطأ والتضليل [1].

فاللَّمس يكون باليد خاصَّة فلم حدّد الله اللمس بقوله (بأيديهم) مع أنَّ هذا معلوم بداهة من قوله (فلمسوه) ؟ فاللّمس وضع اليد على موجود حسّيّ ما للتأكُّد من وجوده أو لمعرفة ظاهره وكلمة اللّمس تدل على استعمال اليد ولكنَّ الله قيَّد اللمس باليد ليؤكِّد معنى اللَّمس حتى لا يتوهَّم أنَّه أراد المجاز فيصرف اللَّمس إلى التأمل لا بل هو اللمس باليد وفي هذا تأكيد على معاندتهم ومكابرتهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ﴾ [الأنعام:68] ولفظُ الخوض في اللغة عبارةٌ عن المفاوضة على وجه العبث واللعب، قال تعالى حكاية عن الكفار **﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾**[المدَّثر:45] وإذا سئل الرجل عن قوم فقال: تركتهم يخوضون. أفاد ذلك أنهم شرعوا في كلمات لا ينبغي ذكرها، لأنَّ ذلك خوض في آيات الله، وهو حرام ، بدليل هذه الآية، والجواب عنه: أنَّا نقلنا عن المفسرين أنَّ المراد من "الخوض" وضع في أصل اللغة لهذا المعنى فسقط هذا الاستدلال والله أعلم[2].

والوجه البلاغي هو العدول عن الإتيان بالضمير إلى الإتيان بالاسم الظاهر، وهو اسم الموصول (الذين) فلم يقل: وإذا رأيتهم فأعرض عنهم، للدلالة على أنّ الذين يخوضون في الآيات زُمْرة خاصة من القوم الذين كذبوا بالقرآن أو بالعذاب، فعموم القوم أنكروا وكذبوا دون خوض في آيات القرآن، فأولئك قسمٌ، والذين يخوضون في الآيات قسمٌ كان أبذى وأقذع، وأشد كفراً وأشنع وهم المتصدون للطعن في القرآن.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام:83]

وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى: قوله : وَتِلْكَ إِشَارَةٌ إلى كلامٍ تَقَدَّمَ وفيه وجوه : **الأول:** أنَّه إشارة إلى قوله: لا أُحِبُّ الآفِلِينَ.

---

[1] الرازي ،أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (486/12).

([2])الرازي ، أبو عبد الله محمد ،مفاتيح الغيب، (22/13).

والثاني: أنَّه إشارة إلى أنَّ القوم قالو له: أما تخافُ أن تُفسدك آلهتنا لأجل أنَّك شتمتهم. فقال لهم : أفلا تخافون أنتم حيث أقدمتم على الشرك بالله والمساواة بين الله تعالى وبين المنحوت من الحجارة ؟. **والثالث:** أنَّ المراد هو الكُلُّ.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله "وتلك" مبتدأٌ، وقوله: "حُجَّتُنا" خبره، وقوله: "آتيناها إبراهيمَ" صفةٌ لذلك الخبر.

المسألة الثانية: قوله:" وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ" يدلُّ على أنَّ تلك الحجة إنَّما هي توفيقٌ وفتْحٌ ربّانيٌّ في عقل إبراهيم عليه السلام بإيتاء الله وبإظهاره تلك الحجة في عقله وذلك يدلُّ على أن الإيمان والكفر لا يحصلان إلَّا بخلق الله تعالى. ويتأكَّدُ هذا أيضاً بقوله: " نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ " فَإنَّ المرادَ أنَّه تعالى رفع درجاتِ إبراهيم بسبب أنَّه تعالى آتاه تلك الحجة، ولو كان حصول العلم بتلك الحجة إنما كان من قِبَلِ إبراهيم لا من قِبَلِ الله تعالى لكان إبراهيمﷺ هو الذي رفع درجات نفسه/ وحينئذ كان قوله : نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ باطلاً. فثَبَتَ أنَّ هذا صريح قولنا في مسألة الهدى والضَّلال.

المسألة الثالثة: هذه الآية من أدلِّ الدلائل على فساد قول الحشوِيَّة في الطَّعن في النَّظر وتقرير الحجة وذكر الدليل. لأنَّه تعالى أثبت لإبراهيم ﷺ حصول الرِّفعة والفوز بالدَّرجات العالية لأجل أنَّه ذكر الحجة في التوحيد وقرَّرها وذبَّ عنها وذلك يدلُّ على أنَّ مرتبة النبوّة والرسالة هي من أسمى المراتب .

المسألة الرابعة: قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ درجاتٍ بالتنوين من غير إضافة والباقون بالإضافة، فالقراءة الأولى معناها: نَرفعُ مَن نشاءُ دَرَجاتٍ كثيرة، فيكون «مَنْ» في موضع النصب. قال ابن مُقسَمٍ: هذه القراءة أَدُلُّ على تفضيل بعضهم على بعضٍ في المنزِلَةِ والرِّفعة. وقال أبو عمرٍو: الإضافة تدلُّ على الدرجة الواحدة وعلى الدَّرجات الكثيرةِ والتنوين يدلّ على الدرجات الكثيرة ([1]).

المسألة الخامسة: اختلفوا في معنى الدرجات قيل: درجاتُ أعماله في الآخرة، وقيل: الدرجاتُ الّرفيعة، لأنَّها تُوجبُ الثواب العظيم. وقيل: نرفَعُ مَنْ نَشَاء في الدُّنيا بالنُّبُوَّة والحكمة وفي الآخرة بالجنة والثواب. وقيل :نَرْفَعُ دَرجاتٍ مَنْ نَشاءُ بالعلم. واعلم أنَّ هذه الآية من أدَلِّ الدَّلائل على أنَّ كمال السَّعادة في الصِّفات الرُّوحانيةِ وفي البعد عن الصِّفات الجُسمانيةِ.

والدَّليلُ عليه: أنَّه تعالى قال: وتِلْكَ حُجَّتُنا آتيْناها إبراهيمَ على قوْمه.

ثُمَّ قالَ بعدهُ: نَرْفَعُ دَرجاتٍ مَنْ نَشاءُ وذلك يدلُّ على أنَّ الموجِبَ لحُصول هذه الرَّفعةِ هو إيتاءُ تلك الحجة، وهذا يقتضي أنَّ وقوف النَّفس على حقيقةِ تلك الحجةِ واطِّلاعَها على إشراقها اقتضتِ ارتفاع

([1]) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب ، (50/13).

الرُّوح من حَضيضِ العالمِ الجُسْمانِيّ، إلى أعالي العالَم الرُّوحانيّ، وذلك دليل على أنّ السعادة لا تتحقق إلاّ بالإيمان والتّقوى وكثرة الرّوحانيات. والله أعلم[1].

سبق الحكم هنا العلم لأن المقام اقتضى ذلك من خلال الحديث عن الحكمة التي لقّنها الله تعالى نبيه إبراهيم، وأشار إليها بقوله (وتلك) فاستطاع أن يحتج بها على قومه، وكان أن نال من الله الرفعة في الدرجات وذلك بمقتضى الحكمة الإلهية في تصريف الشؤون والأحوال.

والوجه البلاغي في الآيات السابقة هو إضافة الحجة إليه – تعالى– على سبيل التشريف، وللتنويه بشأنها وصحتها، قوله: (على قومه) فيه تشبيه الغالب بالمستعلي، المتمكن من المغلوب.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:128]. اعلم أنه تعالى لمَّا بيَّن حال من يتمسك بالصراط المستقيم بيَّن بعده حال من يكون بالضِّدِّ من ذلك لتكون قصَّة أهل الجنَّة مردفةً بقصة أهل النَّار وليكون الوعيد فيه مذكورا بعد الوعد وفيه مسائل:

المسألة الأولى : ويَوْمَ يَحْشُرُهُم منصوب بمحذوف أي واذْكُر يَوْمَ يحْشُرُهُم قُلنا يَا مَعْشَرَ الجنّ كانَ ما لا يوصَفُ لِفَظاعَتِهِ.

المسألة الثانية: الضَّمير في قوله: وَيَوْمَ يحْشُرُهُم إلى ماذا يعود ؟ فيه قولان: الأول : يعود إلى المعلوم لا إلى المذكور وهو الإنس والجنّ وجميع المكلَّفين الذين عُلِمَ أنَّ الله يبعَثُهُم. والثاني: أنَّه عائدٌ إلى الشَّياطين الذين تمّ ذكرهم سابقاً.

المسألة الثالثة: في الآية محذوفٌ والتَّقدير: يَوْمَ نَحْشُرُهُم جَمِيعاً فنقولُ: يَا مَعْشَرَ الجنِّ فيكونُ هذا القائل هو الله تعالى كما أنَّه الحاشرُ لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر فلا يكون إلا تَبْكِيتاً وَ بَيَاناً لِجِهة أنَّهم وإن تَمَرَّدوا في الدنيا فينتهي حالَهم في الآخرة إلى الاعتراف والإذعان والخضوع إلى أمر الله . وقال الزَّجاج: التقدير فيقالُ لهم يَا مَعْشَرَ الجنِّ لأنَّهُ يَبْعُدُ أن يتكلَّم الله تعالى بنفسه مع الكفَّار بِدَليل قوله تعالى في صفة الكفار: **﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾**[البقرة :174][2].

---

[1]الرازي ،أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (50/13).

[2]الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (147/13، 148).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112].

الوجه البلاغي أنَّه قُدِّمَ لفظ الإنس على الجنّ وذلك لأنَّه يوم الحشر موجهٌ إلى الجنِّ على سبيل التَّبكيتِ على ما فعلوه من الاستكثار من الإنس وغوايتهم ولمزيد من التَّحقير حُذِفَ فعلُ القول أو النِّداء والتقدير.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:57] التشبيه الوارد في تفسير الرازي هو تشبيه تمثيلي، أي أنَّه الله تعالى كما أحيا هذا البد بعد خرابه فأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر فكذلك يحيى الموتى بعد أن كانوا أمواتا لأنَّ مَن يقدرُ على إحداث الجسم وخلق الرُّطوبة والطَّعم فيه فهو أيضا يكون قادراً على إحداث الحياة في بدن الميّت والمقصود منه إقامة الدلالة على أنَّ البَعْثَ والقِيامة حقٌّ[1].

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:61، 60] (المجاز المرسل بين الآيتين السابقتين) كما ورد في تفسير الرازي التكليف والتوحيد والنبوّة والمعاداة ولمّا ذكروا هذا الكلام أجاب نوح عليه السلام بقوله: يا قوم ليس بي ضلالةٌ.

فإن قالوا: إنّ القوم قالوا : "إنّا لنراك في ضلال مبين".

فجوابه أن يقال : ليس بي ضلالٌ فلم ترك هذا الكلام وقال: ليس بي ضلالةٌ؟

فقلت: لأنّ قوله : ليس بي ضلالةٌ أي نفى عن نفسه أي نوع من أنواع الضلالة البتّة فكان هذا أبلغ في عموم السلب ثم إنّه لمّا نفى عن نفسه العيب الذي وصفوه به ووصف نفسه بأشرف الصفات وأجلّها وهو كونه رسولاً إلى الخلق من رب العالمين ذكر ما هو المقصود من الرسالة وهو أمران: الأول: تبليغ الرسالة والثاني : تقرير النصيحة [2].

نرى، فقد جعل الضلال ظرفاً والضلال ليس ظرفا يحلّ فيه الإنسان، لأنّه معنى من المعاني، إنّما يحل في مكانه فاستعمال الضلال في مكانه مجازٌ مرسلٌ أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحالية وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه، حتى كأنه مستقرٌ في ظلماته لا يتزحزح عنها.

---

[1] الرازي ، أبو عبد الله ،مفاتيح الغيب، (291/14).

[2] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (96/14)، مرجع سابق.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف:199] (استعارة مكنيّة) حيث شبّه العفو بأمرٍ محسوس يطلب فيؤخذ وهذا من فنون البلاغة في القرآن الكريم ،بيّن الله في الآية –عزوجل– الذي يتولاه وأنّ الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: خذ العفو و أمر بالعرف: قال أهل اللغة: العفو الفضل وما أتى من غير كلْفة[1].

[1] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (434/14) .

ومن الأمثلة التي ساقها القاسمي حول اهتمامه في علم البلاغة في تفسيره لسورتي الأنعام والأعراف :

قال تعالى :

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :14] والمعنى لا أتّخذ وليا إلا الله وحده. فاطر السماوات والأرض. أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق. بالجرّ، صفة للجلالة، مؤكدة للإنكار، فالمنافع كلها من عنده – سبحانه– ولا يجوز عليه الانتفاع. أي فيجب شكر الله على إنعامه وكفايته الحوائج بلا طلب عوض واتّخاذ العبد لله ولياً، والمقصود بالطعم الرزق، بمعناه اللغوي. وهو كل ما يستفاد منه بدليل وقوعه مقابلاً له في قوله تعالى**﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾** [الذاريات:57]. فعبر بالخاص عن العام مجازاً، لأنَّه أعظمه وأكثره، لشدَّة الحاجة إليه. واكتفى به عن العام، لأنه يعلم، من نفي ذلك، نفي ما سواه [1].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[الأنعام:7] وتخصيص اللمس لأنَّ التزوير لا يقع فيه، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكّرت أبصارُنا، ولأنَّه يتقدمه الإبصار، حيث لا مانع وتقييده بـ(الأيدي) لرفع التجوُّز، فإنّه قد يتجوَّز به للأفصح، كقوله:**﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾** [الجن: 8] أفاده البيضاوي [2].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ﴾ [الأنعام:68] أورد القاسمي في تفسيره فقال : قال الرازيّ: ومن الحشوية [3]من استدلَّ بهذه الآية في النَّهي عن الاستدلال والمناظرة في ذات الله تعالى وصفاته. قال: لأن ذلك خوض في آيات الله، والخوض في آيات الله حرام بدليل هذه الآية.

وقال القاسمي: إنَّ حضور مجالس المنكر مع إمكان التباعد عنه، مشاركة لصاحبه. والموصول كناية عن مشركي مكة فقد كان دينهم الطعن والاستهزاء [4].

---

[1] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (325/4)، مرجع سابق.

[2] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (317/4)، مرجع سابق.

[3] الحشوية: لقب مبتدع ما أنزل الله به من سلطان، فليس هو في كتاب الله ولا في سنة رسوله. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، (ت:728)، مجموع الفتاوى، (146/4)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودة، 1416هـ / 1995م.

[4] القاسمي ، جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل، (393\4).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام:83] إلى هاهنا حُجَّتُنا أي: التي لا يمكن نقضها آتَيْناها إِبْراهِيمَ أي: أرشدناه إليها، وعلمناه إياها، بلا واسطة معلّم عَلى قَوْمِهِ متعلق بحُجَّتُنا إن جعل خبر تِلْكَ، وبمحذوف إن جعل بدله، أي: آتيناها حجة ودليلا على قومه الكثيرين، ليغلب وحده، نرفع درجات من نشاء يعني: في العلم والحكمة [1].

قال تعالى :

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:128]. قال المهايمي: خصَّ الجنّ بالنداء لأنّهم الأصل في الخُبْث والمكْر والفسوق وقد اغويتم كثيراً من الإنس، أي: من أغوائهم وإضلالهم [2].

قال تعالى :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112]. وكذلك جعلنا لكلِّ نبي عدواً شياطين الإنس والجن أي : مثل ذلك الجعل الذي جعلناه في حقك، حيث جعلنا لك عدوّاً يضادونك ولا يؤمنون، جعلْنا لكل نبيٍّ تقدمك عدوَّاً من مردة الإنس والجن، فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك، كما قال تعالى:﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ﴾ [فصلت:43][3].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:57] كذلك أي : مثل ذلك الإخراج نخرج الموتى أي نحييها بعد صيرورتها رميماً يوم القيامة [4].

قال تعالى :

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:61، 60] قال يا قوم ليس بي ضلالة وقد فسرها القاسمي : ليس بي ضلالة.

﴿خُذِ الْعَفْوَ ﴾ [الأعراف:199] خذ العفو أي مكان الغضب، ليكونوا أقبل للنصيحة وأمر بكل أمرٍ مستحسن من الأفعال، فإنها أدْعى لقبول الناس من غير نُفُور، ولما كان الناصح لغيره، كالمعرض

---

[1] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (416/4).

[2] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (488/4).

[3]القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (470/4).

[4] انظر: القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (107/5).

لعدوانهم، ثلّث بما يحتاج إليه في ذلك فقال: وأعرض عن الجاهلين أي: المنذرين على جهلهم فلا تكافئ السفهاء بمثل سفههم [1].

الموازنة:

أولاً : إنَّ القاسمي كان يتعرّض للجوانب البلاغية التي تتعلق ببعض الآيات الكريمة ولكن بشكل غير موسّع، وذلك ببيان سر التعبير القرآني ببعض الكلمات والعبارات، والسر العظيم الذي يوجد في تقديم بعض الألفاظ وتأخير أخرى، ويرد رحمه الله تعالى على ما يوهم ظاهره التكرار في القرآن الكريم، وهذه الأمور وغيرها من النكات اللطيفة والأسرار الخفية الكامنة في آيات الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: كان القاسميّ يكثر من النقولات عن الزمخشري في المسائل البلاغية وذلك لغوص الزمخشري وراء المعاني الخفية المستقرة في آيات الله ([2]).

ثانياً :أمّا الرازي فقد اهتمّ اهتماما واسعا في علم البلاغة من خلال كتابه (نهاية الإيجاز) حيث إنّ روحه البلاغية تظهر من خلال تفسيره، الذي نقل فيه كثيراً من الأصول البلاغية إلى المجال التطبيقي الذي نراه يتّسع ويتشعب، حتّى إنّه جعل من علم المعاني مكمّلاً لدراسات بلاغية دارت حوله تقوم على التفصيل والاستقصاء لأكثر المسائل فجعل منها علما من علوم البلاغة، فالرازي يستطرد لذكر المسائل البلاغية ، فكتاب الرازي موسوعة في علم البلاغة وعلم الكلام، فاهتم الرازي بالتحليلات الذوقية وتتبع الأغراض البلاغية التي تثبت إعجاز القرآن الكريم مما أثر في منهج البحث البلاغي، وظهر في حسن التبويب، وضبط المصطلحات البلاغية بأسلوب علمي، وطريق منهجي، ومن ثمّ فقد شكلت الرؤية البلاغية عند الإمام في تفسيره حلقة مهمة من حلقات تاريخ البلاغة العربية، وساهمت في حفظ السورة البلاغية في أوج تطورها.

ثالثاً: إنّ الرازي يجعل من المعاني والبيان من أهم العدّة لتفسير القرآن الكريم إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ولا تستقيم له اللطائف التي وُجدت في القرآن الكريم فليس المطلوب معرفة المعاني فحسب بل بيان أسرار الإعجاز وجماله .

رابعاً: الرازي يقوم بتقسيم وتشعيب المسائل وتفريعها ويحصرها من ناحية بلاغيّة ويحيطها إحاطة تامّة ويعرض أسرار وجمال القرآن ويُبيّن الأسرار العجيبة بشكل واسع في علم المفردات والمعاني وقد امتدحه

---

[1] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (242/5).

[2] الجمل ، عبد الرحمن يوسف الجمل ، منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل ، دراسة تحليلية ونقدية ، ص 122، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول ، 2003م

الصفدي وقال عن الرازي : (اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره : سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحّة الذهن ، والاطّلاع الذي لا مزيد عليه ، والحافظة المستوعِبة ، الذاكرة التي تعينه على ما يريد في تقرير الأدلّة والبراهين ([1]).

خامساً :علم البلاغة فيه إفادة الكلام على وجْهين إمّا وضعيّة كدلالة الألفاظ على المعاني كدلالة الحجر والجدار والسماء فهي موضوعة بإزائها ، وأمّا العقليّة فيكون داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ (البيت) على(السقف) فالسقف جزء من مفهوم البيت ([2]).

سادساً :في قوله تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام:83]

أولاً :قام الإمام بتفسير الآية والإحاطة بها وبمعانيها وبمدلولاتها وبأسرار الإعجاز القرآني إحاطة دقيقة فربط بينها وبين قصة إبراهيم في الآية التي تسبقها ومن ثمّ قسّم الآية إلى وجوه وبين مواضع الإعراب فيها وتوسّع في بيان كلمة (حجتنا) وأورد رأي الحشوّية وأوْجه القراءات ومعانيها وإعرابها بيّن معنى (الدرجات) وأورد الاختلافات فيها وبيّن الوجه البلاغي في إضافة حجتنا إلى ذات الله عزوجل وهو من باب التشريف والرّفعة .

سابعاً : أمّا القاسمي فقد اكتفى ببيان معنى الحجّة وبيّن موضعها من الإعراب ولم يورد الناحية البلاغية فيها كما عُني الرازي فيها .

المطلب الثالث: النحو.

علم باحث عن أحوال المركّبات الموضوعة وضعاً نوعياً لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها. وغرضه: تحصيل ملكة يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعاً نوعياً لما أراده المتكلم من المعاني وعلى فهم معنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور. وغايته: الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية. ومباديه: المقدمات الحاصلة من تتبع الألفاظ

([1]) بتصرّف ، الرازي ، الإمام فخر الدين الرازي ، ت: 606هـ - 209م ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجازص12 ، دار صادر بيروت ، ط: الأولى 1424هـ - 2004م .
([2]) الرازي ، الفخر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص30.

المركبة في موارد الاستعمالات. وموضوعه: المركبات والمفردات من حيث وقوعها في التراكيب والأدوات لكونها روابط التركيب وإنَّما يبحث عنها في النحو على وجه المبدئية لأنها من مسائل اللغة الحقيقة [1].

من الأمثلة التي ساقها كلٌّ من الإمامين (الرازي والقاسمي) في سورتي الأنعام والأعراف:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:32]
قرأ ابن عامر وهو إمام أهل الشام في القراءة "وَ لَدَارُ الآخرةِ" بإضافة الدَّار إلى الآخرة، والباقون "وَ للدَّارُ الآخرة" على جعل الآخرة نعْتاً للدَّار. أمَّا وجْه قراءة ابن عامر فهو أنَّ الصفة في الحقيقة مغايرة للموصوف فَصّحَّت الإضافةُ من هذا الوجه، ونظيرهُ قولهم بارحة الأولى، وَيَوْمُ الخميسَ وحقٌّ اليقينِ، وعند البَصَرِيّين لا تَجُوزُ هذه[2].

وفَصَل الرازي القول في هذه المسألة وكان موافقا للكوفيين في جواز إضافة الصفة للموصوف. فالمثال السابق يتحدث فيه الرازي حول المجرورات.

أمّا القاسمي فأورد في تفسيره :

قال الخفاجيّ : جمع اللهو واللعب في آيات فتارة يقدّم اللعب، كما هنا وتارة قدم اللّهو كما في العنكبوت. ملخص الفرق بين اللهو واللعب، مع اشتراكهما في أنّهما الاشتغال بما لا يعني ويهمه من هوى أو طرب، سواء كان حراماً أم لا، أنّ اللّهو أعم من اللعب، فكل لعب لهو، ولا عكس. وقد فرقوا به أيضا بأنّ اللّعب ما قصد به تعجيل المسرة، والاسترواح به، واللهو كل ما شغل من هوى وطرب وإن لم يقصد به ذلك، كما قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسياسة اليوم أنني... كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي [3].

الموازنة

أولاً: اهتمام الرازي في المجرورات والخلاف حول إضافة الصفة إلى الموصوف بينما القاسمي اهتم فقط في هذه الآيات بالفرق بين اللهو واللعب ولم يورد الإعراب البتّة ، فذكر الرّازي القراءة ونسبها إلى صاحبها وقام ببيان أوجه القراءات وإعرابها وبيّن قول البصريين والكوفيين ورجّح الكوفيين مستنداً إلى دليل نقلي

---

[1] القنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، (ت:1307 هـ)، أبجد العلوم،(547/1)، دار ابن حزم، ط: الأولى 1423هـ - 2002م.

[2] الرازي ، أبو عبد الله محمد ،مفاتيح الغيب، (516/12).

[3] امرؤ القيس ،ديوان امرؤ القيس ، ص28، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4، دار المعارف – القاهرة ، 1119م.

بينما القاسمي فرّق بين اللهو واللعب وبين الحكم الشّرعي في اللّهو واللّعب واستند إلى بيت شعرٍ يبينُ فيه معنى اللهو واللعب .

ثانياً: قال ابن خلكان عن الرازي : (ولهُ مؤاخذات جيّدة على النّحاة) ، (وكان له كتاب مستقل اسمه (المحرر) وقيل أنّ الرازي شرح (المفصّل في النحو) للزمخشري ([1]).

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:137] قرأ ابن عامر وحده زُيّن بِضَم الزَّاء وكسر الياء وضمّ اللامِ من: قَتْلُ : أولادَهم بنصب الدَّال : شركائِهِمْ بالخفضِ والباقون: زَيَّنَ بفتح الزَّايِ والياءِ: قَتْلَ بفتْحِ اللام أولَادِهِم بالجرّ: شركاؤُهم بالرَّفع. أمَّا وجه قراءة ابن عامر فالتَّقديرُ: زُيّنَ لكثيرٍ من المُشْرِكِين قَتْلُ شُرَكائِهم أولادَهم إلَّا أنَّه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولادُ وهو مكروهٌ في قوله:

فَزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ... زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَه([2]) .

وإذا كان مستكرهاً في الشعر فكيف في القرآن الذي هو معجزٌ في الفصاحة. قالوا: والذي حمل ابن عامرٍ على هذه القراءة انَّه رأى في بعض المصاحف: شركائِهم مكتوباً بالياء ولو قرأ بجرّ الأولاد والشُّركاءِ لأجل أنَّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحةً عن هذا الارتكاب[3].

أمّا القاسمي فقال: أنَّ شُرَكاؤُهُم فاعل زَيَّنَ أخَّرَ عن الظَّرف والمفعول اعتناء بالمقدَّم، واهتماماً به، لأنه موضع التعجُّب، لأنَّهم يقدِّمون الأهم، والذين هم بشأنه اعنى. وقرأ ابن عامر وحده زَيَّنَ على البناء للمفعول الذي هو القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء بإضافة القتل إليه، مفصولاً بينَهُما بمفعوله. وقد زَيَّفَ الزَّمخشري، عفا الله عنه، هذه القراءة، وعدَّ ذلك من كبائر كشافه إذ قال: وأمَّا قراءة ابن عامر، فشيء لو كان في مكان الضرورات، وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، كما سمج وردّ:

زجّ القَلوصُ أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟

قال: والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء – لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم – لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب [4].

([1]) الزركان ، محمد صالح الزركان ، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص42.

([2])شرّاب ، محمد حسن ، شرح الشواهد الشعرية في أمّات الكتب النحوية ، (344/1) ، ط1، مؤسسة الرّسالة ، بيروت – لبنان ، 1427هـ - 2007م .

[3] الرازي ، أبو عبد الله ،مفاتيح الغيب، (159/13)، مرجع سابق.

[4]القاسمي ، جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل، (500/4)، مرجع سابق.

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الانعام:148] **هنا أورد الرازي** عدّة مسائل فقال : زعم سيبويه أنّ عطف الظاهريّ على المضمريّ المرفوع في الفعل قبيح فلا يجوز أن يقال: قمت وزيدٌ وذلك لأن المعطوف عليه أصلٌ والمعطوف فرعٌ والمضمر ضعيف والمظهر قويٌ وجعل القوي فرعا للضعيف لا يجوز.

إذا عرفت هذا الأصل فنقول: إن جاء الكلام في جانب الإثبات وجب تأكيد الضمير فنقول قمتُ أنا وزيدٌ وإن جاء في جانب النفيّ قلت ما قمتُ ولا زيدٌ إذا ثبت هذا فنقول قوله : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فعطف قوله: ولا آباؤنا على الضمير في قوله: ما أشركنا إلا أنه تخلل بينهما كلمة الله فلا جرم حسن هذا العطف. قال في جامع الأصفهانيّ: إنّ حرف العطف يجب أن يكون متأخراً عن اللفظة المؤكدة للضمير حتى يحسن العطف ويندفعَ المحذور المذكور من عطف القوي على الضعيف وهذا المقصود إنّما يحصل إذا قلنا : (ما أشركنا نحن ولا آباؤنا) حتى تكون كلمة (لا) مقدمةٌ على حرف العطف. أما ها هنا حرف العطف مقدم على كلمة (لا) وحينئذ يعود المحذور المذكور.

فالجواب: أنّ كلمة (لا) لما أدخلت على قوله: آباؤنا كان ذلك موجبا إضمار فعل هناك، لأنّ صرف النفي إلى ذوات الآباء محال بل يجب صرف هذا النفي إلى فعل يصدر منهم، وذلك هو الإشراك فكان التقدير: ما أشركنا ولا أشرك آباؤنا وعلى هذا التقدير فالإشكال زائلٌ[1]. ففيها الخلاف في العطف على الضمير المرفوع المتصل.

أمّا القاسمي :فأورد في تفسيره : أنّ (لو) إذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي ذلك أنّ الله تعالى لمّا قال فلو شاء لم يكن الواقع أنّه شاء هدايتهم. ولو شاءها لوقعت [2].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف :160] **قال الرزي**:((قال الزَّجاج: المعنى (وقطَّعناهم اثنتي عشرة) فِرْقة (أسباطا)فقوله (أسباطا) نعت لموصوف محذوف، وهو الفرقة، وقال أبو علي الفارسي: ليس قوله (أسباطاً) تمييزاً، ولكنه بدل من قوله: (اثنتي عشرةً)، وأما قوله (أُمَماً) قال صاحب «الكشّاف»: هو بدل من(اثنتي عشرة)بمعنى: وقطَّعناهم أُمما لأنَّ كُلَّ سبط كان أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد))[3].

---

[1] انظر، الرازي ، أبو عبد الله محمد، مفاتيح الغيب، (13/ 175).

[2] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (523/4).

[3]الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (388/15)، مرجع سابق.

أمّا القاسمي ففسر الآيات أوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أي في التيه أن اضرب بعصاك الحجر فضربه فانبجست أي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط قد علم كل أناس أي سبط منهم مشربهم .[1]

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ [الأعراف:177] ومن شواهد حذف التمييز **عند الرازي** قال الرازي:

(بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الجمعة:5] قال الرازي: (("بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله"، أي: بئس القوم مثلاً كما في قوله **﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾**.قال الليث : ساء يسوء فعل لازم ومتعدٍ: ساء الشيء يسوء فهو سيء. وقال النحويون: تقديره ساء مثلاً، مثل القوم انتصب مثلاً على التمييز، فلمّا ذكرت نوعا فقد ميّزته من سائر الأنواع)) [2].

وأما القاسمي فقال:(ساءَ مَثَلًا أي ما مثل به الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أي حيث شبهوا بالكلاب، أمّا في استواء الحالتين في النقصان، وأنهم ضالون، وعظوا أم لم يوعظوا كما قدمنا. وإما في الخسة، فإنّ الكلاب لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيز الهدى والعلم، وأقبل على هواه، صار شبيها بالكلب، وبئس المثل مثله[3].

الموازنة :

أولاً:، يتصف التأويل النحوي عند الرازي بالعمق والكثرة وأورد القراءات القرآنية المتواترة واعتمد عليها في مناقشة المسائل النحوية والصرفية إذ يتسم الرازي بالثقافة الواسعة والمعرفة الجيدة بالقواعد العربية

ثانياً :استشهد الرازي بكثير من الأبيات الشعرية في عرضه للمسائل النحوية والصرفية وقد أخذ التأويل النحوي في تفسيره مكاناً بارزاً، ذلك أنّ النص القرآني نص إعجازي، فالرازي من أئمة التفسير في النحو.

ثالثاً: استخدم الرازي القواعد النحوية في مناقشة المسائل الفقهية حيث أيَّد مذهب الإمام الشافعي في إباحة أكل متروك التسمية، وذلك عن حديثه عن عدم جواز عطف الجملة الإسمية على الجملة الفعلية فموقف الرازي من المذاهب النحوية يعتمد على الانتقائية بما ينسجم ومنهجه في التفسير الذي يعتمد على العقل في الكشف عن مرامي النص ومقاصده، وإن كان يميل إلى المذهب البصري، ويبدو أنَّ سبب هذا الميل لاعتماد المذهب البصري على الأصول العقلية في معالجة القضايا النحوية

---

[1] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (208/5)، مرجع سابق.

[2] انظر، الرازي ، أبو عبد الله محمد ،مفاتيح الغيب، (406/15)، مرجع سابق.

[3]القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (223/5)، مرجع سابق.

رابعاً: أما القاسمي فيتعرض للقضايا النحوية كثيراً، إلا أن معظم تعرضه بإيجاز إلا ما كان من بعض المواضع التي يتوسع فيها في الإعراب إما نقلا عن العلماء، وهو الطابع الغالب على كتابه في قضايا النحو وغيره، وإمّا ابتداءً من عنده والله أعلم، وعنده اهتمام بالأبيات الشعرية في التفسير.

خامساً: إذا تطرّق القاسمي إلى القضايا النحوية ذات الصلة بالآيات يتحدّث بشيء من الإيجاز ونادراً يتوسع في إعراب بعض الألفاظ القرآنية فيذكر وجوه الإعراب المختلفة .

المطلب الرابع: الشواهد الشعرية.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:99]

قال: مُشْتَبِهَاً ولمْ يَقُلْ مُشْتَبِهَيْن إمَّا اكتفاءً بوصف أحَدِهِما، أو على تقديرٍ والزَّيْتونَ مُشْتَبِهاً وغيْرَ مُتَشَابه والرُّمانَ، كذلك كقوله:

رَمَاني بِأمْرٍ كُنْتُ منه وَوَالِدي...بَرّيّا ومِنْ أَجْلِ الطوى رَمَاني[1].

أمّا القاسمي فبيَّن أنه تعالى كذلك قادر على إنشائهم من نفوسهم وأبدانهم، وعلى البعث بإنزال المطر من السماء، ثم إنبات الأجساد كالنباتات، ثم جعلها خضرة بالحياة، ثم تصوير الأعمال بصور كثير، وإفادة أمور زائدة، وتفريعها، وإعطاء أطعمة مشتبهة في الصورة، غير متشابهة في اللّذة، جزاءٌ عليها، والله أعلم– [2].

أرى :

أولاً : أنّ الرازي استشهد في تفسيره بأبيات شعرية، أمَّا القاسمي فلم يورد أبياتاً شعريّة في تفسيره لهذه الآيات مع اهتمامه في إيراد الشعر أثناء التفسير.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا لَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ

---

[1] شرّاب، محمد حسن ،شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية ، (295/3) ، ط1، مؤسسة الرسالة ،بيروت– لبنان ، 2007م.

[2]القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (446/4)، مرجع سابق.

إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَامَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:155] قال جماعة النَّحويين: معناهُ واختار موسى من قومه سبعين. فحُذِفت كلمة «من» ووُصِل الفعل فنسب يُقال: اخترت من الرجالِ زيداً واخترْتُ الرجالَ زيداً، وأنشدوا قول الفرزدق:

ومِنَّا الذي اختار الرجال سَماحةً وَجُوداً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ ([1]).

قال أبو عليٍّ والأصْلُ في هذا الباب أنَّ من الأفعال ما يتعدَّى إلى المفعول الثاني بحرف واحد، ثم يُتَّسع فيُحذف حرف الجر فيَتَعَدَّى الفعلُ إلى المفعول الثاني، من ذلك قولك اخترْتُ من الرجالِ زيداً ثم يُتَّسع فَيُقال اخترْتُ الرِّجال زيداً وقولُكَ أستغفر الله من ذنبي وأستغفرُ الله ذنبي قال الشاعر:

أستغفِرُ الله ذنباً لَسْتُ أُحصيهِ.

ويُقالُ أَمَرْتُ زَيْداً بالخيرِ وَأمرْتُ زَيْداً الخيرَ قال الشاعر:

أمرْتُكَ الخيْرَ فافْعل ما أُمِرْتَ به ([2])

والله أعلم [(3)].

أمَّا القاسمي فَبيَّن لنا أن قوله تعالى (واختار موسى قومَه سبعينَ رجلاً لِمِيقاتنا فلمَّا أخذتهم الرَّجفة قال ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيَّاي أتُهلِكنا بما فعل السُّفهاء منا) روى محمد بن إسحاق أنَّ موسى عليه السلام، لما رجع إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل، وذرّاه في اليمّ، اختار من بين بني إسرائيل سبعين رجلاً، الخيّر فالخير، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهِّروا ثيابكم.....القصة[(4)].

الموازنة:

اولاً: يتضح تأثر الرازي تأثّر بأشعار أبي العلاء ،وكان ممّن جمع أدب القول وأدب الكتابة .

([1])الفرزدق، همام بن غالب ، شرح ديوان الفرزدق برواية السكري عن محمد بن حبيب ، عبد الله إسماعيل الصاوي ، (ص516/2)، مطبعة الصاوي ، ط1.

([2]) شرّاب ، محمد حسن : شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية (ص117) ، ط: 1، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1427هـ - 2007م.

[(3)] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (475/15، 376)، مرجع سابق.

[(4)] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (190/5)، مرجع سابق.

ثانياً: في كلا المثالين أورد الرّزي بيتاً من الشعر فتفسيره حافل بالأبيات الشعرية أمّا القاسمي مع اهتمامه بإيراد أبيات شعريّة في تفسيره إلاّ أنّه لم يورد أبيات خلال تفسيره لهاتين الآيتين

المبحث الرابع: آيات الأحكام :

أولا: التعرف بآيات الأحكام :

تعارف العلماء على إطلاق أحكام القرآن؛ على أحكام القرآن العملية، الفرعية، المعروفة بالفقهية.

فالمراد بآيات الأحكام– عند الإطلاق–:" هي الآيات التي تبيّن الأحكام الفقهية وتدل عليها نصَّاً، أو استنباطاً " هذا هو المشهور والمعروف عند التَّصنيف والدراسة والإطلاق.

وتفاسير آيات الأحكام، أو التفسير الفقهي: "هو التفسير الذي يُعنى ببيان الأحكام الشرعية العملية، والتَّنبيه عليها، سواء بالاقتصار عليها، أو العناية الخاصة بها".

ثانيا: الغرض من معرفة آيات الأحكام :

قال الشافعي رحمه الله: "إنَّ من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة".

وآيات الأحكام بشكل عام فيها صلاح للناس في أنفسهم، ومجتمعهم وأمتهم [1].

ثالثا: عدد آيات الأحكام:

وقع خلاف بين أهل العلم– رحمهم الله – في كون آيات القرآن الدالة على الأحكام الفقهية محدودة أم لا ؟ على قولين:

القول الأول: وفيه عدة أقوال:

القول الأول: وفيه تحقيقان:

أولهما :أنَّه لا يشترط معرفة جميعه بل ما يتعلق منه بالأحكام وهو خمسمائة آية.

---

[1] النشمي عبد الله ،(اختيارات الإمام الفخر الرازي في التفسير)، (ص70)، بإشراف الدكتور يوسف صابون دهب محمد 1436هـ –2015م.

وثانيهما: أنّه لا يشترط حفظها بل أن يكون عالماً بمواقعها حتى يُطلب منه الآية المحتاج إليها عند الحاجة [1].

والقول الثاني: قيل مائتا آية أو قريب من ذلك[2].

والقول الثالث: قال بعضهم: مائة وخمسون آية، قيل ولعلَّ مرادهم المصرَّح به فإنَّ آيات القَصصِ والأمثال وغيرها يُسْتَنبطُ منها كثيرٌ من الأحكام[3].

القول الثاني: إنّ آيات الأحكام غير محدودة العدد، فكل آية في القرآن قد يستنبط منها حكم معيّن، ومن كتاب الله تعالى ما يتضمن الأحكام وهي خمسمائة آية[4]، ومردّ ذلك إلى ما يفتحه الله على العالم من معاني القرآن ودلالاته، وهو أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ وعوارضها من التخصيص والنَّسخ وأصول الفقه، وما يتميّز به العالم من صفاء الروح، وقوّة الاستنباط، وجودة الذهن سيلانه[5].

وهذا هو الراجح – والله أعلم–؛ لأنَّ أحكام القرآن في كتاب الله منها ما هو مصرَّح به كقوله تعالى:﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾[البقرة:183] إلى قوله﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ۖ﴾ [البقرة:185] وعامَّة أحكام القرآن العظيم من هذا النوع، وهو كثير وسورة البقرة وسورة النساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك [6].

---

[1] الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن، (ت:606هـ)، المحصول، (23/6)، تح: الكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة 1418هـ–1997م. والطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت:505هـ)، المستصفى، (342/1، 343)، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1413هـ – 1993م.

[2] القِنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، (ت:1307هـ)، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، (9/1)، تح: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

[3] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (40/4)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ / 1974م.

[4]وهو قول أكثر العلماء، وممن رجَّحه العز بن عبد السَّلام، والقرافيّ، والزركشيّ، والسيوطيّ، والشوكانيّ، والشنقيطيّ. انظر: المالكي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المشهور بالقرافيّ، (ت:684هـ)، شرح تنقيح الفصول، (437\1)، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: الأولى، 1393هـ – 1973 م.

[5]النشمي عبد الله (اختيارات الإمام الفخر الرازي في التفسير)، (ص71)، بإشراف الدكتور يوسف صابون دهب محمد 1436هـ –2015م.

[6] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، (4/2).

رابعا: عناية الرازي بآيات الأحكام:

إنّ المطالع لتفسير الرازي يتجلّى له وبوضوح عناية الفخر الرازي بآيات الأحكام فقد كان متضلّعا بأصول الفقه، ملمّاً بالأحكام، حتى أصبح إمام الشافعية في زمانه قال فيه ابن كثير: "... أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار"[1]، وقد استفاد في تقريره للأحكام وترجيحه للأقوال من مناهج علماء أصول الدين وطرقهم في الاحتجاج، إضافة إلى سلوكه مناهج الفقهاء في التفريع، ويتضح ذلك في المسائل الفقهيّة التي يعمد إلى استنباطها.

والفخر الرازي في تفسيره لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه وترجيحه لمذهب الشافعي الذي كان يتابعه هو في عبادته ومعاملاته[2].

ولقد كان الرازي يتحلى بالتأدب مع أئمة الاجتهاد والفقهاء والدعاء لهم عقب ذكرهم، وما كان التزامه بالمذاهب دافعا له للنيل من المذاهب الأخرى وفقهائها، ولا دافعاً له للتعصب ومخاصمة مخالفيه من المجتهدين والطّعن في آرائهم.

ومن الأمثلة حول عناية كل من (الرازي والقاسمي) بآيات الأحكام في سورة الأنعام:

قوله تعالى: **﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[الأنعام:108].

قوله تعالى:**﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾**[الأنعام:118-121].

في قوله تعالى:﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأنعام:119] في الآية مسائل:

المسألة الأولى عند الرازي : قرأ نافع وحفص عن عاصم : وقد فصَّل لكم ما حرَّم عليكم بالفتح في الحرفين وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمروٍ بالضّم في الحرفين وقرأ حمزة والكسائيُّ وأبو بكر عن

---

[1] النشمي، عبد الله (اختيارات الإمام الفخر الرازي في التفسير)، (ص73)، بإشراف الدكتور يوسف صابون دهب محمد 1436هـ -2015م.

[2] الذهبي ، محمد حسين الذّهبي ،التفسير والمفسرون، (210/1).

عاصم/ فصَّل بالفتح وحُرِّم بالضمة فمن قرأ بالفتح فالحرفين فقد احتج بوجهين الأول: أنَّه تمسَّك في فتحِ: فصَّل بقوله قد فصَّلنا الآيات [الأنعام:97 98 126] وفي فتحِ قوله حَرَّم بقوله: أُتْلوا ما حَرَّم ربُّكُم [الأنعام:151].

الوجه الثاني: التمسُّك بقوله: مما ذُكِرَ اسم الله عليه وقد فَصَّلَ لكم ما حَرَّم عليكم فيجِبُ أن يكون الفعل مسنداً إلى الفاعل لتَقَدُّمِ ذكر اسم الله تعالى وأما الذين قرؤوا بالضمِّ في الحرفين فحجتهم قوله **(حُرِّمَت عليكمُ المَيْتَةُ والدمُ)** [المائدة:3] وقوله حُرِّمَت تفصيلا لما أُجمِلَ في هذه الآية فلمَّا وجب في التفصيل أي يقال: حُرِّمَت عليكمُ الميْتَةُ بفعل ما لم يسمّ فاعله وجب في الإجمال كذلك وهو قوله: ما حَرَّم عليكم ولما ثَبَتَ وجوبُ حَرَّمَ بِضَمِّ الحاء فكذلك يجبُ: فُصِّلَ بضم الفاء لأنَّها هذا المُفَصَّل هو ذلك المُحَرَّمُ المُجمل بعيْنِه وأيضاً فإنَّه تعالى قال: وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مُفَصَّلا [الأنعام: 114] وقوله: مُفَصَّلاً يَدُلُّ على فَصَّلَ وأمَّا من قرأ فَصَّلَ بالفتح وحُرِّمَ بالضم فَحُجَّتُهُ في قولِهِ: فَصَّلَ قوله:

قد فَصَّلْنا الآيات وفي قوله: حَرَّمَ قولُهُ: حُرِّمَت عليْكم المَيْتةُ.

المسألة الثانية قولُهُ: وقد فصّل لكم ما حَرَّمَ عليكم أكثر المفسِّرين قالوا: المراد منه قولُهُ تعالى في أوَّل سورة المائدة: حُرِّمَتْ عليكمُ المَيْتَةُ وّالدَّمُ ولحمُ الخنزيرِ وفيه إشكالٌ وهو أنَّ سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنيةٌ وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة وقوله قدْ فَصَّلَ يقتضي أنْ يكونَ ذلك المفصَّلُ مقدَّماً على هذا المُجمل والمدنيُّ مُتأخِّرٌ عن المكيِّ والمتأخِّرُ يمتنعُ كونه متقدِّماً بل الأوْلى أن يُقالَ المرادُ قولُهُ بعد هذه الآية : **(قل لا أجدُ فيما أُوحِيَ إلَيَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يطْعَمُه)** [الأنعام:145] وهذه الآية وَإن كانت مذكورةً بعد هذه الآية بقليل إلا أنَّ هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكونَ هو المرادَ والله أعلم وقوله إلا ما اضْطُرِرْتُم إليْه أيْ دَعَتْكُمُ الضَّرُورَةُ إلى أكله بسبب شدَّة المجاعة[1].

أمّا القاسمي: ففسّر قوله تعالى: وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه إنكار لأن يكون لهم شيءٌ يدعوهم إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب. أي : وأيّ غرض لكم في أن تتحرّجوا من أكله، فما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي: بيّنه ووضحه.

قال بعض المفسرين: في آية المائدة في قوله تعالى: حرمت عليكم الميتة[المائدة: 3] . وردّ بأن المائدة من آخر ما نزل بالمدينة، والأنعام مكية. فالصواب أن التفصيل إما في قوله تعالى بعد هذه الآية **(قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً)** [الأنعام: 145]. فأنّه ذكر بعد بيسير، وهذا القدر من التأخر لا يمنع أن يكون هو المراد، وإمّا على لسان الرسول، ثمّ أنزل بعد ذلك في القرآن. و(فصّل) و(حرّم) قرىء كلٍ

[1] الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (128/13، 129)، مرجع سابق.

منهما معلوما ومجهولا. ومعنى الآية: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بيّن لكم المحرم أكله، وهذا ليس منه.

إلاّ ما اضطررتم إليه أي: ممّا حرم عليكم. أي: إلا أن تدعوكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة المجاعة، فيباح لكم. وإنّ كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمّها بأهوائهم بغير علمٍ أي: يضلّون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم، من غير تعلّق بشريعة.

إنّ ربّك هو أعلم بالمعتدين أي المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام.

وقد أورد القاسمي تنبيهاً حول هذه الآيات فقال: قال الرازي: دلّت هذه الآية على أنّ القول في الدين بمجرد التقليد حرام، لأنّ القول بالتقليد قولٌ بمحض الهوى والشهوة، والآية دلّت على أنّ ذلك حرام [1].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:120]

جاء في تفسير الرازي ،اعلم أنَّه تعالى لمَّا بيَّن أنَّه فصَّل المحرمات أتبعه بما يوجب تركها بالكُلِّيَةِ بقوله: وذروا ظاهر الإثم وباطنه والمقصود كل ما يوجب الإثم وذَكَرُوا في ظاهر الإثم وباطنه وجهين: الأول: أنَّ ظاهر الإثم المجاهرة بالزنا وباطنه الاستمرار به قال الضحّاكُ: كان أهل الجاهلية يرَوْن الزِّنا حلالاً ما كان سرَّاً فحرَّمَ الله تعالى بهذه الآية السِّر منه والعلانية. الثاني: أنَّ هذا النَّهي عامٌ في جميع المُحرَّمات وهو الأصحُّ لأنَّ تخصيص اللفظ العامّ بصورة معيَّنة من غير دليل غيرُ جائزٍ ثمَّ قيل : المرادُ ما أعْلَنْتم وما أسررتم وقيل: ما عملتم وما نويْتم وقال ابن الأنبارِيّ : يريد وذروا الإثم من جميع جهاته كما تقول: ما أخذتُ من هذا المال قليلاً ولا كثيراً تريدُ ما أخذْتُ منه بوجهٍ من الوجوه وقال آخرون: معنى الآية النَّهْيُ عن الإثم مع بيان أنَّه لا يخرُجُ من كَوْنه إثْمَاً بِسَبَبِ إخفائه وكِتْمانه وَ يُمكن أن يُقال: المُراد من قوله: وذروا ظاهر الإثم النَّهيُ عن الإقدام على الإثم ثُمَّ قال: وباطنَهُ ليظْهَرَ بِذلك أنَّ الدَّاعية له إلى ترْك ذلك الإثم خوف الله لا خوف الناس وقال آخرون ظاهر الإثم أفعال الجوارِح: وباطنَه خفايا القلوب من الكِبْرِ والحَسَدِ والكره والعُجْبِ وإرادَةِ السَّوْءِ للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزمُ والنَّظَرُ والظَّنُّ والتَّمَنِّي واللَّوْمُ على الخيرات وبهذا/ يظهر فساد قَوْلِ مَنْ يقول: أنّ ما يوجد في القلب لا يُؤاخذ به إذا لم يَقْتَرِنْ به عَمَلٌ فَإنَّه تعالى نهلى عن كل هذه الأقسام بهذه الآية.

ثُمَّ قال تعالى: إنَّ الَّذين يكسبون الإثم سيُجْزَوْنَ بما كانوا يقترفون ومعنى الاقتراف قد تقدَّم ذكره وظاهرُ النَّصّ يَدُلّ على أنَّ المسلمين أجمعوا على أنَّه إذا تاب لم يعاقب وأصحابنا زادوا شرطاً ثانياً وهو أنَّه

---

[1]انظر: القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (475/4، 476)، مرجع سابق.

تعالى قد يعفو عن المذنب فَيَتْرُكُ عقابه كما قال تعالى : **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** [النساء:48] [1].

أمّا تفسّير القاسمي هذه الآية قال: قال السَّديُّ :ظاهره الزّنا مع البغايا ذوات الرَّايات، وباطنه مع الخليلة والصَّدائق والأخدان. ولا يخفى أنَّ اللَّفظ عامٌّ في كل محرم، ولذا قال قتادة: أيْ سرَّه وعلانيته، قليله وكثيره، وصغيره وكبيره. كقوله تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)** [الأعراف:33].

قال شهاب: الاقتراف باللغة: الاكتساب، وأكثر ما يقال في الشر والذنْب. ولذا قيل:

الاعتراف يزيل الاقتراف وقد يرد في الخير كقوله تعالى: **(وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا)** [الشورى:23].

قال الحاكم: في الآية دلالة على أنَّ العبد يؤخذ بأفعال القلب كما يؤاخذ بأفعال الجوارح[2].

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴿ [الأنعام :121].﴾

تفسير الرازي ،اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن أنّه يحل أكل ما ذبح على اسم الله ذكر بعده تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله ويدخل فيه الميتةُ ويدخل فيه ما ذبح على ذكر الأصنام والمقصود منه إبطال ما ذكره المشركون وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: نقل عن عطاء أنّه قال: كلّ ما لم يذكر عليه اسم الله من طعام أو شراب فهو حرامٌ تمسكا بعموم هذه الآية وأمّا سائر الفقهاء فإنهم أجمعوا على تخصيص هذا العموم بالذبح ثمّ اختلفوا فقال مالك: كلّ ذبح لم يذكر عليه اسم الله فهو حرامٌ سواءٌ ترك ذلك الذكر عمدا أو نسياناً وهو قول ابن سيرين وطائفةٍ من المتكلّمين وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنْ تُرك الذكر عمداً حرم وإنْ ترك نسيانا حلّ وقال الشافعي رحمه الله تعالى: يحلّ متروك التسمية سواء ترك عمداً أو خطأ إذا كان أهلاً للذبح وقد ذكرنا هذه المسألة على الاستقصاء في تفسير قوله :**(إلاّ ما ذكيتم)** [المائدة : 3]. فلا فائدة في الإعادة قال الشافعي رحمه الله تعالى: هذا النّهي مخصوص بما إذا ذبح على اسم النّصب ويدلّ عليه وجوهٌ: أحدها:

---

[1] الرازي ،أبو عبد الله محمد ،مفاتيح الغيب، (130/13)، مرجع سابق.

[2] انظر. القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (477/4)، مرجع سابق.

قال تعالى : وإنّه لفسقٌ وأجمع المسلمون على أنّه لا يفسّق أكل ذبيحة المسلم الذي ترك التّسمية وثانيه ا:

قوله تعالى:

وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة إنّما كانت في مسألة الميتة روى ناسٌ من المشركين قالوا للمسلمين: ما يقتله الصقر والكلب تأكلونه وما يقتله الله فلا تأكلونه وعن ابن عباس أنهم قالوا: /تأكلون ما تقتلونه ولا تأكلون ما يقتله الله فهذه المناظرة مخصوصة بأكل الميتة وثالثها: قوله تعالى وإن أطعتموهم إنكم لمشركون وهذا مخصوصٌ بما ذبح على اسم النّصب يعني لو رضيتم بهذه الذبيحة التي ذبحت على اسم إلهيّة الأوثان فقد رضيتم بألوهيتها وذلك يوجب الشّرك قال الشافعي رحمه الله تعالى: فأول الآية وإن كان عامّا بحسب الصيغة إلاّ أنّ آخرها لمّا حصلت فيه هذه القيود الثلاثة علمنا أن المراد من ذلك العموم هو هذا الخصوص وممّا يؤكد هذا المعنى هو أنّه تعالى قال: ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق فقد صار هذا النّهي مخصوصا بما إذا كان هذا النّهي فسقاً ثم طلبنا في كتاب الله تعالى أنّه متى يصير فسقا ؟ فرأينا هذا الفسق مفسّراً في آية أخرى وهو قوله: قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرما على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به [الأنعام 145] فصار الفسق في هذه الآية مفسرا بما أهل به لغير الله فإذا كان كذلك كان قوله: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق مخصوصاً بما أهل به لغير الله.

المقام الثاني: أنْ نترك التخصص في هذه المخصصات لكن نقول لم قلتم إنه لم يجد ذكر الله ها هنا؟

المقام الثالث: وهو أنْ نقول: أنّ سائر الدلائل المذكورة في هذه المسألة توجب الحلّ ومتى تعارضت وجب أن يكون الراجح هو الإباحة لأن الأصل في المأكولات الإباحة وأيضا يدل عليه جميع العمومات المقتضية لحل الأكل والانتفاع كقوله تعالى: خلق لكم ما في الأرض جميعا [البقرة: 29] وقوله: كُلُوا واشْرَبُوا [البقرة:60] لأنَّه مستطابٌ بحسب الحِسّ فوجب أنْ يحلَّ لقوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ[المائدة:4] ولأنَّه مال لأنَّ الطَّبْعَ يميلُ إليْه فوجب أن لا يُحَرَّم لِمَا رُوِي عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه نهى عن إضاعة المال.

ومع ذلك فنقول: الأوْلى بالمسلم أنْ يحترزَ عنه.

المسألة الثانية: الضَّمير في قوله: وإنه لفسقٌ إلى ماذا يعود ؟ فيه قولان: الأول: أنَّ قوله: لا تأكلوا يَدُلُّ على الأكل لأنَّ الفعل يدلُّ على المصدر فهذا الضَّمير عائدٌ إلى هذا المصدر. والثاني: كأنَّه جعل ما لم يُذْكر اسم الله عليه في نفسه فسقاً على سبيل المبالغة[1].

المسألة الثالثة: قال الكعبيّ: الآية حجة على أنَّ الإيمان اسمٌ لجميع الطاعات وإن كان معناه في اللغة التَّصديق كما جعل تعالى الشرك اسما لكل ما كان مخالفا لله تعالى وإن كان في اللغة مختصًّا بمن يعتقد انَّ لله شريكاً بديل أنَّه تعالى سمَّى طاعة المؤمنين للمشركين في إباحة الميتة شركاً ولقائلٍ أن يقول: لم لا يجوز أن يكون المراد من الشرك هاهنا اعتقاد أنَّ الله تعالى شريكا في الحكم والتكليف ؟ وبهذا التَّقدير يرجع معنى هذا التقدير إلى الاعتقاد فقط[2].

أماّ القاسمي : فسر هذه الآية بقوله: قال المهايميّ. إنَّه لفسق: خروج عن الحسن إلى القبح، بتناول ما تنْجُسْ بالموت بلا مانع عن تأثيره.

وأورد القاسميّ تنبيهات منها:

أولاً: مشروعيّة التسمية عند الذَّبح فقيل: بسم الله، بهذا اللفظ الكريم، وقيل : بكل قول فيه تعظيم له كالرحمن، وسائر أسمائه الحسنى، لقوله تعالى: **(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ)** [الإسراء :110] ولقوله تعالى: **(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)** [الأعراف :180].

ثانياً: ما قدّمناه من حمل الآية على ما ذُبح لغير الله تعالى هو الأظهر في تأويلها، لقوله تعالى بعد: أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله به ومراعاة النظائر في القرآن أولى ما يلتمس به المراد.

وقد روي عن ابن أبي حاتم عن عطاء قال: نزلت في ذبائح كانت تذبحها قريش على الأوثان، وذبائح المجوس. وقد حاول بعضهم أنْ يقويه فجعل الواو في قوله:

وإنّه لفسقٌ حالية، لقبح عطف الخبر على الإنشاء. قال: والمعنى: لا تأكلوه حال كونه فسقاً والفسق مجمل يفسّره قوله : أهلّ لغير الله به، فيكون النّهي مخصوصاً بما أهلّ لغير الله به، فيبقى ما عاداه حلالاً، إمّا بالمفهوم، أو بعموم دليل الحِل أو بحكم الأصل. واعترض على هذا الحمل بأنّه يقتضي أن لا يتناول النّهي أكل الميتة، مع أنّه سبب النزول، وبأنّ التأكيد بـ (إنّ) و(اللام) ينفي كون الجملة حاليّة، لأنّه إنّما يحسن فيما قصد الإعلام بتحققه البتّة، والرد على منكر تحقيقا أو تقديرا (على ما بيّن في المعاني) والحال الواقع في الأمر والنّهي مبناه على التقدير، كأنّه قيل: لا تأكلوا منه إن كان فسقاً،

---

[1] انظر. الرازي ،أبو عبد الله ،مفاتيح الغيب، (130/13، 131)، مرجع سابق.

[2] الرازي ، أبو عبد الله ، مفاتيح الغيب، (132/13)، مرجع سابق.

فلا يحسن (وإنَّه لفسق) بل (وهو فسق) وأجيب عن الأول بأنَّه دخل بقوله: وإنه لفسق ما أهل به لغير الله وبقوله:

وإنّ الشياطين... إلخ الميتة، فيتحقق أنَّ هذا النهي مخصوص بما ذبح على النصب، أو مات حتف أنفه. وعن الثاني بأنَّه لما كان المراد بالفسق هاهنا الإهلال لغير الله، كان التأكيد مناسباً، كأنه قيل :لا تأكلوا منه إذا كان هذا النوع من الفسق الذي الحكم به متحقق، والمشركون ينكرونه.

ومما يقويه أيضا قوله تعالى: وإنه لفسق على أنَّ المراد به الخروج عن طاعة الله تعالى، وهو وجهٌ ثانٍ فيه، وقوله تعالى: إنَّكم لمشركون فإنَّ من أكل الميتة أو ذُبِحَ على النصب فسق، ومع الاستحلال يحلل، بخلاف ما ذبحه المسلم ولم يسمِّ عليه، فإنَّ آكله لا يفسق ولا يكفر إجماعاً – أشار له الرازي – وحينئذٍ فلا دلائل في الآية على تحريم ذبيحة المسلم التي تُرِكت التسمية عليها، عمداً أو سهواً [1].

واحتجَّ البيهقيّ بحديث عائشة رضي الله عنها أنَّ قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:

إنَّ قومنا يأتوننا باللحم لا ندري أذُكر اسم الله عليه أم لا، فقال: سمُّوا عليه أنتم وكلوه. قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر– رواه البخاري[2].

والنسائيّ – قال: فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرخص لهم إلا مع تحققها. وكذا قال الخطابي: فيه دليل على أنَّ التسمية غير شرط على الذبيحة، لأنّها لو كانت شرطاً لم تستبح الذبيحة بالأمر المبهم، كما لو عرض الشك في نفس الذبيحة، فلم يعلم هل وقعت الذكاة المعتبرة أم لا ؟ وهذا هو المتدابر من سياق الحديث، وممّا يدل أيضا قوله تعالى: وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم [المائدة : 5] فأباح الأكل من ذبائحهم، مع وجود الشك في أنّهم سمّوا أم لا. هذا، وقد تمسّك بظاهر الآية قومٌ فذبحوا إلاّ أنّ الذبيحة لا تحلّ إذا لم يذكر اسم الله عليها، وإن كان الذابح مسلماً، عمداً تركت التسمية أو نسياناً. واحتجوا أيضاً بقوله تعالى في آية الصيد: فكلوا ممّا أمْسكن عليكم واذكروا اسم الله عليْه [المائدة :4]، وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتّسمية عند الذبيحة والصّيد، كحديثي عدّي بن حاتم[3]

---

[1]القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل، (478/4، 479)، مرجع سابق.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح بخاري، باب ذبيحة الأعراب، (92/7)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:الأولى، 1422هـ.

[3] صحيح البخاري، باب ما جاء في التصيد،(88/7)، مرجع سابق. نص الحديث: حدثني محمد، أخبرني ابن فضيل، عن بيان، عن عامر، عن عَدي بن حاتم، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنّا قومٌ نَتَصَيَّدُ بهذه الكلاب، فقال:« إذا أرسلت كلابك المُعَلَّمة، وذكرت اسم الله، فَكُل ممَّا أمسكن عليك، إلَّا أنْ يأكل الكلب فلا تأكل، فَإنّي أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، وإن خالطها كلْبٌ من غيرها فلا تأكُل».

وأبي ثعلبة[1]: إذا أرسلت كلبك المعلّم، وذكرت اسم الله عليه فكل، وهما في الصحيحين

وحديث رافع بن خديج[2]: ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوه – في الصحيحين أيضاً– [3].

وحديث ابن مسعود[4]أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجِنّ: لَكُم كُلُّ عَظْمٍ ذُكِر اسم الله عليه– رواه مسلم–[5].

---

[1] صحيح البخاري، باب ما جاء في التَّصَيُّد، (88/7)، مرجع سابق، نص الحديث: حدثنا أبو عاصم، عن حَيْوة بن شُرَيْح، وحدثني أحمد ابن أبي رجاء، حدثنا سلمة بن سليمان، عن ابن مبارك، عن حيوَة بن شُريح، قال: سمعت ربيعة بن يزيد الدِّمشقيّ، قال: أخبرني أبو إدريس عائذُ الله، قال: سمعت أبا ثعلبة الخُشَنِيّ، يقول: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إنَّا بأرض قومٍ أهل الكتاب، نأكُلُ في آنِيَتِهم، وأرض صَيْدٍ أصيدُ بِقَوْسي، وأصيد بكلبي المعلم والذي ليس معلّماً، فأخبِرْني: ما الذي يَحِلُّ لنا من ذلك ؟ فقال: "أمَّا ما ذَكَرْتَ أنَّك بأرض قوْمٍ أهل الكتاب تأكُلُ في آنِيَتِهِم: فَإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثُمَّ كلوا فيها، وأمَّا ما ذكرت أنَّك بِأرض صَيْدٍ : فما صدتَ بِقَوْسِكَ فَاذكر اسم الله، ثُمَّ كُلْ، وما صِدْت بكلبك الذي ليس معلماً فأدركت ذكاتَه فَكُلْ".

[2] حدَّثني موسى بنُ اسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن سعيد بن مسروق، عن عباية بن رفاعة بن رافع، عن جدِّه رافع بن خديج، قال ك كُنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذي الحُلَيْفة، فأصاب الناس جوعٌ، فأصابنا إبلاً وغنماص، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أُخريات الناس، فعجِلوا فنَصَبوا القُدُور، فَدفِعَ إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقدور فَأُكفِئت، ثمَّ قَسَمَ فَعَدَل عشرةً من الغنم بِبَعير، فَنَدَّ منها بعير، وكان في القوم خَيْلٌ يَسِيرة، فطلبوه فأعياهم، فأهوى إليه رجلٌ بسهم فحبسه اللهُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :« إنَّ هذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما نضدَّ عَلَيْكم منها فاصنعوا بِهِ هكذا » قال: وقال جَدِّي: إنَّا لنرجو، أو نخاف، أن نلقى العَدُوَّ غداً، وليس معنى مُدًى، أفنذبحُ بالقَصَبِ؟ فقال: "ما أنْهَرَ الدَّمَ وذُكر اسم اله عليه فَكُلْ، ليْس السِّنَّ والظُّفُر، وسأُخبركمن عنه: أمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، أما الظُّفُرُ فمُدَى الحبشة".

[3] انظر: القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل، (480/4)، مرجع سابق.

[4]النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (332/1)، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. ونص الحديث: حدَّثنا مُحَمَّد بن المُثَنَّى، حدَّثنا عَبْدُ الأعلى عن داود، عن عامر، قال: سألْتُ علقمة هل كان ابن مسعود شَهِدَ معَ الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الجِنّ ؟ قال: فقال علقمة، أنا سألت ابنَ مسعود فقلت : هل شهد أحَدٌ منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنّا كُنّا مع رسول الله ذات الليلة ففقدْناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: اسْتُطيرَ أوِ اغتيلَ. قال: فَبِتْنا بِشَرِّ لَيلَةٍ بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فَطَلَبْناك فلم نَجِدْك فَبِتْنا بِشَرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ. فقال: « أتاني داعي الجِنّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأتُ عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزَّادَ فقال :"لَكُم كُلُّ عَظْمٍ ذُكِر اسم الله عليه يَقَعُ في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوابِكُم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« فلا تستنجوا بِهما فَإنَّهُما طَعَامُ إخوانكم».

(5) القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل، (481/4).

وحديث جُنْدب بن سفيان البجليّ قال[1]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذبح قبل أن يُصَلِّي، فليَذْبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذَبَحَ حتى صلينا، فليذبح باسم الله – أخرجاه– [2].

قالوا: ففي هذه الأحاديث إيقاف الإذن في الأكل على التسمية، والمعلق بالوصف ينتفي عند انتفائه، عند من يقول بالمفهوم. والشرط أقوى من الوصف.

واحتجوا أيضا بحديث عائشة المتقدم (سمُّوا عليه أنتم وكلوا). قالوا: إنَّ القوم فهموا أنّ التسمية لا بد منها، وخَشوا أن لا تكون وُجِدت من أولئك، لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالحذر بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح، إن لم تكن وجدت. أي: تسميتكم الآن تستبيحون بها كل ما لم تعلموا أَذكروا اسم الله عليه أم لا، إذا كان الذابح ممن تصح ذبيحته إذا سمّى. قالوا:

ويستفاد منه أن كل ما يوجد في أسواق المسلمين نُلحقه على الصحة، وكذا ما ذبحه أعراب المسلمين، لأن الغالب أنهم عرفوا التسمية. انتهى [3].

قوله تعالى: **﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[الأنعام:122].

قوله تعالى: **﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**[الأنعام:136-137].

قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ**

---

[1] صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "فليذبح على اسم الله "، (91/7)، ونصه: حَدَّثنا قُتَيْبة، حَدَّثنا أبو عوانة، عن الأسْوَد بن قيس، عن جُنْدُب بن سفيان البَجَلِيّ، قال: ضَحَيْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أُضْحِيَةً ذات يوم، فإذا أُناسٌ قد ذَبَحوا ضَحاياهم قبل الصلاة، فلما انصرف، رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أنَّهم قد ذبحوا قبل الصلاة، فقال : «من ذبح قبل الصلاة، فليَذْبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذْبح حتى صلينا، فليذبح على اسم الله ». وأخرجه مسلم في الأضاحي، (1551/3).

[2] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (481/4).

[3] القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل (481/4، 482).

حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام:138-140].

قوله تعالى: **﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[الأنعام: 141].

قوله تعالى: **﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[الأنعام: 142-144].

قوله تعالى: **﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[الأنعام: 145].

قوله تعالى: **﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(146) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**[الأنعام: 146-147].

ومن الأمثلة حول عناية كل من (الرازي والقاسمي) بآيات الأحكام في سورة الأعراف:

قوله تعالى :﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:31-33]

في قوله تعالى (يا **بني آدم خُذوا زينتكم عند كل مسجد)** اعلم أنَّه تعالى عندما أمر بالقسط في الآية السابقة وكان من جملة القسط أمر اللباس وأمر المأكول والمشروب لا جرم أتبعه بذكرهما وأيضا لما أمر بإقامة الصلاة في قوله: **(وأقيموا وجُوهَكُم عنْدَ كُلِّ مَسْجِدْ)** [الأعراف :29] وكان ستر العورة شرطاً لا جرم أتبعه بذكر اللِّباس وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن عباس: إنَّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عُراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد مِنَى طرحوا ثيابهم وأتَوُا المسجد عراة وقالوا :لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول :نفعل الحُمْسِ وهم قُرَيْشٌ فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك ويصلون في ثيابهم ولا يأكلون من الطعام إلَّا قوتاً ولا يأكلون دَسَماً فقال المسلمون :يا رسول الله فنحن أحقُّ أنْ نفعل ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية أيْ :« البسوا ثيابكم وَكُلُوا اللَّحْمَ والدَّسم واشربوا ولا تُسْرفوا».

المسألة الثانية: المرادُ من الزينة لبْس الثِّياب والدَّليلُ عليه قوله تعالى: **(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)** [النور: 31] يعني الثياب وأيضاً الزينة لا تحصل إلَّا بالسَّتر التامّ للعورات ولذلك صار التَّزَيُّن بِأَجْوَدْ الثِّياب في الجُمَعِ والأعياد سنة وأيضا غنه تعالى قال في الآية المتقدمة : **قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا** [الأعراف: 26] فبين أنّ اللباس الذي يواري السوءة من قَبِيلِ الرِّيَاش والزِّينة ثُمَّ إنَّه تعالى أمَر بأخذِ الزِّينة في هذه الآية فَوَجَبَ أن يكون المراد من هذه الزِّينة هو الذي تقدَّم ذِكْرُهُ في تلك الآية فَوَجَبَ حمل هذه الزينة على إخفاء العورة وأيضًا فقد أجمع المفسرون على أنَّ المراد بالزينة هاهنا لُبُسُ الثَّوْب الذي يستر العورة وأيضا قوله: خذوا زينتكم أمْرٌ والأَمرُ للوجوب فثبت أنَّ أخذ الزينة واجبٌ وَكُلُّ ما سوى اللبس فَغَيْرُ واجب فوجب حمل الزِّينة على اللُّبْسِ عَمَلاً بالنَّصّ بِقَدَرِ الإمكان.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله: خذوا زينتكم أمر وظاهر الأمر للوجوب فهذا يدل على وجوب ستر العورة عند إقامة كل صلاة وها هنا سؤالان:

السُّؤال الأول: أنَّه تعالى عطف عليه قوله: وكلوا واشربوا ولا شكَّ أنَّ ذلك امر إباحة فوجب أن يكون قوله خذوا زينتكم أمر إباحة أيضاً وجوابه: إنَّه لا يَلْزَمُ من ترك الظاهر في المعطوف تَرْكُه في المعطوف عليه وأيضًا فالأكل والشُّرب قد يكونان واجبين أيضاً في الحكم.

السؤال الثَّاني: إنَّ هذه الآية نزلت في المنع من الطَّواف حال العُريّ.

والجواب: أنَّ في أصول الفقه العبرة بعموم اللَّفظِ لا بِخُصوص السَّبب.

وإذا عرفت هذا فنقول: قوله : خذوا زينتكم عند كل مسجد يقتضي وجوب اللُّبْس الكامل وفق الضوابط الشرعيّة عند كل صلاة لأنَّ اللُّبس التَّام هو الزِّينة ترِكَ العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الأعضاء إجماعًا فبقي الباقي داخلاً تحت اللَّفظ وإذا ثبت انَّ ستر العورة واجبٌ في الصلاة وجب أنْ تَفْسُدِ الصَّلاة عند تركه لأنَّ تركه يوجب ترك المأمور به وترك المأمور به يوصل إلى الإثم والمعصية وعليه يترتّب العقاب على ما شرحنا هذه الطريقة في الأصول.

المسألة الثالثة: تمسَّك أصحاب أبي حَنيفَة بهذه الآية في مسألة إزالة النجاسة بماء الورد فقالوا: أمرنا بالصلاة في قوله: أَقِيموا الصَّلاة [الأنعام:72] والصَّلاة عبارة عن الدُّعاء وقد أتى بها والإتْيان بالمأمور

به يوجِبُ الخروج عن العهدة فَمُقتضى هذا الدَّليل أنْ لا تتوقف صِحَةُ الصَّلاة على ستر العورة إلَّا أنَّا أوجبنا هذا المعنى عملاً بقوله تعالى:**(خُذُوا زِينَتَكُم عند كلِّ مسجد)** ولُبْسُ الثَّوب المغسول بماء الورد على أقصى وجوه النظافة أخْذُ الزِّينة فَوَجَبَ أنْ يكون كافياً/في صحة الصَّلاة.

وجوابُنا: إنَّ الألف واللام في قوله: أقيموا الصلاة ينصرفان إلى المعهود السابق وذلك هو عمل الرسول صلى الله عليه وسلم لِمَ قُلْتم إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم صلَّى في الثَّوب المغسول بماء الورد؟ والله اعلم.

أمّا قوله تعالى وكلوا واشربوا فاعلم أنَّا ذكرنا أنَّ أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من الطعام في أيَّام حَجِّهم إلَّا القليل، وكانوا لا يَأكُلون الدَّسَم، يُعَظِّمون بذلك حَجَّهم فأنزل الله تعالى هذه الآية لبيان فساد تلك الطريقة.

والقول الثاني: إنهم كانوا يقولون إنّ الله تعالى حَرَّم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام، فحرَّم عليهم البحيرَةَ والسَّائبة فأنزل الله تعالى هذه الآية بياناً لفساد قولهم في هذا الباب.

واعلم أنَّ قولَه: وكلوا واشربوا مطلق يتناول الأوقات والأحوال ويتناول جميع الطعام والشراب، فوجب أن يكون الأصل فيها هو الحِلَّ في كُلِّ الأوقات وفي كُلِّ أنواع الطعام والشراب، إلَّا ما خَصَّه الدَّليل المنفصل والعقل أيضًا مؤكدٌ له لأنَّ الأصل في المنافع الحِلُّ والإباحة.

وأمَّا قوله: "ولا تسرفوا" ففيه قولان:

القول الأول: أنْ يَأكل ويشرب بحيث لا يتعدَّى إلى الحرم ،ولا يُكثر الإنفاق المستقبح ولا يتناول مِقْداراً كثيراً يَضُرّه ولا يحتاج إليه.

والقول الثاني: وهو قول أبي بكر الأصم: إنَّ المُراد من الإسراف قولُهم بتحريم البحيرة والسائبة فإنّهما خرجوها عن مُلْكهم وتَرَكوا الاستفادة منها، وأيضا حرَّموا على أنفسهم في وقت الحج أيضًا أشياء أحلها الله تعالى لهم وذلك إسراف.

واعلم أنَّ حمل لفظ الإسراف على الاستكثار مما لا ينبغي أولى من حمله على المنع من لا يجوز وينبغي.

ثمَّ قال تعالى :إنَّه لا يحب المسرفين، وهذا نهاية التَهديد لأنَّ كلَّ ما لا يُحبُّه الله تعالى بقي محروماً عن الثَّواب، لأنَّ معنى مَحَبة الله تعالى العبدَ أي: فاز بمحبة الله وإذا انعدمت هذه المحبة عبارة عن عدم

حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثّواب فقد حصل العقاب لانعقاد الإجماع على أنَّه ليس في الوجود مكلَّفٌ لا يُثاب ولا يُعاقب[1].

ثُمَّ قال تعالى: **(قُل من حَرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** وفي مسائل:

المسألة الأولى: ظاهرها استفهام، إلا أنَّ المراد منه تقرير الإنكار والمبالغة في تقرير ذلك الإنكار. وفيها قولان:

القول الأول: إنّ المراد من الزينة في هذه الآية اللباس الذي تستر به العورة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين.

القول الثاني: إنّه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التَّزيين ويخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ويدخل تحتها المركوب ويدخل تحتها أيضا أنواع الحُلِيّ لأنَّ كُلَّ ذلك زينة ولولا النَّصُّ الوارد في تحريم الذَّهب والفضة والإبريسَم على الرجال لكن ذلك داخلا تحت العموم ويدخل تحت الطيبات من الرزق كل ما يُسْتلذُّ ويُشْتهى من أنواع المأكولات والمشروبات ويدخل أيضاً تحته التَّمتُّع بالنِّساء والطِّيب.

المسألة الثانية: مقتضى هذه الآية أنَّ كل ما تَزَيَّنَ الإنسان به وجب أن يكون حلالاً وكذلك كلُّ ما يُسْتطاب وجب أن يكون حلالاً فهذه الآية تقتضي حِلَّ كلِّ المنافع وهذا من الأصول المُعْتَبَرة في كل الشريعة لأنَّ كل واقعة تقع فإمَّا أنْ يكونَ النَّفْعُ فيها خالصاً او راجحاً أو الضَّرَرُ يكون /أو يتناسب الضَّرَرُ والنَّفع أو يرْتفعا. أمَّا القسمان الأخيران وهو أن يتعادل الضَّرَرُ والنَّفع أو لم يُوجَدا قطٌّ ففي هاتين الآيتين وجب الحكم ببقاء ما كان على ما كان، وإن كان النَّفع خالصًا وجب الإطلاق بمقتضى هذه الآية وأن كان النَّفْعُ راجحا والضَّرَرُ مَرْجوحًا يُقابَل المِثْلُ بالمِثْل ويبقى القدر الزَّائدُ نفعًا خالصًا فيلتحق بالقِسْم المُتَقَدِّم وإن كان الضَّرَرُ راجحًا بَقِيَ القَدْرُ الزَّائِدُ ضَرَرًا خالصًا فكان ترْكُه نفْعًا خالصًا، فبهذه الطَّريق صارت هذه الآية دالّة على الأحكام التي لا نهاية لها في الحِلِّ والحُرْمة، ثُمَّ إنْ وجدنا نَصًّا خالصًا في الواقعة قَضَيْنا في النَّفْع في الحِلِّ وفي الضَّرَرِ بالحُرْمَةِ وبهذه الطَّريق صارت جميع الأحكام التي لا نهاية لها داخلًة تحت النَّصّ ثُمَّ قال نُفاةُ القِيَاس فلو تَعَبَّدَنَا اللهُ تعالى بالقِيَاس لكان حُكْمُ ذَلك القياسِ إمَّا أن يكون مطابقاً لحكم هذا النَّص العامّ وحينئذٍ يكون ضائعًا لأنَّ هذا النَّصُّ مستقلٌّ به وإنْ كان مخالفًا كان ذلك القياس مُخصِّصًا لِعموم هذا النَّص فَيَكُون مَرْدودًا لأنَّ العَمَلَ بالنَّص أَوْلى من العَمَلِ بالقياس.

---

[1] الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (228/14، 229).

قالوا: فبهذه الطَّريق يكون القرآن وحده وافيًا ببيان كُلِّ أَحكام الشَّريعة ولا حاجة معه إلى طريقٍ آخر فهذا تقريرُ قَوْلِ مَنْ يَقُول: القرآنُ وافٍ ببيان جَمِيع الوقائع والله أعلم [1].

أمّا القاسمي :

فقد فسر قوله تعالى **[يا بني آدم خُذوا زينتكم]** أَيْ: من اللِّباس عند كُلِّ مَسْجِدٍ أي: بيت بُنِيَ للعبادة، على أنّه اسم مكان أو مصدر بمعنى السُّجود، مُراداً به الصلاة والعبادة. فَإنَّ العبادة أولى أوقات التَّزيُّن وكُلُوا واشربوا أيام الحج تقويّا على العبادة ولا تُسْرِفوا أي: إسْرافاً يوجِبُ الانغماس في الشَّهوات ويبعد عن العبادة، أو لا تحرموا الطيبات من الرزق واللحم والدسم إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ المُعْتَدِين[2].وقوله تعالى: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون)** قل أي لهؤلاء المشركين الذين يُحرّمون ما يُحرِّمون بآرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم مَنْ حَرَّمَ زِينَة الله أي من الثياب وسائر ما يتجمَّل به التي أخرج لِعِباده من النبات كالقطن والكتان، والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع. هكذا عمم المفسرون هنا، ووجهه أن تخصيصه يغني عنه ما أمرَّ والطيبات من الرِّزق أي المُسْتَلَذَّات من المآكل والمشارب.

قال المهايمي: يعني إنْ زعموا أنّ التَّزَيُّن والتَّلَذُّذ يُنافيان التذلُّل الذي هو العبادة، فَيُحَرَّمان معها، فأعلمهم أنه قد أخرجها لعباده الذين خلقهم لعبادته ليتزينوا بها حال العبادة، فهل عبيد الملوك إذا حضروا خدمتهم، ولا ينافي ذلك تذللهم لهم، وكذلك الطيبات التي خلقها الله لتستمتع بها قلوب العباد فيقابلوه بالشكر والعبادة، فلا ينافي التلذذ العبادة، بل قد يكون داعياً إليها. انتهى[3].

وقوله تعالى:**(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّهما من المنافع المخالصة في أنفسهما)**. والإفضاء احتمال غير محقق.

فإذا أفضى، فالحرام هو المفضى إليه بالذَّات لأنَّه إنَّما حَرَّم رَبِّيَ الفَواحِشِ أي: ما تفاحش قُبْحُه من الذُّنوب، أي تزايد وهي الكبائر وهي ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن أي: ما جاهر به بعضهم بعضًا وستره بعضهم عن بعض، وما ظهر من أفعال الجوارح، وما بطن من أفعال القلوب والإثم أي: ما يوجب الإثم، وهو عامٌّ لكل ذنب، وذكره للتعميم بعد التخصيص.

---

[1] الرازي ،أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، (230/14، 231)، مرجع سابق.

[2] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (37/5)، مرجع سابق.

[3] القاسمي ، جمال الدين ،محاسن التأويل، (46/5)، مرجع سابق.

ويقال: إنَّ الإثم هو الخمر، قال الشاعر:

نهانا رسول الله أن نقرب الزنى وأن نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا([1]).

وأنشد الأخفش :

شربت الإثم حتّى ضَلَّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول ([2]).

وهو منقول عن ابن عبس والحسن. وذكره أهل اللغة كالأصمعي وغيره. قال الحسن: ويصدقه قوله تعالى: **(قُلْ فيهما إثْمٌ كبيرٌ)**[البقرة: 219]. وقال ابن الأنباري: لم تسمّ العرب الخمر إثمًا في جاهلية ولا إسلام، والشعر المذكور موضوع. وردّ بأنه مجاز، لأنّه سببه. وقال أبو حيان: هذا التفسير عير صحيح هنا، لانَّ السورة مكيّة، ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد، وقد سبقه إلى هذا غير.

وأيضًا، الحصر يحتاج إلى دليل. كذا في العناية والبَغْيَ أي الاستطالة على الناس وظلمهم وإنَّما أفرده بالذكر، مع دخوله فيما قبله، للمبالغة في الزجر عنه.

وذلك لأنّ تخصيصه بالذكر يقتضي أنَّه تميَّز من بينها حتى عُدَّ نوعًا مستقلًا بِغَيْرِ الحَقِّ متعلق بالبغي، مؤكد له معنى. وقيل: البغي قد يخرج عن كونه ظلمًا إذا كان بسبب جائز في الشرع، كالقصاص، إلا أنه مثله لا يسمى بغيًا حقيقية، بل مشاركة وقد حُرِّم أن تشركوا بالله ما لم يُنَزِّل به سلطانًا أي: برهانًا أي: ما لم يقم عليه حجة. قال الزمخشري: فيه تهكم، لأنّه لا يجوز أنْ ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره. وفي (العناية): إنّما جاء التهكم من حيث إنّه يوهم أنّه لو كان عليه سلطان لم يكن مُحَرَّمًا، دلالة على تقليدهم في الغي. والمعنى على نفي الإنزال والسلطان معًا على الوجه الأبلغ – انتهى– قال الرازي: وهذه الآية من أوضح الدلائل على أنّ القول بالتقليد باطل. وتبعه القاضي فقال: في الآية تنبيه على تحريم اتباع ما لم يرد فيه دليلٌ وبرهانٌ وقد حَرَّم عليكم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون أي: تتقوّلوا عليه، وتفتروا الكذب في التحليل والتحريم، أو في الشرك[3].

قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۞ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[الأعراف:204–206]

([1]) البغدادي ، شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ج8، ص112.

([2]) الزبيدي ، محب الدين ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : علي شيري ، (ص5/16) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

[3] القاسمي ، جمال الدين القاسمي ،محاسن التأويل، (48/5، 49)، مرجع سابق.

الموازنة :

أولاً: الرّازي أصولي وفقيه شافعيّ ،حتّى أنّه من شدّة حبه للشافعي ألّف كتابا أسماه (الإمام الشّافعي) في الدفاع عنه وترجيح آرائه على سائر المذاهب ، بالرّغم من شدّة حبّه للشافعي إلاّ أنّه في بعض المرّات خطّأ الإمام الشّافعي وضعّف بعض أقواله وخالفه في بعض المسائل ، ومن ميّزات الإمام الرازي كان يميل إلى الأخذ بظاهر النصوص والاكتفاء بها ، فهو لا يرى تخصيص القرآن بالقياس خلافاً لأبي حنيفة ومالك والشّافعي والأشعري([1]).

ثانياً: نرى عناية الرازي بآيات الأحكام فقد كان لديه الهمّة والشغف في الإلمام بالمسائل الفقهية والأحكام من جهةٍ ومن جهة أخرى لا يكاد القارئ لتفسير الرازي أن يمر بآية من الآيات إلا ويجد فيها المسائل الفقهيّة والأحكام الشرعية وسرده لمذاهب الفقهاء بإسهاب وإسنادٍ إلى أدلّتهم في ذلك ، حتّى انّه اصبح إمام الشافعية في زمانه ،فقد كان يورد الأحكام ويقوم بالتّرجيح ، حتّى أنّه كان من سماته الأدب مع أئمة الاجتهاد والفقهاء ومن ذلك كان يكثر من الدعاء لهم عقب إيراد آرائهم الفقهيّة .

ثالثاً: كان الرازي يقوم بذكر آراء الفقهاء مع الأداة ثم يرجّح قول الشافعي ويحتج للشافعي وأحيانا يذكر فقط قول الشافعي فقط مرجّحا ، وقد يذكر أقوالا للفقهاء دون أن يعزو ذلك لمذهب أو للقائل إلا أن يكون القول للشافعي فيصرّح به ([2]).

رابعا: يقوم الرازي بتقسيم الآية إلى مسائل ويورد مسائل علميّة في تفسيره لذلك كان الرازي متضلّعاً بأصول الفقه، ملمّاً بالفقه وأحكامه، وقد انتهل كثيرا من علمه هذا من مناهج العلماء، وقد ينقض حجج المخالف مستندا ويبين سبب نقضه ومن ثم يرجح مذهب الشّافعي ،وقد تأثّر بكثير من كبار المفسرين وعلماء أصول الدين وطرقهم في الاحتجاج وسلوكه مناهج البعض في التفريع وذلك في المسائل الفقهية التي يجتهد لاستنباط الأحكام منها، وقد يلجأ الإمام الفخر إلى بيان وتوضيح المذهب المخالف ومن ثمَّ نقضه وترجيح مذهبه ([3]).

أولاً : اشتهر الإمام القاسمي باستنباط الأحكام والدلالات من الآيات ، فكان من أسلوبه تقديم الدلالات واللّطائف التي يستنبطها من الآيات ، فتفسيراته وتوجيهاته العقلية والنظرية وتحليلاته الفقهيّة كثيرة .

([1]) الزركان ، محمد صالح الزركان ، فخر الدين الرازي وبراؤه الكلاميّة ، ص 41-43-44, مرجع سابق .

([2]) النّشمي ،عبد الله علي أحمد النّشمي ، اختيارات الأمام الفخر الرازي في التفسير بـ (مفاتح الغيب) من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة هود (دراسة تحليليّة – وصفية) ص73-74، إشراف الدكتور : يوسف صابون دهب محمد ، 1436هـ - 2015م .

([3]) المشنّي ، عبد الله علي ،اختيارات الإمام الفخر الرازي في التفسير من خلال كتابه التفسير الكبير ، (ص :73-74) .

ثانياً: كان يتوسّع أحياناً في ذكر الأحكام الشرعية بعد أن يشرح الآيات ومعانيها ومدلولاتها ، وأحياناً يشير إلى تلك الأحكام باختصار ، وقد اشتهر عنه النقولات الكثيرة من كتب المفسرين ومن خلال تفسيره لهذه الآيات نلاحظ إيراده تفسير الرازي لأكثر من مرة .

ثالثاً: نلاحظ أنّ القاسمي لم يستعرض آراء الفقهاء الأربعة في الأحكام الشرعية إلا نادراً وذلك نظرا للوضع الذي كان يعيشه والدعوة التي قام بها بين الناس وإبعادهم عن الضلال والمعتقدات الفاسدة فنجده ينقل كثيراً عن ابن تيمية وابن القيّم ([1]).

الخاتمة:

تشتمل :

أولاً : على أهم النتائج .

ثانياً: التّوصيات .

النتائج:

أولاً– إن العلوم الفكرية لا تولد بلحظة، بل هي وليدة أجيال تتعاقب عليها، ويسهم كل منها بفكرة وخطوة، إلى أن تستقر جذور هذه العلوم، وتتضح حدودها، ويرتفع بناؤها

ثانياً– تأخر ظهور الدراسة المقارنة في مجال التفسير، عن ظهورها في كثير من المجالات الفكرية والتطبيقية.

ثالثاً– تبيّن لنا انّ الراجح في تعريف (التفسير المقارن) هو: (بيان كلام الله تعالى بالراجح من الأقوال التفسيرية، المختلفة اختلافا حقيقياً معتبراً، بعد الموازنة بينها في ضوء منهجية علمية منضبطة).

رابعاً – سعة علم الرازي في شتى العلوم، واطلاعه، ودقة فهمه، وإتقانه لاختلاف المفسرين وآرائهم، وإبراز ذلك بطريقة فريدة، ومنهجيّة مميّزة.

خامساً– بعد الرازي عن التقليد والتعصب المقيت، بل كان في الأغلب مجتهدا يعتمد على الدليل والنظر.

([1]) الجمل ، عبد الرحمن يوسف الجمل ، منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل ، دراسة تحليلية ونقدية ، ص 122، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول ، 2003م.

سادساً– بيان منهج المخالف عند الرازي في تفسيره ولا سيما بعض الفرق، مع تفاوت عباراته حسب مقدار الخطأ والنظر.

سابعاً– الحاجة إلى تكرار قراءة عبارة الفخر الرازي في التفسير الكبير غالباً وإمعان النظر فيها، حتى يتضح القصد في المسألة.

ثامناً– وفق الرازي في جل اختياراته للصواب، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها، موافقا لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين، معتمدا قواعد علمية في الترجيح.

تاسعاً– قدرة الفخر الرازي الظاهرة على الترجيح بين الأقوال، وإيراد الأدلة، ومناقشة أدلة المخالفين، وأقوالهم.

عاشراً– كان لعقيدة الفخر الرازي الأشعرية، ومذهبه الشافعي، أثر في استدلاله، وتفسيره للنص.

الحادي عشرة – الراجح في المسائل غالبا ما يكون مع قول الجمهور والأكثرية، ذلك أن هؤلاء أهل علم ما كانوا من بعض دون أن يستأنسوا بالمعنى المراد، ولذلك وجدنا قول الجمهور له وزن في الغالب، والقول الشاذ غالبا بعيد عن الصحة، وهذه القاعدة ليست عامة، بل قد يحدث العكس، ولكنه قليل جدا.

الثانية عشرة – تسمية تفسير الرازي بالتَّفسير الكبير هي من صنيع الرازي نفسه، وهو وإن لم ينص على اسم تفسيره في أثنائه، إلَّا أنَّه سمّاه بالتفسير الكبير في بعض كتبه.

الثالثة عشر– كثرة النقولات في تفسيره، فالكاتب وإن كان يحتاج أحيانًا إلى تدعيم رأيه وما يذهب إليه ببعض النقولات عن العلماء الأثبات إلّا أنَّ القاسمي رحمه الله تعالى، لم ينقل عن العلماء ما يدعم به رأيه بل جعل النّقل هو صُلْب الكتاب، فمئات الصفحات في تفسيره ليس له فيها إلّا النَّقل.

الرابعة عشر– القاسمي في نقله هذا نقل كثيرًا من العبارات التي لا علاقة لها بالتفسير البتة، فكثرة النقولات جعلته تفسيرًا طويلًا مملًّا زهدت الناس في تفسيره.

الخامسة عشر– عدم وضوح منهج القاسميّ في النّهج الذي انتهجه في القراءات ، فعدم تصريحه بشذوذ القراءة أو تواترها بل التعبير عن ذلك بلفظ: قرئ يوقع القارئ في لُبس .

السادسة عشر – عناية القاسمي بذكر المناسبات بين الآيات، ويكثر من ذكر الأحاديث أثناء تفسيره ويعتمد الصحيح منها، ويلاحظ استطراده رحمه الله تعالى إلى بعض الموضوعات بل إلى كثير من الموضوعات التي لا علاقة لها بتفسير الآية.

السابعة عشر – يفسِّر القاسمي القرآن بالقرآن، وبما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما نقل عن الصحابة والتابعين رحمهم الله، وهو كذلك يقَرِّر مذهب السَّلفي في تفسيره، ويدعو إليه من خلاله.

الثامنة عشر– كما أنَّ القاسمي يرد على أصحاب العقائد المنحرفة كالمعتزلة والشِّيعة القدرية، ويورد أثناء تفسيره بعض الاعتراضات التي تحمل بعض الإشكالات، ثم يجيب عليها بما يزيل هذه الإشكالات.
التاسعة عشر – يتبيَّن لنا أنَّ القاسمي لا يتوسع في الأحكام التَّشريعية بذكر خلافات الفقهاء، إنَّما يقتصر على رأي ينقله غالبًا عن ابن القيِّم رحمه الله، وهو كذلك يهتم بالأمور العلمية كنقله عن علماء الفلك، وبعض الأطباء. ويذكر القاسمي رحمه الله تعالى بعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم كالنسخ وأسباب النزول وكون الآية مكية أو مدنية.

العشرون – سورة الأنعام مكيّة .

الواحدة والعشرون – التركيز في سورة الأنعام على العقائد الأساسيّة الثلاث التي كان المشركون يتنازعون فيها، وهي: توحيد الله، الإيمان بالرسل، الإيمان باليوم الآخر.

الثانية والعشرون – سورة الأعراف لها ثلاثة أسماء متّفق عليها: وهي: الأعراف، الميقات، والميثاق.

الثالثة والعشرون – سورة الأعراف مكيّة .

الرابعة والعشرون – سورة الأعراف تعالج موضوع العقيدة .
الخامسة والغشرون – سورة الأنعام عرضت مقاصدها وقضاياها من عقيدة وقصص المرسلين، بشكل مجمل وجاءت سورة الأعراف مفصّلة لما جاءت به سورة الأنعام.

التوصيات:

1–الضرورة الملحّة لمزيد من العناية والاهتمام بكتب التفسير، من ناحية معالجة السقط والخلل والتصحيف، وتنقيح الكتب من الشوائب الإسرائيلية، والعقدية، والفقهيّة، والكلاميّة والفلسفيّة، البعيدة عن التفسير.

2-أوصي أن تتواصل جهود الباحثين بالاهتمام (بالتفسير المقارن) فهو لا يزال بحاجة إلى مزيد بحث وتثبيت، وأملي أن تتواصل جهود الباحثين، فلا بد من إكمال الدراسة التطبيقية المقارنة، وعدم الاستهانة بها، وتشجيع طلبة العلم عليها؛ وصولاً إلى صورة أوضح؛ ودراسة أوفى لهذا الموضوع، فانا لا أدعي الكمال في بحثي لكنني أؤكد أنني بذلت فيه أقصى جهدي، وأعطيته كل وقتي.

3-أوصي بأن يقرر مساق لطلبة (تفسير القرآن وعلومه) لتدريس هذا الموضوع، فهو عظيم المنافع، جمّ الفوائد، ينمّي عند الدارس ملكاتٍ علمية، ويورثه القدرة على تمحيص الأقوال وتمَييْزِها، ويشع مداركه بالاطلاع على علومٍ متنوعة، وفنونٍ مختلفة، ويوقفه على أصول الاحتجاج، وطرق الاستدلال عند المفسرين، ويعمّق لديه المعرفة بالقواعد العلمية بالممارسة والتطبيق.

4-ضرورة العناية بكتب التفاسير التي بث مؤلفوها من خلال عقائد مخالفة، وتسليط النقد عليها، وتقييم ما ورد فيها، - بعلم ومعرفة وحجة وبرهان - سعيًا في إعادة الحق إلى نصابه، ليبقى كلام الله في مبناه ومعناه محفوظًا سالمًا من أن يمسه تحريف أو تبديل أو تغيير، وترمى محاولات التحريف في حيز العدم. فهذه جادة مطروقة لحراسة تفسير كلام الله، والدفع عنه من كل صارف له عن وجهه.

وأخيراً فما أصبت فبتوفيقٍ من الله تعالى وما أخطأت وزللت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى لي السَّداد والتوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل.

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	البقرة	28	90
(يذبّحون أبناءكم)	البقرة	49	2
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)	البقرة	63	90
(ما ننسخ من آية)	البقرة	106	22
﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	البقرة	174	101
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	البقرة	183	113
﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾	البقرة	185	113
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾	البقرة	187	7
(قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ)	البقرة	219	125
(وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن)	البقرة	323	10
﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	النساء	18	19
وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾	النساء	38	11
(إلاّ ما ذكيتم)	المائدة	3	117
(حُرِّمَت عليكمُ المَيْتَةُ والدمُ)	المائدة	3	115
﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾**	المائدة	72	12
﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾**	الأنعام	1	31
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾	الأنعام	2	41، 80
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾	الأنعام	6	41، 80
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾	الأنعام	7	99
﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾	الأنعام	10	32
﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾	الأنعام	12	33
وقال تعالى ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾	الأنعام	13	39، 88
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	الأنعام	14	89
(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ)	الأنعام	25	76

(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)	الأنعام	26	78
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(27) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	الأنعام	27- 28	81
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	الأنعام	33	32
﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾	الأنعام	34	32، 39
(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ)	الأنعام	35	77
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الأنعام	37	84
وقال تعالى﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾	الأنعام	42	39
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾	الأنعام	48	84
(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)	الأنعام	52	77، 78
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ	الأنعام	59	29
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ﴾	الأنعام	68	77، 100
(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)	الأنعام	82	78
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنعام	83	100
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾	الأنعام	90	40
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	الأنعام	91	28
:﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾	الأنعام	95- 98	84
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾	الأنعام	112	101
(وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)	الأنعام	125	73
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	الانعام	140	30
﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	الأنعام	141	29
﴿۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ	الأنعام	141- 144	84

مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۞وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾			
(قل لا أجدُ فيما أُوحِيَ إلَيَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يطْعَمُه)	الأنعام	145	115
﴿۞ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾	الأنعام	151	28
:﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	الأنعام	151-153	85
(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا)	الأنعام	159	79
(لَا شَرِيكَ لَهُ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)	الأنعام	163	89
﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾	الأنعام	164	33
﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**﴾	الأعراف	7	40
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	الأعراف	10	90
{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}	الأعراف	11	81، 89، 91
﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	الأعراف	19	81
:{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ	الأعراف	29	83
:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(32)﴾ .	الأعراف	31-32	83
:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	33	82
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	الأعراف	42	85
﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾	الأعراف	46	36
وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	الأعراف	57	101

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأعراف	60-61	101
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾	الأعراف	96-98	85
أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	الأعراف	99	93
(تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾	الأعراف	101	93
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾	الأعراف	143	36
(سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)	الأعراف	143	89
وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾	الأعراف	163	36
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾	الأعراف	172	36
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الأعراف	176	40
(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)	الأعراف	180	119
إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾	الأعراف	200-201	85
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	الأنفال	10	20
﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	التوبة	19	12
قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ﴾	يونس	59	99
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾	يونس	75	19
﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	يونس	91-93	19
(وغلّقت الأبواب).	يوسف	23	2
(سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)	ابراهيم	45	89
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾	ابراهيم	49	4
(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۞فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)	الحجر	28-29	91
(سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرّ)	النحل	81	88
إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾	الإسراء	9	ج
{إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً}	الإسراء	32	82

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ)	الإسراء	110	119
﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾	الكهف	107	24
وقوله:﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45)** إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ(74) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾	المؤمنون	45-48	19
(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)	النور	31	124
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾	الفرقان	67	12
﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	لقمان	13	78، 93
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾	يس	12	86
﴿ **لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾	الزمر	4	20
(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾	الزمر	64	99
(مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ﴾	فصلت	43	105
(وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا)	الشورى	23	116
﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾	الزخرف	13	11
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ((16وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17 ﴾	محمد	16-17	11
﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾	الذاريات	57	104
(بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)	الجمعة	5	109
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾	المدثر	45	100
﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾	الجن	8	104

فهرس المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي، (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي،(ت: 630هـ)،أسد الغابة، تح: علي محمد معوض– عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية 1415هـ، 1994م، ط: الأولى.
3. الأدنروي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، 1997هـ.
4. الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر،(ت:429هـ)، الفرق بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجية، (1\202–203)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط:الثانية، 1977.
5. الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي – بيوت، ط: الرابعة 1405.
6. الأصفهاني: أبو القاسم الحسين،(ت:502هـ)المفردات في غريب القرآن تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية –دمشق بيروت، ط:الأولى: 1412هـ.
7. الألوسي، شهاب الدين، (ت: 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415هـ
8. إمام، ايلاف بنت يحيى، موقف الرازي من مسائل الأسماء والأحكام في التفسير الكبير، رسالة ماجستير، إيلاف بنت يحيى إمام، 1432هـ–2011م.
9. أنفال، يحيى، موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، 1432هـ.
10. البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه، تح: محمد زهير بن الناصر، دار توق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:الأولى، 1422هـ.
11. البغوي، عبد بن أحمد، مختصر تفسير البغوي، دار السلام للنشر والتوزيع– الرياض، ط: الأولى، 1416هـ.
12. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآية والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية –بيروت–1415هـ– 1995م.

13.البقاعي، إبراهيم بن عمر،(ت:885هـ) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف – الرياض، ط: الأولى، 1408هـ- 1987م.
14.التميمي، أبو بكر أحمد البغدادي، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، ط:الثانية-1400هـ.
15.ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس(ت:728)، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودة، 1416هـ/1995م.
16.الثعلبي، أحمد بن محمد، (ت:427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.
17.الجربوع، عبد الله بن عبد، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمالة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط :الأولى، 1424هـ/2003م.
18.الجرجاني، علي بن محمد، (ت:816هـ)، التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1403هـ-1983م.
19.الجزري، شمس الدين أبو الخير،(ت:833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط الأولى:1420هـ - 1999م.
20.ابن جزّي، أبو القاسم محمد بن أحد، (ت:741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت، ط:الأولى، 1416هـ.
21.الجوزي، جمال الدين، (ت:597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط :الأولى-1422هـ.
22.ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محمد الدين الخطيب.
23.ابن حجر، أحمد بن علي،(ت:852هـ)، لسان الميزان، تح : دائرة المعرف النظامية- الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان، ط: الثانية، 1390هـ - 1971م.
24.ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة،
25.الحسن، محمد علي، المنار في علوم القران مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط:الأولى، 1421هـ-2000م.

26.الحسين، عبد القادر محمد ، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني، دمشق، ط:الأولى، 2008.

27.الحلبي، نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح– دمشق، ط: الأولى، 1414هـ–1993م.

28.الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1991م.

29.الحميري، نشوان بن سعيد(ت: 573هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني –يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت–لبنان)، دار الفكر (دمشق–سوريا) ط: الاولى1420هـ– 1999م.

30.الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت: 1089هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، 1406هـ – دمشق.

31.حوى، سعيد بن محمد (ت: 1409هـ) الأساس في التفسير، دار السلام– القاهرة، ط: السادسة، 1424هـ.

32.ابن حيان، محمد بن يوسف(ت:754هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح : صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط:1420 هـ.

33.الخزرجي، ماجد عبد زين، الفخر الرازي(ت606هـ/1208م) منهجه في كتاب مفاتيح الغيب، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية/جامعة بابل.

34.الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: بعد 1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة.

35.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط: الرابعة، 1971.

36.خليل، سفيان موسى إبراهيم، القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي، رسالة ماجستير 2003م

37.دبدوب، محمود، محمد جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر.

38.الدريني، فتحي، الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب، مطبعة طربين، 1980.

39.الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن،(ت: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم – دمشق، الدار الشامية–بيروت، ط:الأولى، 1416 هـ – 1996م.

40.الذهبي، محمد السيد، (ت:1398هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة – القاهرة.

41.الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ) سير أعلام النبلاء، دار الحديث– القاهرة، ط: 1427هـ – 2006م)

42.الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن،(ت: 606هـ) مفاتيح الغيب–التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط– 1420هـ.

43.الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن،(ت:606هـ)، المحصول، تح: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة 1418هـ–1997م.

44.الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

45.الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط:2، 1418هـ.

46.أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية، 1402–1982.

47.الزُّرقانيّ، محمد عبد العظيم (ت:1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

48.زركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية، دار الفكر–بيروت 1963م.

49.الزركشي، بدر الدين محمد، (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي وشركائه ط: الأولى، 1376هـ– 1957م.

50.الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي،(ت:1396هـ)، دار العلم للملايين، ط:15– أيار /مايو 2002م).

51.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو(ت: 538هـ)، الكشاف، موقع التفاسير.

52.الزمخشري، أبو القاسم محمود، (ت:538)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط : الثالثة – 1407هـ.

53.سالم، فائزة ويحيى، أحمد، علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغيّة) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1412هـ- 1992م).
54.السبكي، الإمام تاج الدين بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1413هـ، ط: الثانية.
55.السكمي، عز الدين بن عبد العزيز،(ت: 577هـ)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تح: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، 1406هـ- 66هـ.
56.ابن سيدة، أبو الحسن علي(ت:458هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، 1421هـ- 2000م.
57.السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت:911هـ، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394هـ/1974م.
58.الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (ت:790هـ)، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، ط: الأولى 1417هـ - 1997م.
59.الشافعي، محمد بن عبد الرحمن، (ت:905هـ) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، 1424هـ - 2004م.
60.شرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط:الأولى-1420هـ.
61.الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ - 2000م.
62.الطيار، مساعد ابن سليمان، التفسير اللغوي للقران الكريم، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، 1432هـ
63.الطّيار، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: الثانية، 1423هـ.
64.ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التفسير ورجاله، الأزهر- مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ - 1970م.
65.ابن عاشور،محمد الطاهر بن محمد، (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير «المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984هـ.

66.عبد الحميد، حمد مختار(ت:1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط:الأولى، 1429هـ - 2008م.
67.العجمي، محمد بن ناصر، إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان، ط1 1430 هـ - 2.009 م.
68.ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام الشافعي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى 1422هـ.
69.ابن عقيل، محمود، التفسير المقارن، دراسة تأصيلية تطبيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، 1434هـ- 2013م.
70.أبو العلاء، عادل بن محمد(مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 199 – السنة 37- 1425هـ).
71.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت:505هـ)، المستصفى، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.
72.الفارابي، أبو نصر إسماعيل، (ت:393هـ)، الصحاح تاج اللغو وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:4، 1407هـ- 1987م.
73.ابن فارس، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
74.فرعون، روضة عبد الكريم، التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1432هـ.
75.الفزاني، جميلة، مجاهد رضي الله عنه ومنهجه في التفسير– رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
76.الفيروز أبادي، مجد الدين، (ت:817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء 6، ج1، 2، 1416هـ- 1996م. ج 4، 5، 1412هـ- 1992م. ج6، 1393هـ- 1973م.
77.القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:1332هـ)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط : الأولى 1418هـ

78.القاسمي، نزار أباظة جمال الدين، أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، دار القلم دمشق، الدار الشامية–بيروت، ط1 1418 هـ– 1997 م.
79.القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدرس، (ت:684هـ)، شرح تنقيح الفصول، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: الأولى، 1393هـ – 1973 م.
80.القرطبي، أبو عبد الله محمد، (ت:671هـ)، الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي، تح :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ– 1946م.
81.القلموني، محمد رشيد رضا (ت:1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
82.القنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، (ت:1307 هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط: الأولى 1423هـ – 2002م.
83.القوصي، عطية، تاريخ الدولة المستقلة، مكتبة دار النهضة العربية، 1992– 1993م.
84.القيرواني، أبو محمد بن مكي بن أبي طالب(ت:437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، ط: الأولى، 1429هـ – 2008م.
85.ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،(ت:751) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، 1411هـ – 1991هـ.
86.محمود، منيع عبد الحليم، (ت:1430هـ)، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني– بيروت، (1421هـ– 2000م).
87.المرادي، محمد خليل بن علي،(ت:1256هـ)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، (ط 3، 1408هـ – 1988م).
88.المراغي، أحمد بن مصطفى(ت: 1372هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365هـ – 1946م.
89.مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

90.مسلم، مصطفى مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط:4، 1426هـ- 2006م.
91.المشني، مصطفى إبراهيم(التفسير المقارن–دراسة تأصيلية)، مجلة الشريعة والقانون– العدد 26 1427هـ - 2006م
92.مصطفى، إبراهيم وأخرون، مجمع اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
93.المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، (ت:1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط:الأولى، 1413هـ - 1992م.
94. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:711 هـ)، لسان العرب، دار صادر–بيروت، ط: الثالثة – 1414 هـ.
95.الموسوعة التاريخية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدر السنية على الإنترنت dorar.net، 1433هـ.
96.الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية Word Book International.
97.النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:338هـ) الناسخ والمنسوخ، تح: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط :الأولى، 1408، عدد الأجزاء :2
98.النشمي، عبد الله علي، اختيارات الإمام الفخر الرازي في التفسير، رسالة ماجستير، 1436هـ – 2015م.
99.أبو نعيم، توفيق عبد الله، موقف فخر الدين الرازي من العقائد اليهودية، رسالة ماجستير 1436هـ–2015م
100.النعيم، عبير بنت عبد الله، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير– دراسة تأصيلية، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1436هـ - 2015م.
101. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، (ت:850هـ)، غرائب القران ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط:الأولى–1416هـ.

102. الهروي، أبو منصور، محمد بن أحمد،(ت:370هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط :الأولى 2001م،
103. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، (ت:761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد)، القاهرة، (ط:1383/11).
104. الواحدي، سميحة، منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب، 2009–2010م.

فهرس الموضوعات

إقرار: .....أ

شكر وتقدير ..... ب

الملخص: ..... ت

Abstract ..... ث

الفصل الأول: الفصل التمهيدي وفيه ثلاثة مباحث (المقدمة):.....ج

المبحث الأول: التعريف بالتفسير وفيه ثلاثة مطالب: 1

المطلب الأول: التعريف بالتفسير لغة واصطلاحاً: 1

المطلب الثاني: التعريف بالتفسير المقارن لغة واصطلاحاً: 3

المبحث الثاني: صلة التفسير المقارن بألوان التفسير الأخرى –وأهميته – ومنهج البحث فيه ومعاييره، وألوانه:..... 13

المطلب الأول: صلة (علم التفسير) بألوان التفسير الأخرى وبيان أهميته: 13

المطلب الثالث: منهج البحث في التفسير المقارن ومعايير القبول والرد للأقوال التفسيرية: 15

المطلب الرابع: معايير القبول والرد للأقوال التفسيرية: 17

المطلب الخامس: ألوان التفسير المقارن: 23

الفصل الثاني: التعريف بسورتي الأنعام والأعراف:..... 29

المطلب الأول: أسماء السورة..... 29

المطلب الثاني: وقت نزول السورة : 30

المطلب الثالث: أغراض السورة:..... 32

المبحث الثاني: تعريف سورة الأعراف: 37
المطلب الأول :أسماء السورة..... 37
المطلب الثاني: وقت نزول السورة: 37
المبحث الثالث: التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف: 40
الفصل الثالث :التعريف بالرازي والقاسمي وتفسيرهما : 44
المبحث الأول :حياة الرازي السياسيّة والاجتماعية والعلميّة والثقافية : 44
المطلب الأول: الحياة السياسية..... 44
المطلب الثاني: الحالة العلمية الثقافية: 45
المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية : 47
المبحث الثاني :اسمه، كنيته، نسبه، نشأته، ووفاته. 49
المبحث الثالث: شيوخه تلاميذه وآثاره العلمية : 52
الفصل الرابع: حياة القاسمي السياسية والاجتماعية والعلمية:..... 62
المطلب الأول: الحياة السياسية..... 62
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية :..... 63
المطلب الثالث: الحالة العلمية :..... 64
المبحث الخامس :اسمه لقبه كنيته نسبه نشأته ووفاته : 66
المبحث السادس :شيوخه وتلاميذه وآثاره العلميّة:..... 68
المبحث السابع: الظروف التي ألف فيها محاسن التأويل و التعريف به :..... 71
الفصل الخامس: المقارنة بين تفسير مفاتيح الغيب ومحاسن التأويل:..... 74

المبحث الأول : موقفهما من علوم القرآن وفيه أربعة مطالب : 74
المطلب الأول : فواتح السور :..... 74
المطلب الثاني :القراءات : 76
المطلب الثالث: أسباب النّزول: 82
المطلب الرابع :علم المناسبات. 89
المبحث الثاني: موقفهما من التفسير بالمأثور : 98
المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:..... 98
المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية: 103
المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتّابعين:..... 106
المبحث الثالث :موقفهما من اللغة والإعراب : 110
المطلب الأول : اللغة :..... 110
المطلب الثاني: البلاغة:..... 112
المطلب الثالث: النحو. 123
المطلب الرابع: الشواهد الشعرية. 128
المبحث الرابع: آيات الأحكام..... 131
الخاتمة:..... 149
التوصيات:..... 151
فهرس الآيات..... 153
فهرس المصادر والمراجع 158

فهرس الموضوعات 167